ضوء في نهاية النفق؟ حماس والانتفاضات العربية

تقرير الشرق الأوسط رقم 129 – 14 آب/أغسطس 2012

ترجمة من الإنجليزية

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT
CONFLICT WORLDWIDE

جدول المحتويات

الملخص التنفيذي i

I. مقدمة 1

II. وجهان للانتفاضات العربية 1

آ. عرس في القاهرة 1

ب. مأتم في دمشق 4

1. الموازنة 4

2. التوسط 5

3. المواجهة 7

4. تقاطع النيران 7

5. تحالفات متعارضة 10

ج. كيف ستتأثر حماس؟ 13

III. داخل حماس 14

آ. خطوط متحوّلة 14

ب. المصالحة ومشاكلها 17

ج. ما الذي يكمن وراء الخلاف؟ 24

1. أثر الانتفاضات العربية 25

2. تكاليف وفوائد المصالحة 28

3. مكان وجودك يحدد موقفك: أثر المصالح الخاصة 32

IV. الخلاصة: مستقبل حماس 34

آ. الدروس المستقاة 36

ب. السياسات الغربية 37

الملاحق

آ. خارطة إسرائيل والضفة الغربية/غزة 41

ب. خارطة قطاع غزة 42

ج. حول مجموعة الأزمات الدولية 43

د. تقارير وإحاطات مجموعة الأزمات الدولية عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا منذ عام 2009 44

هـ. مجلس أمناء مجموعة الأزمات الدولية 46

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT CONFLICT WORLDWIDE

تقرير الشرق الأوسط رقم 129 — 14 آب/أغسطس 2012

ضوء في نهاية النفق؟ حماس والانتفاضات العربية

الملخص التنفيذي

لم تواجه حماس في تاريخها تحدياتٍ وفرصاً كتلك التي ظهرت مع الانتفاضات العربية. لقد تخلت عن مقرها في دمشق، على حساب علاقاتها مع أكبر الدول الداعمة لها، إيران، في حين حسّنت علاقاتها مع حلفاء للولايات المتحدة مثل مصر، وقطر، وتركيا. عندما طُلب منها أن تحدد الجانب الذي تقف معه في صراعٍ إقليميٍ متصاعد، فإنها لم تختر أي جانب. لقد وصلت التوترات الداخلية فيها إلى مستوياتٍ غير مسبوقة، وتركّزت على كيفية الاستجابة للتغيرات الإقليمية على المدى القصير. ينزع قادة الحركة في الضفة الغربية وفي المنفى إلى الاعتقاد أنه مع استلام الإخوان المسلمين السلطة في مصر بشكل خاص وتصالح الغرب مع الإسلاميين بشكل عام، فقد آن الأوان لاتخاذ خطوات أكثر جرأةً نحو تحقيق الوحدة الفلسطينية، بشكل يُيسر اندماج حماس إقليمياً ودولياً. على العكس من ذلك فإن قيادة قطاع غزة تنظر بقلق إلى أية خطوات استراتيجية وسط ما يزال مستقبلاً إقليمياً غير واضح. هذه الديناميكيات الجديدة - صعود الإسلاميين على المستوى الإقليمي؛ والتغير الحاصل في مواقف الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي حيالهم؛ والتردد السائد في أوساط الفرع الفلسطيني للإسلاميين - يقدم فرصاً للغرب وحماس على حدٍ سواء. إلا أن اغتنام هذه الفرص يتطلب إظهار قدر أكبر من البراغماتية والواقعية مما أظهره الطرفان حتى الآن.

ما كان يمكن للانتفاضات العربية أن تُحدث انقلاباً أكثر شدة في حظوظ حماس. في السنوات الراكدة التي سبقت هذه الانتفاضات، كانت حماس في مأزق؛ فقد كانت معزولة دبلوماسياً؛ ومحصورة اقتصادياً بين مصر وإسرائيل؛ ومقموعة من قبل قوات الأمن الإسرائيلية وقوات السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية؛ وبالكاد قادرة على إدارة وقف غير مستقر لإطلاق النار مع عدو أكثر قوة بكثير؛ وغير قادرة على تلبية المطالب الشعبية بتحقيق المصالحة مع فتح؛ وفي وضعٍ لا تحسد عليه في قطاع غزة، حيث رأى بعض مؤيديها أنها لطّخت نفسها بالتناقضات الكامنة في كونها حركةً إسلامية مقيدة بضرورات الإدارة العلمانية وحركة مقاومة تعارض بشدة الهجمات التي تنطلق من قطاع غزة ضد إسرائيل.

ومع تقلص شعبيتها منذ الانتخابات الفلسطينية التشريعية عام 2006 التي دفعتها إلى السلطة، فقد كان على حماس مواجهة الانتقادات من الداخل والخارج، حيث صاحب الأولى انشقاقات من قبل مجموعة صغيرة لكن هامة من المتشددين الذين تركوها لينضموا إلى مجموعات أكثر التزاماً بتطبيق الشريعة الإسلامية والانخراط في هجمات ضد إسرائيل. بشكل عام، لم يكن هناك ما يبعث على الراحة في أوساط الحركة سوى أن فتح لم تكن أفضل حالاً.

بدا أن الثورات العربية غيرت كل ذلك. ظهرت التطورات الإيجابية في سائر أنحاء المنطقة: الإطاحة بحليف فتح القوي، الرئيس المصري حسني مبارك؛ صعود أقوى داعمي حماس الحركة الأم التي انبثقت عنها وهي حركة الإخوان المسلمين في مصر؛ فتح معبر رفح بين قطاع غزة وسيناء، الذي كان النظام المصري السابق يستعمل سيطرته عليه للضغط على ما كان يعتبرهم حكام غزة غير الشرعيين بتقييد حركتهم وإفقارهم؛ تمكين الأحزاب الإسلامية في بلدان أخرى؛ تنامي عدم الاستقرار في دول فيها معارضات إسلامية كبيرة؛ الوعد بظهور نظام إقليمي جديد أكثر ديمقراطية يعكس العداء واسع الانتشار لإسرائيل وحلفائها والتعاطف الشعبي مع حماس. من وجهة نظر حماس، فإن هذه الأحداث وغيرها كانت تبشر بإحداث أثر عميق على تحقيق جميع أهدافها الأساسية: حكم غزة؛ إضعاف قبضة فتح على الضفة الغربية؛ نشر القيم الإسلامية في المجتمع؛ إنهاء عزلتها الدبلوماسية؛ وتعزيز التحالفات الإقليمية في وجه إسرائيل.

إلا أن هذه التغيرات الإقليمية لها ثمن. الأكثر أهمية هو أن الانتفاضة في سوريا، حيث مقر المكتب السياسي للحركة لأكثر من عقد من الزمن، وضع أمام الحركة أحد أكبر التحديات التي واجهتها، ومزقتها بين مطالب متصارعة. فمن جهة، كان على الحركة أن توازن بين الامتنان الذي كانت تشعر به حيال نظام كان قد دعمها عندما تنكرت لها جميع البلدان العربية الأخرى؛ وكلفة قطع العلاقات مع نظام ما يزال متمسكاً بالسلطة؛ والمخاطر المترتبة على اغضاب إيران، أكبر داعميها ومزوديها بالمال، والسلاح والتدريب. ومن ناحية أخرى، فكّرت حماس في علاقتها بالإخوان المسلمين والسعودية بشكل عام، وكذلك الدَّين الذي تحمله للشعب السوري، الذي طالما وقف مع الحركة. والأمر الذي كان عليها أن تأخذه بالحسبان في موازنة هذه الاعتبارات هو التزاماتها لمئات آلاف اللاجئين الفلسطينيين في سوريا، الذي قد يترتب عليه دفعهم بيوتهم وحياتهم ثمناً للقرارات التي يتخذها بعض قادتهم السياسيين.

إضافة إلى الصعوبة الكامنة في تحقيق التوازن بين هذه الاعتبارات الخارجية، فإن الانتفاضات العربية فرضت على الحركة تحدياً ليس أقل صعوبة عندما أظهرت إلى السطح تناقضات داخلية عميقة ونزاعاً بين مختلف مكوناتها. كان المأزق الذي عانت منه حماس قبل الانتفاضات العربية قد سمح للحركة بالمحافظة على الاختلافات

الكثيرة في أوساطها تحت السطح؛ فمع قلة الفرص المتاحة لها، لم يكن ثمة حاجة لتصارع الرؤى. لكن حالما وجدت حماس نفسها في بيئة مختلفة بشكل جذري وفي مواجهة تحديات واحتمالات جديدة، فإن التوترات الكامنة ظهرت إلى السطح ونشأت أشكال جديدة من الاحتكاك في أوساطها. بشكل عام، فإن هذا الأمر يعكس عدة عوامل متداخلة: التشتت الجغرافي للحركة والحسابات المختلفة لقيادتها، والتي تسببها ظروف مختلفة (في قطاع غزة، وفي السجون، وفي الضفة الغربية والخارج)؛ والتمايزات الأيديولوجية، خصوصاً تلك المتعلقة بالتقييمات المختلفة لأثر الانتفاضات العربية؛ والأدوار المختلفة في الأنشطة السياسية والعسكرية والدينية والإدارية للحركة؛ والتنافسات الشخصية الموجودة من قبل.

لقد برز التنافس الداخلي في حماس بأوضح أشكاله وأكثرها علانية حول قضية المصالحة الفلسطينية؛ وذلك لأنها تشكل مطلباً أساسياً للفلسطينيين وتلامس العديد من أكثر المسائل الاستراتيجية أهمية والتي تواجهها الحركة، بما في ذلك الاندماج داخل منظمة التحرير الفلسطينية، والسيطرة على السلطة الفلسطينية، ووضع قوات الأمن في الضفة الغربية وقطاع غزة، وتشكيل استراتيجية مشتركة مع فتح والموقف السياسي النهائي لحماس حيال إسرائيل.

تنبع الخلافات الداخلية في حماس حول الاستراتيجية الوطنية، خصوصاً حول المدى الذي ينبغي الذهاب إليه في مفاوضات المصالحة، في جزئها الأكبر من التصورات المتناقضة حول الآثار قصيرة الأجل التي ستتركها الانتفاضات العربية على الحركة. وقد تشكلت هذه بدورها من خلال التجارب المباشرة للقيادات في قطاع غزة، وحتى وقت قريب، في دمشق. بصورة عامة، فإن الانقسام الاستراتيجي يتطابق مع وجهتي نظر، ترتبطان هما أيضاً بمجموعتين مختلفتين من المصالح: من جهة، ولأن التغيرات الإقليمية تلعب لصالح حماس، فإن على الحركة ألا تفعل سوى التمسك بمواقفها مع انتظار إضعاف السلطة الفلسطينية، وتحسُّن الظروف الاقتصادية في قطاع غزة، وتنامي قوة حلفائها؛ ومن جهة أخرى، عليها أن تغتنم هذه الفرصة النادرة لاتخاذ قرارات صعبة يمكن أن تحقق مكاسب طويلة الأمد.

إن المجتمع الدولي يراهن على الخيارات التي ستتخذها حماس في النهاية. ستستمر الحركة بلعب دور حيوي في السياسة الفلسطينية، مما يؤثر على احتمال تجدد المفاوضات الإسرائيلية-الفلسطينية وكذلك على احتمالات نجاحها. إن توحيد الضفة الغربية و قطاع غزة ليس أمراً مرغوباً فحسب؛ بل إنه ضروري لتحقيق حل الدولتين. كما أن الانفصال الجغرافي مصحوباً باستمرار العزلة الاقتصادية لقطاع غزة يحتوي بذور المزيد من الصراع مع إسرائيل. لهذه الأسباب فإن العالم، والغرب بشكل خاص، ينبغي أن يفعل أكثر من مجرد الوقوف جانباً والتفرج على حماس وهي تصارع على مستقبلها. بدلاً من ذلك ينبغي على الولايات المتحدة وأوربا اختبار ما إذا كان بوسعهما اغتنام الفرصة التي وفرها تطوران مترابطان: أولاً، استلام حركات إسلامية للسلطة (خصوصاً في مصر) وهي حركات حريصة على تحسين علاقتها مع الغرب، وترغب بالاستقرار وتبعث بإشارات مفادها أنها لا ترغب بجعل القضية الإسرائيلية-الفلسطينية أولوية؛ وثانياً، المناظرات الداخلية المكثفة التي تحدث داخل حماس حول اتجاه الحركة.

حتى لو كانت حماس عرضة للتأثير من قبل أطراف ثالثة، فإن على الغرب ألا يبالغ في تقدير نفوذه؛ فالحركة الإسلامية غير متيقنة وفي حالة تحوّل لكنها لن تتنازل عن مواقفها الأساسية؛ حيث أن محاولة إجبارها على قبول شروط الرباعية أمر مرفوض تماماً. بدلاً من ذلك، فبالعمل بالتنسيق مع مصر وآخرين، على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي الشروع في تحقيق تغيرات لا تقتصر على التصريحات العلنية، وذات قيمة عملية ولا تشكل عبئاً مرهقاً لحماس. يمكن لهذه التغيرات أن تشمل الدخول في اتفاق وقف إطلاق نار أكثر رسمية مع إسرائيل في قطاع غزة؛ وبذل الجهود للمساعدة في تحقيق الاستقرار في سيناء، وهو ما تبينت أهميته الحاسمة من خلال الهجوم الذي شُن في 5 آب/أغسطس 2012 على الجنود المصريين؛ والتأكيد، كجزء من اتفاق الوحدة الوطنية، على تفويض الرئيس محمود عباس على اتفاق الوضع النهائي مع إسرائيل؛ والتعهد باحترام نتيجة الاستفتاء الشعبي الذي سيطرح على الفلسطينيين حول مثل ذلك الاتفاق. وبالمقابل، يمكن لحماس أن تستفيد من ضمانات إسرائيلية مقابلة حول وقف إطلاق النار في قطاع غزة؛ وتحسين الوضع الاقتصادي في القطاع؛ والحصول على تأكيدات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي بأنهما سينخرطان مع حكومة وحدة وطنية تنفذ هذه الالتزامات.

مصر – حتى تحت حكم الإخوان المسلمين - تتشاطر مصالح موضوعية مع إسرائيل حول كل من القضايا المطروحة أعلاه: هي أيضاً تريد أن ترى عودة الهدوء إلى قطاع غزة؛ وهي أيضا تفضل استمرار الهدوء في سيناء، كما سعت في سبيل تحقيق ذلك إلى حملة عسكرية شنتها رداً على هجوم 5 آب/أغسطس 2012؛ وهي أيضاً يمكن أن تستفيد من استئناف المفاوضات تحت رعاية عباس، ما يمكن أن يساعد في إزالة إحدى القضايا المزعجة في العلاقات الأمريكية المصرية، وتحسين المناخ الإقليمي وتمهيد الطريق لعملية سلام جديدة. لماذا لا يكون هناك محاولة للاستفادة من هذا الوضع؟

لقد حدث هذا في الماضي مرتين – بعد الانتخابات البرلمانية الفلسطينية عام 2006 وبعد اتفاق الوحدة الوطنية في مكة عام 2007 – حيث أضاع المجتمع الدولي الفرصة في مقاربته حيال حماس، وتبنى سياسات أنتجت تقريباً عكس المتوقع: حيث عززت حماس سيطرتها على قطاع غزة؛ واندلعت أحداث خطيرة مع إسرائيل؛ ولم تتم تقوية فتح؛ وتحللت المؤسسات الديمقراطية في الضفة الغربية؛ ولم يقترب اتفاق السلام من التحقق. مع فرصة ثالثة سانحة، وسط تحسّن جذري في العلاقات مع الحركات الإسلامية في سائر أنحاء المنطقة، ينبغي على الغرب أن يضمن ألا يُترك مرة أخرى، مقيداً على الرصيف مكتفياً بمراقبة انطلاق قطار الأحداث.

مدينة غزة/القاهرة/القدس/رام الله/بروكسل، 14 آب/ أغسطس 2012

International Crisis Group
WORKING TO PREVENT CONFLICT WORLDWIDE

ضوء في نهاية النفق؟ حماس والانتفاضات العربية

I. مقدمة

لقد وفر مد الانتفاضات التي بدأت باكتساح العالم العربي في مطلع العام 2011 لحماس أكبر الفرص كما عرّضها لأكبر التحديات التي واجهتها منذ تأسيسها قبل حوالي ربع قرن. لقد كانت في مأزق، معزولة دبلوماسيا، ومقيدة اقتصادياً، ومخنوقة في الضفة الغربية وتفقد شعبيتها في قطاع غزة، حيث واجهت انتقادات من الداخل والخارج. وقد كان عزاؤها الوحيد تقريباً أن فتح لم تكن أفضل حالاً بل يمكن المجادلة أن حالها كان أسوأ.[1] إلا أنه، وخصوصاً في الأشهر الأولى من الثورات العربية، بدت حظوظ حماس بالتغير بطريقة لم تكن الحركة تحلم بها، ووفرت لها فرصة غير مسبوقة لتحقيق أهدافها في المنطقة، وكذلك في قطاع غزة، والضفة الغربية والمجتمع الفلسطيني بشكل عام.[2]

II. وجهان للانتفاضات العربية

أ. عرس في القاهرة

عندما بدأت الانتفاضات، ابتهجت حماس لما رأت فيه إعادة خلط لأوراق المنطقة، وهي الأوراق التي كانت مرتبة ضدها. في عام 1988، كانت ملصقات حماس تدعو رعايا الحكام العرب الذين كانوا قد "أداروا ظهورهم للفلسطينيين" "كي يستعيدوا دورهم الهام والقيادي في الصراع من أجل التحرير".[3] من وجهة نظر حماس فإن الديكتاتوريات العربية كان يُطاح بها جزئياً بسبب قمعها للإسلاميين، وخضوعها للإملاءات الغربية، وجُبنها أمام إسرائيل وتخليها عن القضية الفلسطينية؛[4] وبالفعل، ففي كانون الأول/ديسمبر 2010، تنبأ أحد قادة حماس بأن النظام المصري المتعاون مع إسرائيل والسلطة الفلسطينية في فرض حصار غزة سيسقط قريباً.[5]

رأت حماس أن نصرها الانتخابي عام 2006، الذي تبعته عزلة مالية فرضها جزء كبير من العالم العربي،[6] بوصفه بشيراً بالموجة الإسلامية الشعبية التي تدفع الآن النظام القديم جانباً. تحدث الثوريون في سائر أنحاء الشرق الأوسط وشمال أفريقيا عن انتفاضتهم الخاصة وعن الصحوة، بشكل يعكس رسائل حماس السابقة التي تدعو

[1] أحد قادة حماس قال، "في عام 2010 وصلنا إلى مأزق. كانت جميع الأبواب مغلقة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011. أحد مستشاري رئيس الوزراء هنية قال، "لقد تراجعت القضية الوطنية الفلسطينية خلال السنوات الست الماضية. لقد كانت حماس محاصرة في قطاع غزة، وانخرطت فتح في تعاون أمني في الضفة الغربية. ولم تدفع حماس القضية الفلسطينية إلى الأمام خلال هذا الوقت، بل حافظت عليها في مكانها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 23 شباط/فبراير 2012.

[2] لمزيد من التفاصيل، انظر Crisis Group Middle East Reports N°110, *Palestinian Reconciliation: Plus Ça Change …*, 20 July 2011; N°104, *Radical Islam in Gaza*, 29 March 2011; N°85, *Gaza's Unfinished Business*, 23 April 2009; and Briefings N°30, *Gaza: The Next Israeli-Palestinian War?*, 24 March 2011; and N°25, *Palestine Divided*, 17 December 2008.

[3] ملصق حماس رقم 33، 12 كانون الأول/ديسمبر 1988، Matti Steinberg, *Facing their Fate: Palestinian National Consciousness 1967-2007* (Tel Aviv, 2008).

[4] "ليس سراً أن معظم المسلمين الذين كانوا قد اعتقلوا أو رُحلوا فازوا بالانتخابات في سائر أنحاء المنطقة. الإخوان المسلمون فازوا في هذه الانتخابات لأن الناس كانوا يكرهون هذه الأنظمة العلمانية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في حماس، نابلس، شباط/فبراير 2012.

[5] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع وزير الصحة في قطاع غزة باسم نعيم، 27 كانون الأول/ديسمبر 2010.

[6] طبقاً للبنك الدولي، فإن "الدعم المباشر لميزانية [حكومة السلطة الفلسطينية التي تقودها حماس] توقف. رغم ذلك، كان المانحون يقدمون المساعدة من خلال طرق بديلة. بشكل خاص، وفي حين أن المانحين العرب كانوا يمررون مساعداتهم من خلال مكتب الرئيس [محمود عباس]، فإن المانحين التعدديين والثنائيين كانوا يفعلون ذلك من خلال الآلية الدولية المؤقتة". "Staying Afloat? The Role of International Aid and Social Assistance", in *Coping with Conflict: Poverty and Inclusion in the West Bank and Gaza*, World Bank (2011), p. 119.

الجماهير العربية السجينة للانتفاض وإيقاظ عقيدتها الإسلامية النائمة.[7]

للمرة الأولى، كان بوسع حماس الإدعاء بأنها كانت تشهد بدايات تحقق رؤيتها التي طالما تنبأت بها بظهور جهد إسلامي لتحرير فلسطين. في 15 أيار/مايو 2011، يوم النكبة، وهو اليوم الذي يستذكر فيه الفلسطينيون عملية التهجير التي رافقت تأسيس إسرائيل عام 1948، سار المتظاهرون إلى الحدود بين إسرائيل ولبنان، وسورية والأردن ومصر، تماماً كما كانت حماس قد دعت، عام 1988، اللاجئين الفلسطينيين في الأردن ليفعلوا ذلك من أجل تحقيق حقهم بالعودة ولو بشكل أحادي.[8] في المغرب في 2012، خرج آلاف الإسلاميين تضامناً مع فلسطين وهم يهتفون، "لن ننساك، أحمد ياسين [مؤسس حماس]".[9] في تونس، أصل الانتفاضات، والتي التفتت إليها عيون الغرب على أمل أن تشكل نموذجاً لسياسات ما بعد الثورة، تنبأ راشد الغنوشي، زعيم أكبر حزب سياسي في البلاد، النهضة، بأثر الثورات العربية على إسرائيل:

> أبشّركم بأن المنطقة العربية ستتخلص من جرثومة إسرائيل. الشيخ أحمد ياسين، قائد حركة حماس، قال ذات مرة إن إسرائيل ستختفي قبل عام 2027. ... قد تختفي إسرائيل قبل هذا التاريخ.[10]

بعد شهور، وفي أعقاب انتصار النهضة في انتخابات الخريف عام 2011، دعيت إحدى أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس، هدى نعيم، لإلقاء كلمة في مسيرة سياسية تونسية للمرة الأولى. وإلى جانبها وقف رئيس الوزراء الجديد والأمين العام للنهضة حمادي الجبالي، الذي أعلن: "إن تحرير تونس سيؤدي بإذن الله إلى تحرير القدس".[11]

حتى الأردن، الحليف القوي للولايات المتحدة والذي يحتفظ بعلاقات جيدة مع إسرائيل، بدأ بتغيير لهجته حيال حماس. في تشرين الأول/أكتوبر 2011، قال رئيس الوزراء حينذاك عون الخصاونة إن طرد بلاده لحماس عام 1999 كان "خطأ سياسياً ودستورياً"؛[12] وبعد حوالي ثلاثة أشهر، وللمرة الأولى منذ ترحيل حماس، قام رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل بزيارة رسمية للأردن، تبعتها زيارة ثانية في حزيران/يونيو 2012.[13] حليفة حماس قطر، بين أكبر

---

[7] ملصق لحماس، دون رقم، 15 كانون الثاني/يناير 1988، في Matti Steinberg, *Facing their Fate*, op. cit.

[8] انظر *Hamas* (Hamas Journal in Palestine), no. 10, October 1988, p.1, as cited in ibid.

[9] "ما لا يقل عن 11,000 ينضمون إلى مسيرة مؤيدة لفلسطين في المغرب"، رويترز، 26 آذار/مارس 2012. في 14 تموز/يوليو 2012، حضر رئيس المكتب السياسي لحماس خالد مشعل مؤتمراً لحزب العدالة والتنمية المغربي، وهو أول مؤتمر للحزب الإسلامي منذ الفوز في الانتخابات في تشرين الثاني/نوفمبر 2011. في وقت سابق من ذلك الأسبوع كان قد حضر مؤتمراً للحزب الإسلامي الحاكم في تونس، النهضة، معلناً: "علينا أن نبني استراتيجية عربية ـ إسلامية لتحرير فلسطين وقلب صفحة المفاوضات [مع إسرائيل]. ... الفلسطينيون ليسوا أنانيين، ولذلك خذوا وقتكم لتجاوز هذه المرحلة الانتقالية الصعبة ـ هذا حقكم. ... الطريقة الوحيدة لتحرير فلسطين هي الصراع". "زعيم حماس يحضر مؤتمر الحزب الحاكم في المغرب"، وكالة الصحافة الفرنسية، 14 تموز/يوليو 2012؛ "في تونس، مشعل يدعو لقلب صفحة المفاوضات مع إسرائيل"، نهارنت، 13 تموز/يوليو 2012.

[10] "مقابلة مع راشد الغنوشي"، *العرب*، 2 أيار/مايو 2011. طبقاً لوزير في حكومة غزة، فإن "راشد الغنوشي قال لهنية، 'نحن نعتبر وضع حدٍ لمعاناتكم إحدى أولياتنا في تونس'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[11] "Hamas representative addresses Tunisian political rally", *Tunisia Live*, 15 November 2011.

[12] حول تصريح الخصاونة، قال أحد قادة حماس، "أنا متأكد أن مثل هذه التصريحات لا بد أن تتم بالتنسيق مع الملك. إن عبد الله يرى ما تفعله الولايات المتحدة مع حلفائها في المنطقة [بالإشارة إلى تخلي أوباما عن مبارك]. والآن يحاول حماية نفسه". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. لدى سؤاله عما إذا كان هو والقادة الآخرين في المنطقة يعتقدون بأنهم "لا يستطيعون الاعتماد على الولايات المتحدة"، قال الملك عبد الله، "أعتقد أن الجميع حذرون في التعامل مع الغرب ... بالنظر إلى السرعة التي أدار فيها هؤلاء الناس ظهورهم لمبارك، أقول إن معظم الناس سيحاولون إيجاد الطريق الذي يناسبهم. أعتقد أنه سيكون هناك تنسيق أقل مع الغرب ولذلك سيكون هناك فرصة لحالات من سوء التفاهم". *واشنطن بوست*، 24 تشرين الأول/أكتوبر 2011.

[13] امتدح الإخوان المسلمون في الأردن الزيارة الأولى على موقعهم: "لقاء اليوم (الأحد) تاريخي. جهود الوساطة القطرية تدعم جهود القصر لإعادة صياغة العلاقات بين الأردن وحماس انسجاماً مع المصالح الوطنية". "زعيم حماس يقوم بزيارة 'تاريخية' إلى الأردن وسط مديح الإسلاميين"، العربية، 30 كانون الثاني/يناير 2012. في نفس الشهر الذي جرت فيه الزيارة الثانية، قام زعيم الإخوان المسلمين في الأردن، الشيخ همام سعيد، بزيارة قادة حماس في قطاع غزة. "Meshaal meets with King Abdullah in Jordan", *The Daily Star*, 29 June 2012; "'Miles of Smiles 13' convoy arrives in Gaza", Ezzedeen al-Qassam Brigades – Information Office, 12 June 2012. رغم ذلك فإن قادة حماس توقعوا أن يقتصر تحسن العلاقات على هذا النطاق. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011. عضو في المكتب السياسي لحماس أضاف: "الملك عبد الله ليس شخصاً قوياً يستطيع اتخاذ قراراته بنفسه. لقد نصحه آخرون بعدم القيام بهذه الخطوة. هو والنظام مرعوبون من حماس. لقد بدأ التقارب لأنهم كانوا يخشون أن أبو مازن يمكن أن يبيع الفلسطينيين بالاتفاق على تسوية مع إسرائيل مقابل لا شيء. كانوا يخشون أنه يمكن أن يتوصل إلى اتفاق دون التشاور مع الأردن حول اللاجئين؛ وأراد أن يظهر قدراً أكبر من الإنصاف حيال الفلسطينيين [بدلاً من الوقوف مع فتح]". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 23 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. بعد شهرين من زيارة مشعل الأولى، أكد الملك عبد الله أن حماس لن تعيد افتتاح مكاتبها في الأردن: "حماس لن تعيد افتتاح مكاتبها في الأردن وليس هناك تغيير في هذه السياسة. بالنسبة لاجتماع أواخر كانون الثاني/يناير بيني وبين خالد مشعل وولي عهد قطر، فقد كان في إطار الدعم الأردني لجهود السلام، والمصالحة الفلسطينية، وجهود السلطة الفلسطينية لتحقيق تطلعات الشعب الفلسطيني. لقد كررت موقف الأردن بأن المفاوضات، بدعم من المجتمع الدولي، هي الطريق الوحيد لاستعادة الحقوق الفلسطينية. وهكذا، ليس هناك تغيير في الاستراتيجية في هذا المجال أيضاً". "Interview with King Abdullah II", *Turkish Policy Quarterly*, vol. 10, no. 4, March 2012. وعلى نحو مماثل، أكد مسؤول أردني أن اجتماع مشعل الهام مع الملك لا ينبغي تفسيره على أنه تغيير في سياسة الحكومة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، عمان،

المستفيدين من التغيرات الإقليمية، كانت قد توسطت في التقارب.[14] قائد رفيع في حماس قال:

قطر والبلدان الأخرى تستعمل حماس لاكتساب المصداقية داخل دولها. عندما يستقبلون قادة حماس أو يدعمون الحركة، فإنهم يخففون الضغوط الداخلية عليهم. قطر وإيران الآن على جانبين متعاكسين فيما يتعلق بـ [الانتفاضة] في سورية. إلا أن كلاهما يمولاننا. إنهم بحاجة لنا. الآن عصر الإخوان المسلمين، وحماس جزء من الإخوان المسلمين.[15]

بالنسبة لخصوم حماس الداخليين، ما أقلقهم أكثر من زيادة الدعم الرسمي للحركة هو التغطية التفضيلية التي تحظى بها على قناة الجزيرة القطرية،[16] أحد أهم اللاعبين في دفع الانتشار السريع للانتفاضات العربية والتي اتُهمت لسنوات من قبل مسؤولين كبار في السلطة الفلسطينية وفتح بأنها "إحدى أدوات حماس والإخوان المسلمين".[17]

الأمر الجدير بالاهتمام من كل هذا كان الإشارات التي تفيد بتحول سياسة مصر، حيث فاز الإخوان المسلمون بالانتخابات البرلمانية (رغم أنها ألغيت لاحقاً) والرئاسية، ما عزز آمال حماس بأن العزلة الدبلوماسية والاقتصادية التي فرضتها حكومة مبارك على غزة ستنتهي قريباً.[18] بعد هجوم آب/أغسطس 2011 على مدنيين إسرائيليين من قبل متشددين في سيناء ومقتل 6 جنود مصريين في وقت لاحق في ذلك اليوم من قبل القوات الإسرائيلية،[19] تظاهر سكان القاهرة خارج السفارة الإسرائيلية، واقتربوا منها أكثر بكثير مما كان نظام مبارك يسمح به؛ وبعد أسابيع، حطمت حشود بالآلاف جداراً واقياً أقيم مؤخراً ثم هاجموا السفارة، ورموا الوثائق الرسمية من النوافذ وكسروا جميع الأبواب الأمنية باستثناء باب واحد يفصلهم عن ستة موظفين إسرائيليين يختبئون في غرفة آمنة وبنادقهم في أيديهم وعلى حد تعبير مسؤول في وزارة الخارجية الإسرائيلية، "كنا على وشك أن نُجلد".[20] قائد رفيع لحماس في غزة رأى في الهجوم بشيراً ونذيراً لعهد جديد يتم فيه عكس السياسة المصرية في عزل غزة وتحالفها مع إسرائيل:

> في المستقبل، لن يكون هناك سفارة إسرائيلية في القاهرة. ما حدث كان انتهاكاً حقيقاً لسفارتهم، انتهاكاً لكرامتهم. المصريون الذين رموا وثائقهم في الشارع يعتبرون أبطالاً قوميين. العلاقات بين إسرائيل ومصر ستتدهور؛ والعلاقات بين مصر والفلسطينيين، وخصوصاً في غزة، ستتحسن كثيراً.[21]

في آذار/مارس 2012، خلال فترة وجيزة من التصعيد المكثف في العنف بين إسرائيل والمتشددين في غزة، خصوصاً من الجهاد الإسلامي،[22] مرر البرلمان المصري، الذي يحتل فيه حزب الحرية والعدالة التابع للإخوان المسلمين أغلبية المقاعد، مشروع قانون بالإجماع، رغم أنه رمزي بشكل أساسي، لوقف مبيعات الغاز

تموز/يوليو 2012. في آب/أغسطس 2012، زار مشعل الأردن مرة أخرى، لحضور جنازة مؤسس حماس، الشيخ عمر الأشقر.

[14] عضو في المكتب السياسي لحماس قال، "الأردن يريد أربعة أشياء من تقاربه مع حماس: المال من قطر؛ وعلاقات جديدة مع قطر؛ والضغط على سورية بأخذ ملف حماس منها؛ وتهدئة الشارع الأردني [أكبر حزب معارضة في الأردن هو الجناح السياسي للإخوان المسلمين، جبهة العمل الإسلامي]". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 23 تشرين الثاني/نوفمبر 2011؛ انظر أيضاً Rana Sabbagh, "Rapprochement between Jordan and Hamas with the help of Qatar", *Dar Al Hayat*, 8 November 2011.

[15] وأضاف: "قطر هي كشخص يرتكب ذنباً من جهة ويكفّر عنه من جهة أخرى: للتعويض عن وجود القاعدة العسكرية الأمريكية وعلاقاتها مع إسرائيل، تقدم الدوحة الدعم لحماس. منذ عام 2006، استمروا في دعم حكومة غزة. إنهم يحاولون موازنة صورتهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012. عضو في المكتب السياسي لحماس قال إن مساعدات قطر لم تكن كبيرة: "قطر لا تقدم الكثير من المال للفلسطينيين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012. بعد شهر، أعلنت حماس أنها ستتوصل قريباً إلى اتفاق لتلقّي 250 مليون دولار كمساعدات لمشاريع إعادة الإعمار في قطاع غزة. "Hamas, Qatar to sign 250 million USD deal to rebuild Gaza", Xinhua, 26 February 2012. في مطلع تموز/يوليو 2012، أكد رئيس وزراء غزة إسماعيل هنية أن المشاريع القطرية في قطاع غزة بقيمة 250 مليون دولار ستنطلق قريباً. "آنياً: 'المقاومة لن تفشل'"، كتائب عز الدين القسام - المكتب الإعلامي، 10 تموز/يونيو 2012.

[16] Khaled Hroub, "How Al-Jazeera's Arab spring advanced Qatar's foreign policies", *Europe's World*, autumn 2011; "Qatar wields an outsize influence in Arab politics", *The New York Times*, 15 November 2011.

[17] وجه الاتهام القائد السابق في فتح ومستشار الأمن الوطني محمد دحلان. وقد أطلق مسؤولو منظمة التحرير الفلسطينية والسلطة الفلسطينية تصريحات مماثلة ودعوا إلى إغلاق القناة. انظر "Top Palestinian journalist seeks asylum in Norway", *The Jerusalem Post*, 1 July 2007. مسؤولو حماس يقولون إن تغطية الجزيرة للحركة أصبحت أقل تعاطفاً مؤخراً. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في حماس، مدينة غزة، القاهرة، شباط/فبراير 2012.

[18] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، كانون الثاني/يناير 2012. مسؤولو حماس قالوا إنه خلال الأعوام الأخيرة من حكم مبارك، كان محمد مرسي، الذي حل محل مبارك في منصب الرئيس، المتحدث الرئيسي معهم في الإخوان المسلمين المصريين. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، آب/أغسطس 2012. الإسرائيليون عبروا عن قلق عميق فيما يتعلق بصعود الإخوان المسلمين في مصر، خصوصاً بالنظر إلى خطاب بعض قادتها. انظر على سبيل المثال "Antisemitic and Anti-Israel Articles on Egyptian Muslim Brotherhood Website", Middle East Media Research Institute (MEMRI), 13 January 2012.

[19] "Sixth Egyptian soldier shot by Israel dies in hospital as a result of his injuries", *Ahram* (online), 10 September 2011.

[20] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تل أبيب، تشرين الثاني/نوفمبر 2011. "Egypt commandos save 6 Israelis in embassy attack", Associated Press, 10 September 2011.

[21] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 أيلول/سبتمبر 2010.

[22] مجموعات أخرى، مثل لجان المقاومة الشعبية، شاركت أيضاً في الأعمال العدائية، في حين أن حماس لم تشارك.

لإسرائيل، وطرد السفير الإسرائيلي والمصادقة على تقرير للجنة برلمانية تقترح عكس السياسة المصرية تجاه إسرائيل.[23]

كانت عزلة حماس الدبلوماسية تضعف. في كانون الثاني/يناير 2012، زار برلمانيون من غزة سويسرا، حيث حضروا اجتماعاً للاتحاد البرلماني؛[24] وبعد شهرين دعا مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة أحد قادة حماس من غزة، إسماعيل الأشقر، للتحدث أمام المجلس.[25] وقد زارت عدة وفود مصرية رفيعة المستوى غزة، بداية بالزيارة الرسمية الأولى من قبل الإخوان المسلمين، تبعها أعضاء البرلمان وحزب النور السلفي.[26] تركيا تعهدت بدفع مئات ملايين الدولارات دعماً لغزة،[27] والأمين العام لجامعة الدول العربية وزير الخارجية السابق نبيل العربي طلب من خالد مشعل العمل كوسيط في المفاوضات لإنهاء العنف في سورية.[28]

في أواخر عام 2011 ومطلع عام 2012، غادر رئيس وزراء غزة إسماعيل هنية غزة للمرة الأولى منذ عام 2007، منطلقاً في جولتين إقليميتين شملتا زيارات لمصر، والسودان، وتركيا، وتونس، وقطر، والبحرين، والكويت، والإمارات العربية المتحدة وإيران؛ وقد وجد قادة حماس زيارتهم إلى الإمارات جديرة بالاهتمام، حيث كانت علاقاتهم معها متوترة.[29] ما بدا أنه سبب إحباطاً للمسؤولين في رام الله، هو أن هنية استقبل في هذه البلدان، بما في ذلك في تونس، وتركيا وعدد من دول الخليج، ليس كقائد لحماس بل كرئيس للوزراء.[30]

في القاهرة، افتتح نائب رئيس المكتب السياسي لحماس، موسى أبو مرزوق، مكتباً، وتم رفع مستوى مسؤولي حماس من التعامل بشكل حصري مع ضباط المخابرات إلى الاجتماع أيضاً مع مسؤولي وزارة الخارجية والرئيس مرسي نفسه.[31] "رغم أن معظم الجهاز المصري ما يزال جزءاً من النظام القديم"، على حد قول قائد رفيع في حماس، فإن "سلوكهم نحونا تغير. لم يكن بوسع إسماعيل هنية مغادرة غزة منذ عام 2007 لأن مبارك لم يسمح له. أما اليوم فهو يسافر إلى كل مكان".[32] في 12 آب/أغسطس، أحال مرسي أكبر ضابطين في الجيش، وزير الدفاع محمد حسين طنطاوي ورئيس الأركان سامي عنان إلى التقاعد؛ وإذا تمكن من تعزيز سلطته على ما تبقى من نظام مبارك، فإن علاقات حماس مع مصر ستستمر في التحسن.

في شباط/فبراير 2012، احتشد آلاف المصلين في القاهرة لتحية هنية ورفعه على الأكتاف فبعد أن ألقى خطبة في جامع الأزهر.[33] في ذلك المساء، أشار مسؤول في حماس إلى صورتين معروضتين إلى جانب بعضهما فوق مقالة إخبارية على الإنترنت حول الخطبة: في إحداها، يظهر هنية في صورة التقطت بعد أن رفضت الحكومة المصرية السماح له بالدخول إلى غزة في كانون الأول/ديسمبر 2006، وهو يمشي وحيداً على جانب الطريق في معبر رفح، يحاول أن يدفئ نفسه في هواء الشتاء البارد؛ وفي الأخرى، يبتسم ابتسامة عريضة عندما تندفع حشود المصلين في الأزهر لحملة على الأكتاف. الصورتان، على حد تعبير أحد مستشاري هنية، تلخص وضع حماس قبل وبعد الانتفاضات العربية.[34]

ب. مأتم في دمشق

1. الموازنة

لم تكن التغيرات الحاصلة في المنطقة دون ثمن بالنسبة لحماس. كان التغير الأكثر كلفة هو الانتفاضة في سورية، حيث كان المكتب

[23] وحده المجلس العسكري الحاكم في مصر يتمتع بصلاحية اتخاذ القرارات التي دعى إليها التصويت. دعا التقرير الحكومة لدعوة السفير المصري في إسرائيل للعودة و "مراجعة جميع علاقاتها واتفاقاتها مع العدو"؛ ووافق على المقاومة الفلسطينية "بجميع أنواعها وأشكالها"؛ وأعلن أن "مصر الثورية لن تكون صديقاً، أو شريكاً أو حليفاً للكيان الصهيوني، الذي نعتبره العدو الأول لمصر والأمة العربية". "Egypt's parliament wants Israel's ambassador out", Associated Press, 12 March 2012.

[24] "Israel fury as Hamas attends global parliamentary forum", Agence France-Presse, 16 January 2012.

[25] بعد احتجاجات من إسرائيل، ألغي خطاب الأشقر في اللحظة الأخيرة. *هآرتس*، 19 آذار /مارس 2012.

[26] نائب رئيس الإخوان المسلمين، جمعة أمين، قاد وفداً لزيارة قطاع غزة في تشرين الأول/أكتوبر 2011.

[27] مسؤول في مكتب رئيس الوزراء في غزة قال إن تركيا كانت قد تعهدت بدفع 300 مليون دولار لمشاريع تنموية في قطاع غزة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012. وزير الخارجية التركي أنكر أن تركيا تعهدت بتقديم "مساعدات نقدية" لحماس (بل للتنمية في غزة)، لكنه قال إنها ضالعة في عدد كبير من المشاريع الإنسانية في قطاع غزة، مشيراً إلى بناء مستشفى بكلفة 40 مليون دولار.

[28] "الجامعة العربية تطلب مساعدة حماس في سورية"، رويترز، 6 كانون الثاني/يناير 2012. وقد أدى ذلك إلى توبيخ قاسٍ من الأمين العام لمنظمة التحرير الفلسطينية ياسر عبد ربه، الذي قال إن مشعل "ليس له الحق بالتوسط نيابة عن أي نظام ـ سورياً أو غير سوري". "مصادر: مشعل فشل في تبرير رسالة الجامعة العربية إلى الأسد"، *الشرق الأوسط*، 20 كانون الثاني/يناير 2012.

[29] "للمرة الأولى الإمارات العربية المتحدة تستقبل إسماعيل هنية. في الماضي كانوا ضد حماس بشكل قاطع. كانوا قد دعموا [المسؤول الأمني في فتح محمد دحلان بالمال والسلاح. الآن الكويت والبحرين استقبلتا هنية؛ ودول الخليج تستقبل هنية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، 13 شباط/فبراير 2012.

[30] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في حماس، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012؛ ومع عضو لجنة مركزية في فتح، رام الله، 1 آذار/مارس 2012. انظر أيضاً "السلطة الفلسطينية تنكر مزاعم هنية بمحاولة تعطيل جولته العربية"، وكالة الأنباء والمعلومات الفلسطينية وفا، 14 كانون الثاني/يناير 2012.

[31] في اليوم الذي تلا اجتماع الرئيس عباس بالرئيس مرسي في 18 تموز/يوليو 2012، قاد خالد مشعل وفداً من أعضاء حماس للاجتماع به أيضاً. رويترز، 19 تموز/يوليو 2012. اجتمع إسماعيل هنية مع مرسي في 27 تموز/يوليو. الناطق باسمه، طاهر النونو، وصف الاجتماع بأنه "نقطة تحول حقيقية في العلاقات الثنائية". وكالة الصحافة الفرنسية، 28 تموز/يوليو 2012.

[32] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012.

[33] "At al-Azhar mosque, struggle over Islam roils a revered Egyptian institution", *The Washington Post*, 4 March 2012.

[34] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 شباط/فبراير 2012.

السياسي للحركة منذ أكثر من عقد من الزمن، والتي شكلت للحركة أحد أكبر التحديات التي واجهتها، حيث تجاذبتها مطالب متنافسة.[35]

كان على الحركة أن توازن من جهة بين امتنانها لنظام كان قد دعمها بقوة عندما نبذتها جميع البلدان العربية، ومن جهة أخرى فإن ارتباطها بالمسلمين السنة الذين كانوا ضحايا العنف الممارس من قبل قوات الأمن التي يطغى عليها العنصر العلوي والداعمين الآخرين لنظام الرئيس بشار الأسد. كما كان عليها أن تأخذ بالحسبان علاقاتها بالإخوان المسلمين السوريين، التنظيم الذي جعل النظام الانتماء إليه يعاقب بالموت؛ والتزاماتها نحو مئات آلاف اللاجئين الفلسطينيين، الذين يمكن أن يدفعوا الثمن من بيوتهم وحياتهم من أجل القرارات التي يتخذها بعض قادتهم السياسيين؛ والدين الذي تحمله للشعب السوري، الذي كان قد وقف مع الحركة وقدم حوالي 20 مليون دولار من المساعدات لغزة خلال حرب عام 2008-2009.[36]

من منظور استراتيجي، فقد كان على حماس الاختيار بين خيارين يحملان مخاطرة: قطع علاقاتها مع أحد حلفائها القلائل، والذي لم يتضح مصيره بعد؛ أو إلحاق الضرر بمصداقيتها مع الشعب السوري إلى حد المخاطرة بإمكانية الاحتفاظ بالتحالف مع البلاد عندما تنجح الثورة وإذا نجحت. وكان ثمة اعتبار هام في أذهان قادة حماس يتمثل في الرغبة بتجنب تكرار خطأ عرفات، في دعمه للعراق بعد غزو الكويت عام 1990 الذي أدى إلى عزل منظمة التحرير الفلسطينية دبلوماسياً ومالياً؛ ودفع الكويت إلى طرد مئات الآلاف من الفلسطينيين؛ وأغضب مصر، وسورية، والسعودية ودول الخليج الأخرى.[37]

لم يكن من السهل دائماً تحديد أين تنتهي الأخلاق وتبدأ الضرورات العملية. مهما كانت الاعتبارات الأخلاقية، فقد كان من الواضح أن وقوف حركة تحرر وطني إسلامية إلى جانب دولة علمانية سلطوية تذبح مواطنيها كان سيجعل حماس عرضة للاتهام بالنفاق، ويقوض التقدير الذي كانت تحظى به ليس فقط لدى الفلسطينيين بل لدى الجمهور الإقليمي في وقت كانت المواقف الشعبية فيه تعد بلعب دوراً أكبر بكثير في الشؤون الخارجية للبلدان العربية.[38] كما كان يمكن لذلك أن يوتر علاقاتها مع الحركة الأم الصاعدة، الإخوان المسلمين؛[39] ويضر بسمعتها بين الفلسطينيين، الذين يؤيدون بقوة مطالب السوريين بتغيير النظام؛ ويبعدها عن الأغلبية السنية في سورية، التي بات صراعها مع النظام الذي يسيطر عليه العلويون طائفياً بشكل متزايد؛ ويلغي إمكانية الحصول على الدعم في المستقبل من القوى العربية الإقليمية المعادية لسورية وإيران.[40]

لكن ما لم يكن أقل أهمية بالنسبة لحماس هو التبعات العملية لعدم الوقوف مع النظام السوري: فقدان أصول كبيرة، كثير منها مرتبط بسورية.[41] إضافة إلى إلحاق الضرر بعلاقتها مع الجهاد الإسلامي، وحزب الله، والأكثر أهمية، مع إيران، أكبر داعمي الحركة ومزوديها بالمال، والسلاح والتدريب. إن خسارة الدعم الإيراني، إذا وصلت الأمور إلى ذلك الحد، سيكون مكلفاً على نحو خاص في لحظة تواجه فيها الحركة صعوبات مالية ويمكن أن تترك حماس دون مورّد موثوق للأسلحة. زد على ذلك أن الخروج من دمشق سيترك الحركة دون مقر بديل مرموق، ما سيجبر القيادة في الخارج على التشتت وجعلها عرضة للضغوط السياسية من داعمين محتملين مثل قطر، ومصر، والأردن، وتركيا، وجميعهم حلفاء بدرجات متفاوتة للولايات المتحدة.

2. التوسط

عندما وجدت حماس نفسها عالقة بين خيارين غير جذابين، سعت لعدم اختيار أي منهما.[42] "نريد أن يكون لنا علاقات متوازنة؛ لا نريد أن

[35] أحد أعضاء قيادة حماس في الخارج قال، "صحيح أننا كنا في وضع بالغ الصعوبة. من جهة، كان علينا أن نكون أوفياء للقيادة التي ساندتنا. كانت سورية البلد العربي الوحيد الذي استقبلنا ودعمنا. من جهة أخرى، فإن الشعب السوري قدم لنا دعماً كبيراً ورحب بوجودنا بينه". وفي إشارة إلى حديث شريف، تابع قائلاً: "تنصر أخاك بإخباره عن أخطائه. وبهذا نظهر وفاءنا للقادة السوريين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011.

[36] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011.

[37] "بسبب الموقف الذي اتخذه أبو عمار [عرفات] في حرب الخليج الأولى، خسر الفلسطينيون كل شيء. لن ترتكب حماس نفس الخطأ". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع باسم نعيم، وزير الصحة في غزة، مدينة غزة، 11 أيلول/سبتمبر 2011. أحد أعضاء المكتب السياسي أضاف: "لن ترى بياناً من حماس حول تونس أو مصر. لقد تركنا ذلك للشعب كي يقرر. هذا هو موقفنا: ألاّ نرتكب خطأ عرفات في الكويت". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 أيلول/سبتمبر 2011. *The New York Times*, 13 February 1991.

[38] أحد قادة حماس قال، "نحن حركة إسلامية، ومرجعيتنا هي الشريعة. الشريعة لا تقول لنا أن نقف مع من يمارس القمع حتى إذا كان حليفنا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[39] على حد تعبير أحد مسؤولي حماس الذي غادر دمشق في أواخر صيف 2011، "قبل الانتفاضة في سورية، كان الإخوان المسلمون السوريون يعبرون فقط عن الخوف أو الخشية من تحالفنا مع الأسد. كان هناك انتقاد ضمني لحماس ـ تحذير في الواقع ـ بأن الأسد سيتحول ضدنا كما فعل مع الآخرين؛ أو أن الأسد سيستعملكم كورقة مساومة ويتخلى عنكم في النهاية، عندما يرضخ للمطالب الدولية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[40] أحد قادة حماس لاحظ أن من بين الدول القليلة، باستثناء إيران، التي تقدم قدراً من الدعم لحماس كان أولئك الذين يدعون الأسد للتنحي. "قام خالد مشعل بزيارة عدة بلدان في المنطقة، بما في ذلك قطر وتركيا، رغم توتر علاقاتها مع سورية. هذه الدول تدعم غزة. النظام السوري لم يعد له أصدقاء في المنطقة، وإذا قاطعنا جميع البلدان التي تعارضه، فسنصبح معزولين بشكل كامل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011.

[41] في نيسان/إبريل 2012، قال مسؤول في حماس إن مباني وسيارات، ومعسكرات، وجمعيات الحركة وغيرها من الأصول كانت ما تزال مملوكة من قبل النظام. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، نيسان/إبريل 2012.

[42] "نحن عالقون بين نارين: موقفنا من النظام وموقفنا من الشعب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في حماس مقره دمشق، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

نكون جزءاً من المحاور"، على حد تعبير عضو في قيادة الخارج.[43] لتحقيق هذا، حاولت التوسط في الأزمة، وشجعت الأسد على إجراء إصلاحات كان يمكن أن تساعده على تجنب إراقة الدماء. في 12 شباط/فبراير 2011، اليوم الذي سقط فيه مبارك، التقى مشعل بالأسد، الذي سأل، طبقاً لزعيم حماس، حول الشائعات القائلة بأن الإخوان المسلمين المصريين وصلوا إلى اتفاق مع الولايات المتحدة:

> أكد مشعل للأسد أن الانتفاضة في مصر كانت ثورة شعبية وليست مؤامرة أمريكية. قد يكون صحيحاً أن مصلحة الإخوان المسلمين ومصلحة الولايات المتحدة التقتا على الإطاحة بمبارك. إلا أن الإدارة الأمريكية كانت تريد [رئيس المخابرات المصرية السابق] عمر سليمان كبديل، وكان الإخوان المسلمون ضده تماماً. في هذا الاجتماع، أخبر مشعل الأسد، "أن سياستكم الخارجية ممتازة. وشعبكم يحبكم. لكن ذلك لا يكفي؛ لأن الشعب يريد الإصلاح". أخبرنا الأسد، "أن سورية لن تستثنى من الربيع العربي. لا شيء سيوقف موجة الاحتجاجات هذه في العالم العربي".[44]

بدأت المظاهرات في سورية بعد شهر. بحلول نهاية آذار/مارس 2011، أدان الشيخ يوسف القرضاوي، أبرز العلماء المسلمين الأحياء، والذي يتبعه أنصار الإخوان المسلمين وحماس، بقسوة النظام السوري في خطبة الجمعة التي بثت على الهواء على المحطات الفضائية.[45] قال القرضاوي إن الأسد كان "سجيناً لحاشيته وللطائفة [العلوية]"؛ وإن سورية كانت "بحاجة للثورة أكثر من البلدان الأخرى"؛ وإن نظامها "لم يكن يكترث لحرمة المساجد"، التي قتل فيها المواطنون السوريون.[46] طلب النظام السوري من حماس إدانة خطبة القرضاوي.[47] ونشرت عدة مواقع إخبارية سورية على الإنترنت مقالات تقول بأن مشعل فعل ذلك، لكن المكتب السياسي لحماس سارع إلى إنكار التقارير: "نحن بالتأكيد ننكر المزاعم التي نشرتها بعض المواقع الإلكترونية حول رئيس المكتب السياسي لحركتنا للأحداث الراهنة في سورية، خصوصاً فيما يتعلق بتصريحات الشيخ يوسف القرضاوي".[48]

تصاعدت الضغوط من النظام السوري. وأُبلغت الحركة بأنها إما أن تكون مع النظام أو ضده وطلب منها إصدار تأييد.[49] أعطت حماس مسودة بيان للسوريين كي يراجعوه؛ فوجدته الحكومة مؤيداً بشكل غير كافٍ.[50] ثم أعيدت صياغة البيان بطريقة وصفها مسؤلو حماس بأنها لم تعجب النظام لكنه قبلها.[51] النسخة النهائية والمترددة التي نشرت على موقع حماس على الإنترنت نصت على ما يلي: "إننا نعتبر ما يحدث مسألة داخلية تتعلق بإخواننا السوريين. رغم ذلك، فإننا في حركة حماس، وبحكم مبادئنا، واحترامنا لإرادة وتطلعات الأمتين العربية والإسلامية"، "نأمل بأن يتم تجاوز الظروف الراهنة بطريقة تحقق آمال وتطلعات الشعب السوري وتحافظ على استقرار سورية وتماسكها الداخلي".[52] أحد مسؤولي حماس في دمشق قال إن أعضاء الجهاد الإسلامي والفصائل الأخرى تذمروا من أن حماس لم تتشاور معهم حول البيان. في هذه الأثناء تابعت حماس جهودها للتوسط في الأزمة.[53] في نيسان/إبريل 2011، وبعد التشاور مع

---

[43] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012.

[44] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011.

[45] "Qaradawi condemns 'atrocities' against protesters in Syria", *Gulf Times*, 26 March 2011. أحد مسؤولي حماس في دمشق قال إن علماء الدين السنة، مثل الأستاذ في جامعة دمشق محمد سعيد رمضان البوطي والمفتي الأكبر في سورية الأستاذ أحمد حسون، قبلوا بطلب النظام بأن يتحدثوا ضد القرضاوي وبالتالي خسروا قدراً كبيراً من الاحترام. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رفح، أيلول/سبتمبر 2011. لمزيد من المعلومات، انظر Crisis Group Middle East Report N°109, *Popular Protest in North Africa and the Middle East (VII): The Syrian Regime's Slow-motion Suicide*, 13 July 2011.

[46] الأسد، كما قال القرضاوي، "لا يستطيع التخلص منهم [الحاشية والطائفة العلوية]. إنه يرى بأعينهم ويسمع بآذانهم" "Leading Sunni Scholar Sheikh Yousuf Al-Qaradhawi Supports the Syrian Revolution and Slams President Al-Assad for Crackdown on Demonstrations", MEMRI, 31 March 2011. العلويون - الذين يعودون في جذورهم إلى القرن التاسع ويأخذون اسمهم من علي، رابع الخلفاء وصهر الرسول محمد - حاولوا لوقت طويل الحصول على الاعتراف بأنهم مسلمين، بما في ذلك من السنة والشيعة. سأل القرضاوي، "هل سورية مزرعة ورثتها عن أبيك أو عن جدك، بحيث تستطيع أن توجه النشاط السياسي وتسيطر على قانون الطوارئ؟ " المرجع السابق.

[47] أحد مسؤولي حماس في دمشق قال، "استدعيت حماس من قبل الأجهزة الأمنية وطلب منها توضيح موقفها والرد على تصريحات القرضاوي. حاولت الحركة إيجاد مخرج لبق لذلك. لا يستطيعون التحدث ضد النظام، ولا يستطيعون التحدث ضد القرضاوي. تمكنوا من التملص من الموضوع". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رفح، أيلول/سبتمبر 2011.

[48] اقتبست المواقع الإلكترونية قول مشعل، "أدعو الشيخ القرضاوي أن يصدر أحكامه من ضميره وأن يحرر نفسه من الضغوط المفروضة عليه من قبل أطراف معينة يعتقد أنها أهل للثقة" "Hamas is 'backing protesters' says Syria", *The Los Angeles Times*, 2 October 2011.

[49] "طلبوا منا أن نتخذ موقفاً. رفضنا. قلنا، 'إنها أزمة. إذا أردتمونا أن نتكلم، فسيكون علينا أن نقول كل شيء'. وهكذا قالوا، 'صمتكم أفضل'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2010. انظر أيضاً *نيويورك تايمز*، 2 أيار/مايو 2011.

[50] أحد مسؤولي حماس في دمشق استذكر الرد السوري: "كان رد فعلهم، 'نحن نريد موقفاً واضحاً. هل أنتم مع النظام أو ضده؟'" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[51] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، أيلول/سبتمبر 2011.

[52] "سورية تقف مع 'الإخوان السوريين'، *الأهرام* (على الإنترنت) نيسان/إبريل 2011.

[53] "اتخذنا الكثير من المبادرات لوقف حمام الدم. لم يستمع النظام لنا. قلنا لهم، 'لماذا لا توقفون الخيار الأمني، وسنساعدكم في التوصل إلى حل'. قالوا هذا ليس حلاً أمنياً". إذا لم يكن كذلك، فكيف هو الحل الأمني؟ هذا هو موقفنا؛ لا نستطيع أن نعبر عنه علناً في وسائل الإعلام". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011. لمزيد من المعلومات، انظر Crisis Group Report, *The Syrian Regime's Slow-motion Suicide*, op. cit.; Crisis Group Middle East Briefings N°31, *Uncharted Waters: Thinking Through Syria's Dynamics*, 24 November 2011; N°32, *Now or Never: A Negotiated Transition for*

حزب الله وإيران، اقترحت على الأسد أن يعلن عن رزمة من الإصلاحات، في حين تدير الحركة المفاوضات مع المعارضة.[54] إلا أن شخصيات المعارضة التي كانت حماس تخطط للاجتماع بها اعتقلت، وطلب النظام من الحركة وقف مبادرتها بعد أيام فقط من اقتراحها.[55] في 15 نيسان/إبريل، ذكر أن الأمين العام لحزب الله حسن نصر الله زار سورية لإقناع الأسد بمزايا الخطة؛ وفي اليوم التالي، في خطابه الرئيسي الثاني منذ بداية الانتفاضة، وعد الأسد بسلسلة من الإصلاحات، بما في ذلك إلغاء قانون الطوارئ. "لكن مرة أخرى"، كما قال أحد قادة حماس، "فإن مشاكل بنيوية، وسوء الإدارة، والتقدير السيء للوضع وضع حداً للإصلاح. إن النظام يحفر قبره بيده".[56]

3. المواجهة

مع عدم ظهور بوادر لنهاية الأزمة في الأفق، خرج صراع حماس مع الحكومة السورية إلى العلن بشكل متزايد. في بداية الانتفاضة، كانت الحركة قد عرضت إرسال كبار قادتها للتحدث إلى المخاتير في درعا، حيث بدأت الاحتجاجات. وافق النظام في البداية ثم، عشية الاجتماع المزمع في أواخر نيسان/إبريل 2011، تراجع، متذرعاً بمخاوف أمنية. طبقاً لمسؤول للحركة في دمشق، فإن وجهاء درعا انتظروا زيارة من حماس لكنهم ووجهوا بالدبابات بدلاً من ذلك؛ وقال، "وهذا وضع حماس في موقف محرج جداً". في مقابلة مع مشعل بعد أسبوعين، وصف الأحداث في العالم العربي بأنها "جميلة" وقال إن ثمة حاجة للحرية والديمقراطية في سورية.[57]

مع ابتعاد الحركة المتزايد عن النظام السوري، وسفر مسؤوليها إلى الخارج بتواتر أكبر، مورست ضغوط مكثفة على قيادتها، ليس من قبل الحكومة بل من قبل حلفائها بما في ذلك الجهاد الإسلامي، وحزب الله وإيران.[58] مسؤولو حماس يقولون إنهم كانوا عرضة للسخرية على محطات الإذاعة السورية؛ واتهموا، في التقارير الأمنية التي كانت تضعها الفصائل الفلسطينية الموالية للنظام مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، بالتحدث ضد الحكومة؛ وتم استدعاؤهم إلى الأجهزة الأمنية للدفاع عن أنفسهم ضد مثل تلك التقارير؛ وتعرضوا لتحقيقات مكثفة في المطار من قبل المسؤولين السوريين القلقين من أن مصداقية النظام ستتلاشى إذا لم نعد؛[59] ويسألون من قبل حلفاء الحكومة لماذا لم نؤيد النظام؛[60] وطلب منهم تشكيل لجان أمنية لقمع المظاهرات.[61]

أحد مسؤولي حماس في دمشق وصف "كميناً" تعرض له مشعل لدى وصوله إلى ما كان يعتقد أنه اجتماع مع مسؤول في المخابرات السورية ليجد أن مضيفه كان قد جمع قادة الاحتجاجات وطلب منه أن يلقي أمامهم خطاباً ارتجالياً موالياً للنظام.[62] نشرت الصحف تقارير غير مؤكدة تفيد بأن ابنة مشعل وصهره اعتقلا. وقال مسؤولو النظام إن قادة حماس "أداروا ظهورهم لسورية"، "ووقفوا مع أعداء سورية" وحتى "أرسلوا المال للمجموعات المعادية للنظام". "داخل الأجهزة الأمنية السورية"، كما قال أحد قادة الحركة في كانون الأول/ديسمبر 2011، "هناك غضب وأحياناً تحريض ضدنا. بعضهم أخبرنا بأن نتوخى الحذر".[63]

4. تقاطع النيران

بدأ العنف المتصاعد بإحداث أثر على أعداد متزايدة من اللاجئين الفلسطينيين، مما جعل الوقوف على الحياد أمراً صعباً بشكل متزايد

Syria, 5 March 2012; N°33, *Syria's Phase of Radicalisation*, 10 April 2012; and Report N°128, *Syria's Mutating Conflict*, 1 August 2012.

[54] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[55] طبقاً لأحد قادة حماس، "قبلت المبادرة من قبل القيادة السياسية، لكن السلطات الأمنية عرقلتها. في سورية، هناك فرق بين الأجهزة الأمنية والقيادة السياسية. الأجهزة الأمنية غير راضية عن موقفنا وهي تطلب إعلانات داعمة للنظام وضد المتظاهرين؛ أما القيادة السياسية فتتفهم موقفنا وتعتبره متوازناً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011.

[56] "الأسد يتعهد برفع قانون الطوارئ الأسبوع القادم"، رويترز، 16 نيسان/إبريل 2011. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011. جُربت مبادرات أخرى في أيار/مايو 2011، عندما التقى مشعل بنائب الرئيس السوري فاروق الشرع، ونصح النظام، على حد تعبير أحد قادة حماس، بأن "يوقف القتل كي يتمكن من الشروع بالوساطة". في أيلول/سبتمبر 2011، قال أحد قادة حماس، "الآن، لا أعتقد أنه يمكن لأي مبادرة أن تنجح. حسن نصر الله يريدنا أن نحاول، لكني أعتقد أن الأوان قد فات". المرجع السابق. مبادرة فاشلة أخرى أطلقت في تشرين الثاني/نوفمبر 2011، خلال عيد الأضحى. كانت إيران قد طلبت أيضاً من حماس المساعدة في التوسط في الأزمة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[57] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، رفح، مدينة غزة، أيلول/سبتمبر، كانون الأول/ديسمبر 2011؛ "Syria deploys tanks for first time", *Financial Times*, 26 April 2011;

Crisis Group Report, *The Syrian Regime's Slow-motion Suicide*, op. cit., fn. 250, p. 25.

[58] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[59] "كل شيء نقوله يخضع للمراقبة. في المطار كانوا يسألون أبو الوليد [مشعل] لماذا يغادر في كل مرة. الآن العلاقات مع النظام تقوم فقط على اللياقة الدبلوماسية، بحكم تاريخنا معاً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، القاهرة، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[60] "ضغوط إضافية مورست ليس من قبل النظام بل من قبل إيران، وحزب الله، والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، وجميعهم كانوا يسألون، 'لماذا لا تقفون مع النظام؟'" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، مدينة غزة، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[61] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[62] "لم يكن مشعل قد أُخبر بأن قادة الاحتجاجات سيكونون في الاجتماع. طلب منه أن يلقي خطاباً ضد المظاهرات. أكد على دور حماس في مساعدة سورية في الخروج من الأزمة. وقال بأنه يدعم المطالب بالعدالة الاجتماعية والقضائية كما تحدث عن مزايا دعم المقاومة من قبل الشعب السوري والنظام. حاول أن يرضي الجميع". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، رفح، أيلول/سبتمبر 2011.

[63] "Hamas is 'backing protesters' says Syria", *The National*, 2 October 2011. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

بالنسبة لحماس. في حزيران/يونيو 2011، نظمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، التي كانت قد ساعدت مع فصائل فلسطينية أخرى على قمع احتجاجات للسوريين، مسيرة للاجئين الفلسطينيين باتجاه الحدود المزروعة بالألغام مع إسرائيل، ما نتج عنه أكثر من عشر وفيات.[64] عندما اتهم أهالي الضحايا الفصائل باستعمال المسيرة لصرف الانتباه عن المشاكل الداخلية في سورية ورموا الحجارة على مكاتب الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، أطلق الحراس النار على المتظاهرين فقتلوا 11 شخصاً على الأقل.[65] بعد شهرين هاجمت القوات السورية حي الرمل في مخيم اللاجئين الفلسطينيين باللاذقية، ما أدى إلى هروب 5,000 – 10,000 قاطن.[66] بعد أن رفضت حماس طلب النظام المساعدة في احتواء المظاهرات، ذُكر أن النظام استعمل رجالاً يرتدون ملابس تحمل شعار حماس لإطلاق النار على المحتجين من أجل توريط الحركة في عمليات القمع.[67]

أما العلاقات مع المعارضة فكانت تحتوي مشاكلها الخاصة بها. عبّر المتظاهرون عن غضبهم إزاء ما رأوه من عدم دعم الفلسطينيين لهم،[68] ما دفع أكثر من واحد من قادة حماس للقول بأن الحركة "علقت في تقاطع النيران بين المعارضة والنظام".[69] أحد مسؤولي حماس قال إن الإخوان المسلمين السوريين كانوا قد طلبوا في البداية من الحركة أن تنتقد الحكومة، لكن القيادة العالمية للإخوان المسلمين تدخلت. "قد يحملون بعض الاستياء في قلوبهم"، واصفاً الفرع السوري، "لكنهم سيظلون هادئين".[70]

رغم أن مسؤولي الحركة قالوا إن جهودهم لشرح مأزقهم الحرج كانت "قد نجحت بتهدئة الطرفين"، وقال أحدهم أن المعارضة كانت قد أخبرت حماس بأنها "على الرحب والسعة دائماً في سورية"، فإنهم استمروا في مناقشة تكاليف ومزايا مغادرة دمشق بشكل نهائي.[71] في كانون الأول/ديسمبر 2011، قال أحد قادة حماس الكبار في غزة:

> الأمر محرج لنا. نتحدث عنه. علينا أن نغادر. لكن ينبغي أن تفهم أن لدينا إحساس بالامتنان للنظام. لقد فعلوا الكثير من أجلنا. وهناك الكثير من العلاقات الحميمة، على المستوى الشخصي. لكن سياسياً، ما من سبب للبقاء.[72]

أحد قادة حماس قال معلقاً على انتقادات المعارضة السورية للحركة، "أنا أقر بأن البقاء هناك هو شكل من أشكال دعم النظام". لكنه أكد على أن مقاومة حماس للضغوط المكثفة من مضيفيها وداعميها تعتبر "ميزة هائلة" للحركة: الفصيل الوحيد المقيم في دمشق الذي اتخذ موقفاً ضد النظام كان حماس. وحده تنظيم يمتلك رأس مال هائل من

[64] المجموعات الفلسطينية الأخرى التي شاركت في قمع الاحتجاجات تشمل الصاعقة وفتح الانتفاضة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011. مثقف فلسطيني بارز قال، "لدينا فصائل على قمع أو قتل الناس في سورية ـ هذا عار علينا كفلسطينيين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، شباط/فبراير 2012. "Up to 12 killed as Palestinian refugees are drawn into Syria revolt", *The National*, 8 June 2011.

[65] "Hamas is 'backing protesters' says Syria", *The National*, 2 October 2011. تقارير أخرى تقول إن عدد الذين قتلوا كان أربعة عشر؛ انظر *نيويورك تايمز*، 7 حزيران/يونيو 2011.

[66] "Syrian enclave of Palestinians nearly deserted after assault", *The New York Times*, 16 August 2011. بحلول تموز/يوليو 2012، انجر الفلسطينيون بشكل متزايد إلى الصراع في سورية. اختطف أكثر من عشرة أفراد من جيش التحرير الفلسطيني وقتلوا ذلك الشهر (طبقاً لتقارير غير مؤكدة من قبل أعضاء المعارضة)، وتظاهر آلاف الفلسطينيين في مخيم اليرموك تضامنا مع احدى عشر متظاهراً غير مسلحاً ضد النظام كانوا قد قتلوا، وانتشر القتال بين الجيش السوري الحر والنظام إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين. انظر "Palestinian camps in Syria: Pulled into the fray", *Al-Akhbar*, 17 July 2012. في 2 آب/أغسطس 2012، قصف الجيش السوري مخيم اليرموك للاجئين فقتل حوالي 20 قاطناً، واستأنف القصف على المخيم بعد يومين. "Syrian army resumes shelling Yarmouk camp", Ma'an News Agency, 4 August 2012.

[67] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع كوادر من حماس، دمشق، تموز/يوليو 2011.

[68] حاولت حماس مواجهة الآثار السلبية للدعم المقدم للنظام من قبل مجموعات فلسطينية مثل الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ـ القيادة العامة، والصاعقة وفتح الانتفاضة: "في بعض المظاهرات، بدأ الناس بملاحقة جميع الفصائل الفلسطينية، بما في ذلك حماس، لم تصرح علناً عن دعمها للمظاهرات. بدأت حماس بالتواصل مع المخاتير، ورجال الدين والعناصر الأخرى المرتبطة بالثورة ـ من أجل شرح وجهة نظرها. وأدى ذلك إلى تراجع الانتقادات الموجهة لحماس". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، رفح، 10 أيلول/سبتمبر 2011

[69] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة حماس، بيروت، مدينة غزة، أيلول/سبتمبر 2011.

[70] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[71] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد مسؤولي حماس، مدينة غزة، 10 أيلول/سبتمبر 2011. الشعب السوري متفهم جداً لموقف حماس. إنهم يقبلون صمتنا. إنهم يقدرون حقيقة أننا نحن فقط قاومنا الضغوط السورية، في حين أن جميع الفصائل الأخرى وقفت مع النظام. ما زال الشعب السوري يدعم المقاومة، وقد قالوا لنا بأنهم دائماً يرحبون بنا في سورية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011. في أيلول/سبتمبر 2011، قال محلل فلسطيني في مؤسسة تابعة لحماس في قطاع غزة، "وجود القيادة الفلسطينية لمنظمة حماس في دمشق، حيث أجبرت على غض النظر عن محاربة سورية للإسلاميين منذ مجزرة حماه عام 1982، علمتها البراغماتية. لن ترى نفس البراغماتية لدى قيادة الداخل. فيما يتعلق بالقرار بمغادرة دمشق أو البقاء فيها، ستطلب القيادة الداخلية من حماس المغادرة لأسباب أخلاقية أو دينية؛ أما القيادة في الخارج فتريد أن تبقى لأسباب عملية. كلا الطرفان لديهما حجة مشروعة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 10 أيلول/سبتمبر 2011.

[72] وأضاف: "إذا كان الاحتفاظ بمكاتب في دمشق يتناقض مع المواقف الشعبية، فإن هذا خطأ. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 14 كانون الأول/ديسمبر 2011. أحمد يوسف، المستشار السابق لرئيس الوزراء إسماعيل هنية، لخص تردد الحركة على النحو التالي: "لا يمكن لحماس أن تكون حركة إسلامية حقيقية في حين تقف مع أنظمة مجرمة ضد الشعب. وسيكون من الخطأ الافتراض بأن الغموض أو التردد الظاهري يشير أو ينطوي على دعم للنظام في دمشق ... في بعض الأحيان، قد يسعر رجل حر إلى صداقة عدو من أجل البقاء". انظر "Hamas's Iran connection", *Al-Ahram Weekly*, 16-22 February 2012.

الدعم الشعبي يمكنه فعل ذلك. ليس من السهل أن تقول 'لا' لجهة دعمتك لمدة خمسة عشر عاماً".[73]

قارن قادة حماس موقفهم بموقف حزب الله، الذي وصفوا دعمه الثابت والمستمر للنظام بأنه "خطأ كبير"،[74] وهو خطأ أدى إلى "خسارة نصر الله للعرب، وليس فقط للشعب السوري".[75] قائد في حماس يحتفظ بعلاقات وثيقة مع سورية وحزب الله قال، "حزب الله منزعج من موقفنا. أخبرناهم بأنكم كحركة مقاومة كان ينبغي عليكم، قبل أي أحد آخر، أن تقفوا إلى جانب الشعب. إنهم لا يريدون الإصغاء".[76] في نفس الوقت، فإنه عبر عن تفهمه لاعتماد حزب الله الأكبر على سورية ولشعور نصر الله بأنه "مدين لبشار ـ وأنه دونه كان سيخسر الحرب [مع إسرائيل عام 2006]. بالنسبة لحزب الله، سورية هي الرئة. سورية هي دعامة محور المقاومة. إنها المكان الذي تأتيه منه الأسلحة. سقوطها يعني خسارة استراتيجية".[77]

إلا أن "الخاسر الأكبر"، من وجهة نظر حماس، سيكون إيران. "سورية بوابتها إلى العالم العربي"، على حد تعبير أحد قادة حماس الكبار. "بالنسبة لنا، فإن خسارة سورية عوضناها بسقوط مبارك".[78] من بين الأعضاء الأربعة فيما يسمى "محور المقاومة" ـ حماس، وحزب الله، وإيران وسورية ـ كانت حماس الأقل اعتماداً على بقاء النظام السوري وكانت دائماً تبدو العنصر الأقل طبيعية في ذلك المحور، العضو السني الوحيد فيه.[79] مع اتخاذ الصراعات في سائر أنحاء المنطقة، وليس فقط في سورية بل في البحرين، واليمن، والعراق، صبغة طائفية بشكل متزايد، حيث تشكو الدول السنية من الدور الحقيقي أو المتخيل لإيران في كل منها، وجدت حماس صعوبات متزايدة في المحافظة على تحالفاتها السابقة.[80] "لن نكسب

[73] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. وأضاف: "أعطينا [الأسد] هذه الورقة بعد دعمنا لمدة 15 عاماً. وفعلنا ذلك لضمان حرية حركتنا. لكن موقفنا واضح: لن نشارك في أي صراع داخلي. كما أن حماس تلعب دوراً في تحقيق المصالحة بين الأطراف في سورية". في تفسيره لعدم مغادرة حماس لسورية، قال نائب وزير في قطاع غزة، "نحن حركة مقاومة، ومثل تلك الحركات بحاجة دائماً للحماية. حتى الآن، لم نخسر كثيراً بسبب وجودنا هناك. العديد من المراقبين الخارجيين يجدون مشكلة في التوصل إلى التقييمات الدقيقة. طالما ظلت الأمور تسير لصالحك، تبقى. تبطئ المسائل، لكن تبقى. حماس تقيّم الوضع في سورية بشكل يومي. إذا نجحت الثورة السورية، فإن الوضع هناك سيكون أفضل بالنسبة لحماس". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 15 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[74] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في حماس، القاهرة، مدينة غزة، الخليل، نابلس، أيلول/سبتمبر 2011، كانون الأول/ديسمبر 2011، شباط/فبراير 2012. "خسر حزب الله الكثير بسبب مواقفه. كانت صور حسن نصر الله ترفع في كل مكان في سورية مع صور بشار الأسد. والآن يتم تمزيقهما وحرقهما معاً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011. نائب وزير من حماس في غزة قال، "نحن على عكس حزب الله. لقد سقط حزب الله على جبهتين: لقد أصبحوا موالين أكثر من اللازم لسورية وإيران؛ ودعموا النظام السوري لأنهم شيعة [البعض يعتبر العلويين فرع من الشيعة]. على النقيض من ذلك فإن حماس تحتفظ بعلاقات متوازنة مع الجميع: الشيعة، والسنة، والقوميين، والليبراليين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 15 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[75] "في مصر، هم غاضبون جداً منه. أخبرناه، 'كانت صورتك تعلق في الأزهر. كل ما كسبته حتى الآن، خسرته في الأزمة السورية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[76] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011. "لا أعرف بما يفكر حزب الله. إن دعمهم الكامل للنظام وإغضاب الشعب ليس لمصلحتهم. إنهم يراهنون بكل شيء على النظام. صحيح أن بشار الأسد قدم لهم ما لم يقدمه أحد آخر، ولا حتى حافظ [الأسد الرئيس السابق ووالد بشار]. اعتبروا الانتفاضة مؤامرة ضد المقاومة. أخبرناهم، 'لا نستطيع أن نقبل قتل الأبرياء. قد يكون هناك تدخل أجنبي، بالنظر إلى الموقع الاستراتيجي لسورية، لكن لا تستطيع أن تختزل المعارضة كلها إلى مؤامرة أمريكية. صحيح أن البعض في المعارضة مسلح، والبعض يتحدث حتى عن سيناريو ليبي، [للتدخل الخارجي]. لكن ذلك لم يكن هو الحال في البداية. حدث هذا بعد ستة أشهر من الاحتجاجات'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، بيروت، 15 أيلول/سبتمبر 2011.

[77] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[78] المرجع السابق.

[79] إن الابتعاد عن سورية وإيران سيكون عودة إلى وضع الحركة في الأيام الأولى عندما كان، على حد تعبير الباحث متي ستاينبيرغ، "الحاكم العربي الوحيد الذي انتقدته حماس شخصياً وبحدة كان الرئيس السوري حافظ الأسد". في الثمانينات كانت حماس تشير إلى الحزب الشيعي اللبناني، أمل، على أنه "إبهام سورية" وفي عام 1989، تحدث الشيخ ياسين بلهجة طائفية ضد حزب الله، قائلاً "إن المسلمين سنة لا شيعة، ... أعتقد أن حزب الله الحقيقي يلتزم بمبادئ كتاب الله [القرآن] وسنة نبيه". "مقابلة مع الشيخ ياسين"، *النهار* (القدس الشرقية)، 30 نيسان/إبريل 1980، مقتبس في Matti Steinberg, *Facing their Fate*, op. cit. خلال الحرب الإيرانية العراقية، حافظت حماس على موقف رسمي حيادي لكنها حملت إيران مسؤولية إطالة الحرب. في إشارة مبطنة للجهاد الإسلامي، التي احتفظت دائماً بعلاقات قوية مع إيران وتلقت الإلهام من الثورة الإيرانية، قال قائد رفيع في حماس عام 1988 إن "التيار الخميني" سيمر "فوق فلسطين كهبة ريح، دون أثر خاص". مقابلة مع الشيخ خليل القوقا"، *القبس* (الكويت)، 19 آب/أغسطس 1988؛ "مقابلة مع الشيخ خليل القوقا، *الأنباء* (الكويت)، 8 تشرين الأول/أكتوبر 1988، مقتبس في ستاينبيرغ، المرجع السابق. لم تكن التوترات السنية الشيعية بعيدة عن السطح في تحالف حماس مع إيران، حتى قبل الانتفاضات الإقليمية؛ في تشرين الثاني/نوفمبر 2010، قال أحد قادة حماس في قطاع غزة، "عندما يتعلق الأمر بالشيعة، إذا ركزنا على الاختلافات، فلن يكون هناك سوى الحرب. في عام 2006، رفضنا طلب إيران فتح عيادة صحية في غزة باسم الخميني". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع وزير الصحة في قطاع غزة باسم نعيم، مدينة غزة، 13 تشرين الثاني/نوفمبر 2010. انظر أيضاً Crisis Group Report, *Radical Islam in Gaza*, op. cit.

[80] في كانون الثاني/يناير 2012، ذكرت مجموعات حقوق الإنسان في قطاع غزة أن قوات أمن حماس كانت قد ضربت وحققت مع مجموعة تتكون من حوالي 20 مصلياً يحتفلون بالأربعين، وهي مناسبة شيعية، في سكن خاص في بيت لاهيا. انظر "PCHR Condemns Use of Force by Security Officers against a Number of Palestinians While Performing Shiite Rituals", Palestinian Centre for Human Rights, 16 January 2012; "Al Mezan Condemns Assault against Group of Palestinians in Beit Lahiya and Calls for Investigations", Al Mezan Center for Human Rights, 16 January 2012. وزارة الداخلية في قطاع غزة أشارت إلى المصلين

إيران ونخسر العرب"، قال أحد قادة الحركة. "حماس حركة سنية مع المقاومة. لا زلنا نرى أنه يمكن التوفيق بين الأمرين".[81]

5. تحالفات متعارضة

مع وصول حلفاء حماس الإسلاميين إلى السلطة، واجهت الحركة مطالب متصاعدة للاختيار بين حلفائها في الصراع الإقليمي المتصاعد. كما في حالة الصراع السوري، ما كان يمكن لحماس أن ترضي إيران أو خصومها بشكل كامل.[82] وصلت التوترات حول رفض الحركة دعم الحكومة السورية إلى نقطة توقفت فيها إيران، ثم قلصت تمويلها لحماس،[83] رغم أن تلك العلاقات أعيد إصلاحها لاحقاً.[84] مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال، "تحاول حماس جسر الفجوة بين المعسكرين الإسلامي السني والإيراني، والذي يتسع بشكل متزايد مع الأزمة في سورية. بوسعي أن أتخيل كيف يشعرون الآن".[85] طالما قللت حماس من أهمية تبعات خسارة الدعم الإيراني.

"عندما يغلق باب، يفتح آخر"، على حد تعبير أحدهم. "أغلقت إيران، انفتحت مصر؛ زادت الضغوط في سورية وخفت في الأردن".[86] قائد آخر أشار إلى ميزة خفية في تردّي العلاقات مع إيران، واصفا إياها بأنها "دليل على استقلالنا".[87] قائد ثالث قال:

> يمكن أن يكون الضغط الإيراني لصالح حماس. الوضع الجديد يوضح أننا لسنا تابعاً أو عميلاً لإيران. لقد عزز هذا من موقف حماس في العديد من البلدان، خصوصاً في بلدان الخليج، وفي العالم السني. مشعل قال بوضوح في خطابه في إيران في تشرين الأول/أكتوبر [2011]: "لا نستطيع أن ندعم الأنظمة ضد شعوبها. نحن نؤيد الحوار". وقال ذلك في إيران![88]

رغم ذلك فإن التصعيد الذي حدث في آذار/مارس 2012 في الهجمات بين إسرائيل ومتشددين من غزة تدعمهم إيران، بشكل أساسي أعضاء لجان المقاومة الشعبية والجهاد الإسلامي، ذكّرت حماس بمدى السهولة التي يمكن للقوى الخارجية فيها أن تقوض سيطرتها على غزة. قبل ثلاثة أشهر من التصعيد، كان أحد قادة حماس قد وصف المخاطرة على النحو الآتي:

> حركة الجهاد الإسلامي ليست ذات هيكلية منظمة، ولا ذراعها العسكري جيد التنظيم. إنهم مخترقون من قبل إيران وحزب الله وفتح. في بعض الأحيان يعملون طبقاً لما يعتقدون أن جمهورهم يحب أن يسمع. أحد ما من الخارج يطلب منهم إطلاق الصواريخ فيفعلون.[89]

مسؤولو حماس أنكروا علناً (رغم أنهم لم ينكروا دائماً في مجالسهم الخاصة)[90] أن هنية وخلال جولة إقليمية في شباط/فبراير 2012 حثته

على أنهم "مجموعة غير مشروعة لها آراء فاسدة وكانت تخطط لارتكاب جرائم". "Shia group 'attacked by police' in Gaza", Ma'an News Agency, 17 January 2012.

[81] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012.

[82] "إيران غير راضية عن موقفنا فيما يتعلق بسورية، والدول العربية السنية تلومنا لتلقي الأموال من إيران. عندما اجتمع [وزير الخارجية السعودي] سعود الفيصل مع خالد مشعل، لم يقل، 'نحن سندفع لكم'. ما تزال السعودية منزعجة من حماس. إنهم يتهموننا بالقيام بانقلاب على اتفاق مكة [بين فتح وحماس في شباط/فبراير 2007]". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012. في كانون الثاني/يناير 2010، قال وزير الخارجية السعودي إنه سأل مشعل عما إذا كانت حماس تقف مع العرب أو مع إيران. "وزير الخارجية السعودي يعقد مباحثات في سورية،" العربية، 5 كانون الثاني/يناير 2010.

[83] أحد أعضاء المجلس التشريعي عن حماس قال، "المشكلة الرئيسية مع التمويل الإيراني كانت مواقفنا في سورية". قائد رفيع أضاف: "إيران، ربما بسبب موقفنا السياسي حول سورية، قلصت تمويلها". مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، بيروت، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. 10 كانون الأول/ديسمبر 2011. في أواخر شباط/فبراير 2012، أشار نائب رئيس المكتب السياسي لحماس موسى أبو مرزوق إلى تناقص الدعم المقدم لحماس: "الإيرانيون ليسوا راضين عن موقفنا بشأن سورية، وعندما لا يكونون راضين فإنهم لا يعاملونك بنفس الطريقة التي كانوا يعاملونك بها في الماضي". "Hamas out of Syria, leader says", Associated Press, 27 February 2012. القائد في حماس، صلاح البردويل، قال إن حماس لم تكن تعتمد على التمويل الإيراني، الذي قال بأنه تراجع بشكل مستمر خلال السنوات الثلاث الماضية. انظر *واشنطن بوست*، 7 آذار/مارس 2012.

[84] في أيلول/سبتمبر 2011، عندما كانت رواتب موظفي الحكومة في قطاع غزة تتأخر بشكل متكرر، قال أحد مسؤولي حماس إن إيران قد وعدت باستئناف الدفعات المتأخرة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، أيلول/سبتمبر 2011. بحلول كانون الثاني/يناير 2012، قال أحد قادة حماس الكبار في قطاع غزة، "لقد استأنفت إيران التمويل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 15 كانون الثاني/يناير 2012.

[85] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمني إسرائيلي رفيع، القدس، 23 شباط/فبراير 2012. في آب/أغسطس أضاف: "تشكل سورية مكان الاختبار للتنافس بين الإخوان المسلمين وإيران. وحتى الآن ظلت حماس واقفة على قدميها وواضعة كل قدم في معسكر - على حساب مرونة المناورة لديها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 2 آب/أغسطس 2012.

[86] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[87] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المكتب السياسي لحماس، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[88] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. قائد رفيع في حماس تحدث حول خطاب مشعل في إيران قائلاً، "ليس سراً أن الإيرانيين عاقبونا عليه". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 20 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[89] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 10 كانون الأول/ديسمبر 2011. مسؤول أمني إسرائيلي رفيع اتفق مع الجزء الأكبر من هذا التقييم: حماس تعمل مع إيران؛ الجهاد الإسلامي تعمل لصالح إيران. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 7 آب/أغسطس 2012. في كانون الثاني/يناير 2012، تحدث قادة حماس عن مبادرة لتوحيد حماس والجهاد الإسلامي، إلا أن المحادثات لا تزال في مرحلة أولية، وما تزال بعيدة عن الخروج بأية نتائج ملموسة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في حماس، مدينة غزة، القاهرة، كانون الثاني/يناير - نيسان/إبريل 2012.

[90] "Hamas's Iran connection", *Al-Ahram Weekly*, 16-22 February 2012, and "Concern over Haniyeh's planned visit to Iran", Agence France-Presse, 10 February 2012.

عدة دول خليجية على إلغاء زيارته المزمعة إلى إيران،[91] التي تحدث أحد قادة حماس عنها قائلاً، "كانت مخططة منذ وقت طويل وأجلت".[92] الانتقادات التي وجهت للزيارة في الصحافة العربية دفعت إلى صدور دفاع عاطفي من أحد المتحدثين باسم الحركة في غزة:

> ماذا يريد المنتقدون؟ العرب، أو معظمهم، يبددون مليارات الدولارات على شهواتهم ونزواتهم، بينما إيران تساعدنا وتظل صامدة ومقاومة في وجه إسرائيل. ... انظر، القادة العرب لا يطرحون المسألة [مسألة القدس] مع الدبلوماسيين الأجانب. فماذا إذاً يريد هؤلاء الناس؟ هل يريدوننا أن نقول للإيرانيين إن مدنيين سيموتون من الجوع وسيفتقرون إلى الرعاية الطبية لأننا لا نقبل المساعدات الإيرانية؟[93]

وصلت التوترات بين تحالفات حماس المتعارضة إلى أوجها عندما ألقى هنية خطبة في جامع الأزهر في 24 شباط/فبراير 2012. بعد أيام فقط من زيارته إلى إيران التي قوبلت بانتقادات شديدة، وقف على منبر أكثر المؤسسات نفوذاً في العالم السني، معلناً لحشد من المصلين اجتمعوا للتعبير عن تضامنهم مع فلسطين ومع الانتفاضة السورية:[94]

> مع انتصار الثورة (المصرية)، وانتصار الربيع العربي، رأينا أنفسنا أقرب إلى القدس وأقرب إلى الأقصى. ولذلك أحييكم، وأحيي جميع دول الربيع العربي، وهو شتاء إسلامي أيضاً. وأحيي الشعب السوري البطل الذي يناضل من أجل الحرية، والديمقراطية والإصلاح.[95]

وعندما كان هنية في منتصف خطبته التي استمرت 35 دقيقة هتفت الحشود،[96] "لا إيران، لا حزب الله. سورية، سورية إسلامية"؛ "ارحل، ارحل يا بشار. ارحل، ارحل يا جزار"؛ "ثورة في تونس، ثورة في مصر. ثورة في صنعاء، ثورة في سورية".[97] تصدرت الخطبة عناوين الصحف دولياً، ما شكل إعلاناً لقطيعة حماس مع سورية؛[98] وذكرت المقالات أن الاحتجاجات التي أتت دعماً للانتفاضة السورية كان قد سُمح بها في غزة في الأسابيع الماضية وأن قيادة حماس كانت قد تركت دمشق، منتشرة إلى غزة، ولبنان، والأردن، ومصر، وتركيا وقطر، حيث انتقل مشعل.[99]

لكن إذا كان المقصود من الخطبة أن تكون مؤشراً على قطيعة حماس مع سورية أو إيران، فإن أياً من قادتها لم يعترف بذلك. الناطق باسم حماس الذي حضر الخطبة قال إن العناوين بالغت كثيراً في تفسير معنى كلمات هنية:

> لقد قلنا دائماً بأننا ندعم حقوق الشعب السوري، الفرق هذه المرة هي أننا لم نتبع البيان بالتعبير عن امتناننا للنظام. مع وجود الحشد والمناخ السائد في الأزهر، ومع كل المذابح التي جرت مؤخراً، لم يبدو من المناسب أن نضيف التعابير المعتادة حول عدم الوقوف مع أي طرف وعدم وقوفنا ضد النظام.[100]

---

[91] في حين أن المستشار السياسي لهنية، يوسف رزقة، أنكر أن دول الخليج كانت قد حثت حماس على الغاء زيارتها إلى إيران (انظر *Filistin*, 13 February 2012)، فإن أحد أعضاء المكتب السياسي قال إن بعض هذه الدول فعل ذلك. وقال إن داخل الحركة أيضاً هناك أصوات مختلفة حول القضية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، شباط/فبراير 2012. في اليوم الثاني لوصول هنية إلى طهران، قال أحد قادة حماس في قطاع غزة، "لم يكن هنية يريد الذهاب. بعض دول الخليج طلبت منه أن لا يذهب؛ ونُصح بإلغاء الزيارة، وهذا وضعه في وضع غير مريح. لكن السبب الوحيد الذي يدفع حماس للذهاب إلى طهران هو أنها تساعدها مالياً دون أن تفرض عليها أجندة ـ إنها تريد فقط أن تبقى حماس نشطة؛ ولا تملي عليها سياسة. إذا كانت دول الخليج لا تريد من حماس أن تذهب إلى إيران، هذا حسن: ليستبدلوا الأموال المشروطة التي يدفعونها بتمويل غير مشروط". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 شباط/فبراير، آذار/مارس 2012.

[92] وأضاف: "هنية زار إيران، لكنه زار أيضاً عدداً كبيراً من البلدان العربية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012. إحدى المطبوعات الموالية لحماس أكدت أن الزيارة أتت رداً على "دعوة قديمة". انظر "Pressures on Hamas and the Exit from Syria", *Middle East Monitor*, 15 February 2012.

[93] انظر "Hamas's Iran connection", *Al-Ahram Weekly*, 16-22 February 2012.

[94] وصف الحدث بأنه احتجاج لإنقاذ الأقصى ومساعدة الشعب السوري. *Ahram* (online), 23 February 2012.

[95] يمكن مشاهدة فيديو الخطاب على الموقع www.youtube.com/watch?v=XWX8d9ln8tk.

[96] الدكتور صلاح سلطان، رئيس لجنة القدس في الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين، (الذي يرأسه الشيخ القرضاوي) وقف تحت هنية على المنصة وقاد الحشد في هذا وغيره من الهتافات طوال فترة الخطاب. في كانون الثاني/يناير 2012، استدعي سلطان من قبل النائب العام المصري حول تصريحات أدلى بها ضد المجلس العسكري بعد مقتل جنود مصريين على أيدي الجيش الإسرائيلي في آب/أغسطس 2011، وحول دعوات كان قد أطلقها في نفس الوقت لإعادة إصدار فتوى كانت قد صدرت عام 1994 تحث على قتل الإسرائيليين في مصر. *Ahram* (online), 18 January 2012.

[97] كما هتفت الجموع، "الله، سورية حرية وبس. ... يلي بيقتل أهله وناسو مجرم من راسو لساسو"، في إشارة إلى إيران، "ثورة سورية عربية"، فيديو الخطبة على الموقع www.youtube.com/watch?v=.XWX8d9ln8tk.

[98] انظر على سبيل المثال، "Hamas ditches Assad, backs Syrian revolt", Reuters, 24 February 2012; "Hamas breaks with Damascus", CNN, 24 February 2012.

[99] في حزيران/يونيو 2012، وبعد سبعة أشهر من إعلان حماس أن معظم قادتها الكبار كانوا قد غادروا سورية، قتل أحد قادة حماس في دمشق وهو كمال غناجة. القائد الرفيع في حماس خالد الحية قال إن غناجة وجد مع آثار حروق على جثته. عضو لجنة التنسيق المحلية في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في دمشق خمن أن "الطريقة التي قطعت بها الجثة ومحاولة حرق المنزل كانت كلها أساليب تشير إلى ضلوع قوات الأمن [السورية]". "Hamas official Ghannaja buried in Jordan", Ezzedeen al-Qassam Brigades – Information Office, 30 June 2012; "Hamas member 'killed in Syria'", *The Telegraph*, 28 June 2012. في وقت لاحق قال مسؤولو حماس إن غناجة، الذي ذكر أنه وجد في خزانة في شقته التي تمت مداهمتها، كان قد توفي في حادث. رويترز، 6 تموز/يوليو 2012.

[100] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 شباط/فبراير 2012. كان المكتب السياسي قد اجتمع في القاهرة في نفس الأسبوع الذي ألقى فيه هنية خطبته. كانت معظم أجهزة التلفزيون في غرف الفندق الذي أقام

أحد قادة حماس شرح قائلاً: "خلال زيارة هنية للأزهر، أحرجه الناس. قال، 'نحن ندعم الشعب السوري'. هتفت الجموع ضد حزب الله، وإيران، والأسد. واستمر هنية بالتركيز على الشعب السوري".[101] أجمع زعماء الحركة على التعبير عن خيبة أملهم بالخطبة؛ بعد ساعات من إلقاء الخطبة، قال أحد قادة غزة الكبار ممن حضروا الخطبة إن كلمات هنية "لم يكن مخططاً لها أو متفقاً عليها من قبل الحركة" وكانت "خطأ"[102] وهي فكرة كررها عضوان أساسيان في المكتب السياسي.[103] رغم ذلك فإن مشعل عبر عن دعم قوي للمعارضة في خطابه أمام حزب العدالة والتنمية في المغرب في 15 تموز/يوليو.[104]

في المحصلة، ورغم التوترات، فإن الحركة فهمت بأن تحالفها مع إيران كان يستحق المحافظة عليه. "إيران تدعمنا مالياً"، قال أحد قادة حماس بصراحة. "لا نستطيع مقاطعة إيران".[105] بعد أسابيع من خطاب هنية، قام القائد الكبير في حماس محمود الزهار بزيارة طهران، حيث امتدح إيران "لدعمها غير المحدود".[106] في نفس الأسبوع التقى وفد بقيادة موسى أبو مرزوق، نائب رئيس المكتب السياسي، بالأمين العام لحزب الله حسن نصر الله في لبنان، حيث ذكرت وسائل إعلام حزب الله أنهما وضعا خطة، "لتسوية التطورات في سورية والعلاقات مع الإخوان المسلمين" و "إيجاد القنوات المناسبة لتحسين علاقات إيران مع الدول العربية".[107] أحد قادة حماس في غزة قال:

> كل التخمينات حول تخلي حماس عن إيران سخيفة. من غير إيران سيزود حماس بالأسلحة والتدريب؟ قطر؟ تركيا؟ إيران هي الخيار الوحيد. والإيرانيون يفهمون أن حماس رأس جسر هام لهم في العالم السني، ولذلك لن يتذمروا حول إقامة حماس لعلاقات طيبة مع بلدان أخرى، حتى ولو كانوا في حالة صراع مع تلك البلدان بشأن سوريا. الأكثر أهمية هو أن إيران تفهم أن حماس هي العنصر الأكثر أهمية في الحرب ضد إسرائيل. خصوصاً في هذه المرحلة من التصعيد مع إسرائيل، تعرف أنها لا تستطيع خسارة حماس.[108]

رغم أنه يمكن القول إن التحالف تم إصلاحه، إلا أن بعض الخلاف ما زال واضحاً.[109] عدة قادة في حماس أعلنوا أن الحركة لن تشارك في حرب بين إسرائيل وإيران[110] (وهو تنبؤ اتفق معه مسؤولون أمنيون إسرائيليون كبار).[111] أوضح قادة حماس بجلاء أن "إيران تحتاجنا أكثر مما نحتاجها. ليسوا راضين عن موقفنا بشأن سورية، لكننا

فيه أعضاء حماس مولّفة على الجزيرة، التي كانت تبث سيلاً متقطعاً من التغطية الصارخة لمقتل المدنيين في سورية. ملاحظات لمجموعة الأزمات، القاهرة، شباط/فبراير 2012.

[101] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012.

[102] "موقفنا ليس مع الشعب أو مع النظام. موقفنا الأخلاقي هو مع الشعب، لكننا لن نغير موقفنا". عندما سئل لماذا تكرر "الخطأ" في خطاب ألقي في غزة في نفس اليوم من قبل أحد قادة حماس وهو صلاح البردويل، قال قائد رفيع إن البردويل ارتكب نفس الخطأ الذي ارتكبته الصحافة: سمع خطبة هنية وافترض خطأ أنها كانت نتاج قرار للحركة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 شباط/فبراير 2012. منذ ذلك الحين، عبر خطباء حماس في قطاع غزة ومسؤولي حماس على المستوى المتوسط عن مواقف تعبر بوضوح عن الوقوف مع المعارضة السورية، رغم أن قادة حماس الكبار ما يزالون أكثر حذراً.

[103] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولي وقادة حماس، القاهرة، شباط/فبراير - نيسان/إبريل 2012.

[104] "نصحت [النظام السوري] في الغرف المغلقة وأنصحهم من على المنبر ... نحن لا نتدخل في الشؤون الداخلية العربية، لكننا ... نهتم بحرية وكرامة كل عربي ومسلم. ... لن أترك لحظة تمر دون أن أقول إننا نهتم بدماء الشعب السوري، وكل قطرة [تراق] من الدم السوري تؤلمنا، تماماً كما يؤلمنا الدم [المراق] من العرب والمسلمين الآخرين. لقد آن الأوان لوقف إراقة دماء الشعب السوري. على هذه الأمة أن تستيقظ. نريد أمة حية تستطيع اتخاذ القرارات. لهذه الأمة حق في الحرية وفي اتخاذ القرارات وبالعيش في ديمقراطية. لقد انتهى عهد الديكتاتوريات في البلدان العربية إلى الأبد".
.www.youtube.com/watch?v=iw6TYButeOQ.

[105] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012.

[106] "Top Hamas official visits Tehran", *The Daily Star*, 15 March 2012. وقد أكد العديد من قادة حماس أن الدعم الإيراني كان عملياً غير مشروط: "المرة الوحيدة التي طلبوا فيها منا أي شيء كانت عام 1993، عندما طلبوا منا الاحتفال بيوم القدس في مرج الزهور. رفضنا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، 15 كانون الثاني/يناير 2012.

[107] "السيد نصر الله يلتقي وفد حماس: سورية، وغزة على الطاولة"، المنار، 14 آذار/مارس 2012.

[108] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، 22 آذار/مارس 2012.

[109] قائد رفيع في حماس في المنفى وصف الخلافات بين حماس وإيران قائلاً: "لقد تجنبنا تبني نفس مواقف الإيرانيين. في الماضي، لم نكن ندعم سياستهم ضد العراق، وحتى اليوم هناك العديد من الأماكن والقضايا التي تختلف سياساتنا فيها عن سياسات إيران، مثل الدعم الإيراني للشيعة في السعودية، واليمن والبحرين. كما أننا ضد السياسة الإيرانية في العراق وسورية. سنحاول أن لا نسمح لهذا بالتأثير على علاقتنا مع إيران، والتركيز بدلاً من ذلك على مصالحنا المشتركة. لقد نجحنا في فعل ذلك في الماضي، وسننجح في المستقبل. أعتقد أننا سنتغلب على غضبهم من عدم تأييدنا إياهم في موقفهم من سورية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.

[110] في آذار/مارس 2012، قال أحد قادة حماس، صلاح البردويل، "إذا نشبت حرب بين القوتين، فإن حماس لن تكون جزءاً من تلك الحرب". انظر "Hamas rules out military support for Iran in any war with Israel", *The Guardian*, 6 March 2012. قادة آخرون اختلفوا مع هذا الرأي؛ انظر Fars News Agency, 7 March 2012. تم تكرار موقف البردويل من قبل الناطق الرسمي باسم حماس في قطاع غزة فوزي برهوم قال: "أسلحة حماس وأسلحة المقاومة الفلسطينية، بشكل عام، أسلحة متواضعة تهدف إلى الدفاع وليس إلى الهجوم، وهي ستدافع عن الشعب الفلسطيني. وذلك لا يمنحنا القدرة على أن نكون جزءاً من حرب إقليمية". "Hamas: We'll stay out of any Israel-Iran war", Associated Press, 7 March 2012. هذا التناقض مع تصريحات لمشعل قبل أقل من عامين ونصف العام: "كل المجموعات الإسلامية المتجددة ستشكل جبهة موحدة مع إيران ضد إسرائيل إذا هاجمت إيران". رويترز، 15 كانون الأول/ديسمبر 2009.

[111] "إذا نشأ صراع مع إيران، فإن الضفة الغربية ستظل هادئة. المسألة في قطاع غزة هي كيف ستتعامل حماس مع الجهاد الإسلامي. لكني لا أعتقد بأن حماس نفسها ستهاجمنا. حماس ليست مستعدة لارتكاب انتحار جماعي من أجل إيران". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 7 آب/أغسطس 2012.

جسرهم الوحيد إلى الإخوان المسلمين"؛[112] وتنبأ القائد الرفيع بأن الدول السنية "ستقيم حاجزاً في وجه إيران" بتقديم المزيد من الدعم لحماس: "لماذا رمت حماس نفسها في حضن إيران؟ ما من حضن آخر قبل بحماس عدا ذلك الحضن. إذا فتح طرف آخر ذراعيه، فإن حماس ستقبل".[113]

حتى الآن لم تعرض أي دولة سنية أخرى أن تحل محل إيران،[114] رغم ما تعتبره حماس منافع واضحة. قائد رفيع في حماس شرح قائلاً:

> إذا كنت لا تريد توسعاً شيعياً، عليك أن ترى كيف أصبحت إيران تحظى بالشعبية: أولاً، إنها تدعم فلسطين؛ ثانياً، إنها دعمت المقاومة. ومتى خسرت إيران؟ عندما تعاملت بطريقة طائفية مع البحرين وسورية. والأمر ذاته ينطبق على حزب الله.[115]

ج. كيف ستتأثر حماس؟

بمرور الوقت، سيكون للتطورات الإقليمية تداعيات عميقة على حماس وعلى القضية الفلسطينية الوطنية نفسها. من المرجح أن تؤدي هذه التطورات إلى إضعاف فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية كما توجدان حالياً، وكلاهما سيبدوان، في بيئة تتحرك لصالح الإسلاميين، في وضع غريب. إلا أن تأثير ذلك على حماس لن يكون مباشراً. من شبه المؤكد أن الإخوان لن يجعلوا قضية فلسطين أولوية في الوقت الراهن؛ وعلى الأرجح فإنه سينصحون فرعهم الفلسطيني بضمان الهدوء والمحافظة على الاستقرار لمصلحة المنظمة بشكل عام.

هناك أصلاً إشارات على تهميش الفلسطينيين. المنطقة بشكل عام والعالم السني بشكل خاص لم يظهرا أي مؤشر على أنهما سيرميان بثقلهما وراء حماس في المستقبل القريب. لقد هُمش الفلسطينيون إلى حد بعيد من قبل الانتفاضات العربية، ولم يعودوا أولوية وسط الاضطرابات الإقليمية.[116] "لم يعد هناك اهتمام الآن بالمشكلة الفلسطينية"، كما أقر قائد رفيع في حماس من دمشق. "العرب منشغلون بمشاكلهم الخاصة. لقد كان أثر الربيع العربي أننا لم نعد نحظى بالدعم في العالم العربي لحركتنا ولشعبنا".[117] خلال اندلاع العنف بين إسرائيل والمتشددين الذين يتخذون من غزة مقراً لهم في آذار/مارس 2012، اشتكى المتحدث باسم حماس سامي أبو زهري من أن تخصيص فضائية الجزيرة لقدر أقل من الاهتمام لغزة من الذي تخصصه لسورية أظهر "غياب توازن" غير مسبوق" و " تحيزاً ضد الفلسطينيين".[118]

وقد رافق تضاؤل الاهتمام تراجع الدعم المالي، ما تسبب في كرب حقيقي للحركة. لم تتمكن حكومة غزة من دفع الرواتب في صيف عام 2011 وأجبرت على رفع وتيرة إجراءات تحصيل الضرائب، ما تسبب في توتر مع الناس.[119]

يمكن لهذا الوضع أن يتحسن مع مرور الوقت، رغم أنه حتى عندئذ فإن استراتيجية الإخوان المسلمين لن تتضمن على الأرجح تحدي إسرائيل، لأن ذلك سيعني تحدي الغرب في وقت يحرص فيه الإسلاميون في السلطة على تطبيع علاقاتهم مع الولايات المتحدة وأوروبا.

وسيكون لكل ذلك تداعيات ـ مرة أخرى متناقضة ـ على مكانة حماس الداخلية. من جهة، فإن ارتباطها بالقوة الإقليمية الجديدة الصاعدة سيعزز من موقعها؛ ويعتبر الشعور بالإحباط داخل فتح، من أن التاريخ يتجاوزها، مؤشر جيد على ذلك. من جهة أخرى، فإن حماس تخاطر بأن تجد نفسها، أكثر مما هي اليوم، دون هدف واضح ـ خصوصاً دون هدف مواجهة إسرائيل فوراً. في غياب استراتيجية مختلفة لحماس، فإن هذا قد يدفع الفلسطينيين للتساؤل حول مبرر وجود الحركة وبالتالي يقلص شعبيتها الداخلية.

إن العجز المالي، ونقص الوقود والكهرباء، والاتهامات بالمحسوبية، واتساع نطاق الاستياء من الانقسام بين حماس وفتح، والشعور بأن القيادة الفلسطينية لا تمتلك استراتيجية متماسكة وعدم القدرة على تقديم شيء في جملة من القضايا كان لها كلفتها من حيث شعبية حماس في غزة. في أواخر آب/أغسطس 2012، طرد أحد خطباء حماس في أحد مساجد غزة بعد أن ألقى خطبة انتقد فيها بشدة "بشاعة الرواتب، والرتب، والوظائف والحكومة، التي أضعفت أخلاقنا، وسلوكنا وانضباطنا". "حتى حماس لا تمثل الشعب"، كما اشتكى قائد رفيع سابق. "قبل أربع أو خمس سنوات كنا نمثله. أما الآن فإن كثيرين ضد حماس، خصوصاً في غزة".[120]

---

[112] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، بيروت، 25 شباط/فبراير 2012. قائد رفيع في قطاع غزة قال إن الاضطرابات في المنطقة عززت رغبة إيران وسورية في التحالف مع حماس: "إذا ظل النظام السوري قائماً، فإن حزب الله، وسورية، وإيران سيكونون بحاجة لحماس، لأنه سيكون هناك تحالف جديد في المنطقة يضم الأنظمة العربية السنية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012.

[113] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012.

[114] مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال عن تمويل حماس من قبل الدول السنية، "السؤال الحقيقي الآن هو الأتراك. إلى أي حد سيمضي [رئيس الوزراء] أردوغان وماذا سيكون رد فعل الولايات المتحدة؟ هل سيغير مساره من دعم سكان قطاع غزة إلى دعم حماس؟" مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، آب/أغسطس 2012.

[115] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012.

[116] تم التعبير عن نفس الفكرة من قبل رئيس الوزراء الفلسطيني سلام فياض: "التحدي الأكبر الذي نواجهه ـ إضافة إلى الاحتلال ـ والتهميش. وهذه إحدى التبعات المباشرة للربيع العربي، حيث انشغل الناس بشؤونهم الداخلية. الولايات المتحدة في سنة انتخابات وتعاني من مشاكل اقتصادية، وأوروبا لديها مشاكلها. نحن محشورون في زاوية". "Mideast Din Drowns Out Palestinians", *The New York Times*, 8 March 2012.

[117] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2012.

[118] "Hamas furious over lackluster Al Jazeera coverage", Arutz Sheva, 12 March 2012.

[119] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين من حماس، مدينة غزة، أيلول/سبتمبر ـ تشرين الأول/أكتوبر 2011.

[120] خطبة الشيخ وائل زرد على الموقع www.youtube.

لو لم تشارك حماس في انتخابات عام 2006، لكانت حاولت أن تجلب الانتفاضات العربية إلى فلسطين، أما الآن، في غزة، فإنها وقفت بشكل محرج كحركة تحرر وطني تحاول أن تضمن عدم انطلاق الاحتجاجات. أحد أعضاء المجلس التشريعي من غزة قال، "الاحتجاجات العنيفة وغير العنيفة محظورة في غزة اليوم".[121] في 15 آذار/مارس 2011، فرقت قوات حماس مظاهرة ضمت الآلاف من أهالي غزة يدعون لوضع حد للانقسام المستمر منذ أربع سنوات مع السلطة الفلسطينية التي تهيمن عليها فتح في الضفة الغربية؛[122] وفي نفس اليوم، أعلن هنية في خطاب له أنه يدعو الرئيس عباس إلى غزة من أجل "التوصل إلى اتفاق".[123]

منذ ذلك الحين، أطلق الطرفان تصريحات متكررة حول تسوية خلافاتهما، ولم ينتج عن أي منها حكومة وحدة وطنية. بعض قادة حماس يوافقون على أن الحركة، خصوصاً في زمن الاضطرابات الإقليمية، لا ينبغي أن تُرى وكأنها تقف في طريق هذا الهدف الفلسطيني الهام.[124] قال أحدهم، "مع التغيرات الحاصلة في المنطقة، نحن بحاجة إلى إنجاز المصالحة. إن عدم القيام بذلك سيلحق الضرر بصورتنا لدى الجمهور العربي. ينبغي أن تضع حماس مجموعة جديدة من الأولويات، ورؤية استراتيجية جديدة حول كيفية تحقيق الأهداف الوطنية الفلسطينية".[125] أما ماهية هذه الاستراتيجية فتبقى موضوعاً لمناظرة داخلية سجالية.

III. داخل حماس

أ. خطوط متحوّلة

لقد فرضت الانتفاضات العربية على حماس نوعين واسعين من التحديات. النوع الأول، كما تمت مناقشته أعلاه، خارجية: كيفية تحقيق التوازن بين تحالفات إقليمية متحولة ومتنافسة. إلا أن التغيّرات الإقليمية أظهرت أيضاً إلى السطح وفاقمت من التناقضات الداخلية وبين المكونات المختلفة للحركة. من بعض الأوجه، فإن هذا لم يكن مختلفاً عما واجهته مجموعات عربية إسلامية أخرى في أعقاب الانتفاضات والمكاسب النسبية التي حققتها: الفقدان النسبي للانضباط، خصومات أكثر تعبيراً عن نفسها وحتى، في بعض الحالات، انقسامات.[126]

في حالة حماس، وفي كل من المراحل المختلفة التي مرت بها - التعايش مع السلطة الفلسطينية حديثة التأسيس والتصارع معها ومع قوات أمنها في أواسط التسعينيات؛ ومقاطعة الانتخابات التشريعية للسلطة الفلسطينية في عام 1996؛[127] المشاركة في انتخابات 2006 والفوز فيها؛ والحكم؛ بالاستيلاء على غزة؛ والتفاوض على تبادل الأسرى مقابل العريف الإسرائيلي جلعاد شاليط - أصبحت الاختلافات أكثر حدة الحركة داخل حركة كان عليها تاريخياً أن تتعامل مع مكونات متنوعة. وهذه تتضمن فلسطينيي غزة وفلسطينيي الضفة الغربية؛ وأولئك الموجودين في الداخل والموجودين في الخارج؛ والأجنحة السياسية والعسكرية؛ والأسرى؛ والقيادة الدينية.

لقد سمح المأزق الذي علقت فيه حماس في السنوات التي سبقت الانتفاضات العربية، إلى حد كبير، بإبقاء خلافاتها العديدة تحت السطح؛ ومع ندرة الفرص المتاحة أمامها، فلا حاجة لتنازع الرؤى داخلها. لكن حالما وجدت حماس نفسها في بيئة متغيرة جذرياً وظهور تحديات واحتمالات جديدة، فإن التوترات القديمة ظهرت إلى السطح، ونشأت أشكال جديدة من الاحتكاك. بشكل عام، فإن هذه التوترات تعكس عدة عوامل مترابطة: الانتشار الجغرافي للحركة والحسابات المختلفة لقيادتها، نتيجة الظروف المختلفة (في غزة،

[121] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[122] مظاهرة موازية أصغر خرجت في رام الله في نفس اليوم، كما هو مفصل في تقرير مجموعة الأزمات Crisis Group Report, *Palestinian Reconciliation: Plus Ça Change* ..., op. cit., p. 8. انظر أيضاً "Hamas forces break up pro-unity protests in Gaza", *The New York Times*, 15 March 2011. أحد قادة فتح في الضفة الغربية قال، "عندما بدأ الربيع العربي، طالب المتظاهرون الفلسطينيون بشيء واحد وهو وضع حد للانقسام، لأنهم يعرفون أن لا أمل في وضع حد للاحتلال". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، نيسان/إبريل 2012.

[123] "Will they succeed this time?", *Al-Ahram Weekly*, 24-30 March 2011.

[124] "الآن يشعر الفلسطينيون بخيبة الأمل لأننا وقعنا ورقة ولم ينتج عنها شيء". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المكتب السياسي لحماس، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[125] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[126] لقد كان ذلك هو الوضع مع الإخوان المسلمين المصريين منذ سقوط مبارك، خصوصاً في أعقاب نصرهم الانتخابي والاستعداد للانتخابات الرئاسية.

[127] قائد رفيع لحماس في قطاع غزة وصف التوترات حول اتخاذ القرار بشأن المشاركة أو عدم المشاركة في انتخابات 1996: "في عام 1995 طلب أبو عمار [عرفات] إجراء انتخابات. وأنا كنت مع المشاركة في الانتخابات، من أجل حماية الحركة ولإعطاءنا فرصة. وكذلك لتجاوز هذه النقطة الحرجة عندما كانت أغلبية الشعب تدعم أبو عمار، بتأسيس الدولة، وبالاستقلال، ووضع حد للاحتلال. لا تستطيع أن تقف في وجه ذلك وتتحمل مسؤولية الفشل. وافقت الضفة الغربية على أنه ينبغي أن نشارك في الانتخابات. ولكن وبضغوط من قيادة الخارج، غيرت الضفة الغربية رأيها. وهكذا فاز الخارج. طلبت منهم ألا يسمحوا بحدوث ما حدث تماماً: عانينا من عمليات قمع مرعبة. السلطة الفلسطينية أخذت منا بنادقنا؛ وعذبتنا. غياب المعلومات، غياب الخبرة والمناخ الجيوسياسي - كل هذه الأمور تؤثر في قيادات الخارج". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2011.

والسجون، والضفة الغربية والخارج)؛ والتمايزات الأيديولوجية، خصوصاً تلك المرتبطة بالتقييمات المختلفة لأثر الانتفاضات العربية؛ والأدوار في الأنشطة السياسية، والعسكرية، والدينية والإدارية للحركة؛ والخصومات الشخصية القائمة منذ أمد.

بطريقة أو بأخرى، فقد قدم مسؤولو حماس رؤى مختلفة حيال مسائل مثل الظروف التي يمكن للحركة أن تقبل فيها بوجود دولة فلسطينية في الضفة الغربية وغزة؛ ونوع التعايش الذي يمكن تأسيسه مع إسرائيل وفي ظل أي ظروف؛[128] وكيف ستتم محاولة إيجاد استراتيجيات للمقاومة غير العنيفة؛ ومتى ينبغي أن يُستأنف العنف في الضفة الغربية؛ وأفضل وسائل الاندماج بمنظمة التحرير الفلسطينية وقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية؛ وما إذا كانت ستشارك في المفاوضات مع إسرائيل حول التسوية السياسية؛[129] وماهي التنازلات التي يمكن أن تقدمها، خصوصاً في غزة، وما هي المطالب التي ينبغي أن تطلبها، خصوصاً فيما يتعلق بالوضع في الضفة الغربية، من أجل التصالح مع فتح؛ وكيف ستتصرف عند رحيل عباس في النهاية من المشهد السياسي؛[130] وما إذا كان ينبغي عليها تغيير الوظائف أو تسهيل انهيار السلطة الفلسطينية؛[131] وإذا ما كان ينبغي أن تسعى للحصول على الأغلبية أو أقلية قوية في الانتخابات المستقبلية للسلطة الفلسطينية؛[132] وما إذا كانت ستترشح لانتخابات السلطة الفلسطينية؛ وكيف ستتعامل مع فقدان شعبيتها في غياب المصالحة.

وثمة أسئلة إشكالية أخرى حول ما إذا كان ينبغي أن تساعد في تأسيس حزب سياسي جديد يتمتع ببعض الاستقلالية عن باقي الحركات، خصوصاً الجناح العسكري؛[133] كيفية تقسيم مواردها بين حكومة غزة والحركة؛[134] وما إذا كانت ستغير ميثاقها؛[135] وكيف يمكن لغزة أن تكتسب قدراً أكبر من الاستقلال عن إسرائيل وتعميق الروابط مع مصر دون إضعاف العلاقات مع الضفة الغربية؛[136] ما الذي ينبغي أن تكون مستعدة لقوله أو فعله، في هذه اللحظة من صعود الإخوان المسلمين وتصالحهم مع الغرب، من أجل اكتساب الشرعية وتحسين علاقاتها مع العالم الخارجي.[137]

في إطار تقييم التوترات داخل الحركة، يواجه المرء مخاطرة الإفراط في التبسيط. منذ سنوات، والمراقبون يبرزون اختلافات مزعومة بين قيادة حماس في غزة وخارج الأراضي المحتلة، خصوصاً في دمشق، ويطلقون على إحداها البراغماتية وعلى الأخرى صفة التشدد. التوصيفات، ورغم أنها نوقشت علناً من قبل أعضاء حماس أنفسهم، فإنها كانت سطحية جداً. بعض قادة غزة كانوا يفضلون مبادرات قيادة الخارج، وداخل القيادة الخارجية كان هناك خلافات كبيرة بحجم تلك الموجودة بين الداخل والخارج، حيث ينزع الأعضاء الذين

[128] ثمة إجماع بين قادة حماس على القول بأنهم لن يعترفوا بحق إسرائيل بالوجود، لكن عدداً كبيراً من قادة حماس، خصوصاً أولئك الموجودين في الضفة الغربية، يميزون بين هذا (الذي يعتقدون أنه سيرقى إلى القبول بمزاعم إسرائيل الأخلاقية، وخصوصاً عدالة إنشاء دولة يهودية على حساب السكان العرب الأصليين) والاعتراف بوجود إسرائيل. العديد من قادة الضفة الغربية قالوا إنهم يمكن أن يعترفوا بوجود إسرائيل لكن فقط مقابل شيء ذي معنى: "لن نرتكب الخطأ الذي ارتكبه عرفات عام 1993، عندما قبل بحق إسرائيل في الوجود بمجرد الاعتراف بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي ممثل الشعب الفلسطيني في الرسائل التي تبادلها مع رابين. لم يكن هناك أي ذكر للدولة. ولم يكن هناك ذكر لأنها ستقوم على حدود 1967". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قيادي رفيع في حماس، رام الله، 18 تموز/يوليو 2012.

[129] مسؤول في حكومة حماس في قطاع غزة عبر عن وجهة نظر تعتنقها أقلية داخل الحركة بالقول، "أنا شخصياً أعتقد أن المفاوضات ينبغي أن تكون في أيدي فتح". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012.

[130] في حين أن العديد من قادة حماس يعتقدون أن من الحكمة ببساطة الانتظار حتى رحيل عباس، فإن آخرين يعتقدون أن استراتيجية تستند إلى عدم اتخاذ أي إجراء على المدى القريب تضر بشعبية الحركة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، مدينة غزة، الخليل، نابلس، كانون الثاني/يناير - حزيران/يونيو 2012.

[131] معظم قادة حماس أقروا بأن تفكيك السلطة الفلسطينية غير واقعي لأن مصدر رزق العديد من الفلسطينيين يعتمد على وجودها. قائد رفيع في المنفى قال، "لا نستطيع أن نؤيد حل السلطة الفلسطينية. هناك 200,000 عائلة تعتمد عليها الآن". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012. إلا أن عدة أعضاء في المجلس التشريعي الفلسطيني قالوا إن السلطة الفلسطينية كانت قد أصبحت أداة للسيطرة الفلسطينية وينبغي إزالتها. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، مدينة غزة، الخليل، شباط/فبراير، أيار/مايو 2012.

[132] عدد من مسؤولي ومشرعي حماس، غالباً أولئك الذين يوصفون بـ "الحمائم"، قالوا إنه كان من الخطأ الفوز بانتخابات 2006، وأن من الأفضل أن تسعى حماس لتشكيل معارضة قوية. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[133] ما تزال النقاشات حول هذا الموضوع في مراحلها المبكرة جداً. بعض قادة حماس قالوا إن ذلك سيكون وسيلة للالتفاف على معارضة إسرائيل لمشاركتهم في الانتخابات في الضفة الغربية؛ آخرين رفضوا بقوة "الالتفاف على فيتو إسرائيلي حول مشاركتنا في انتخابات ديمقراطية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المكتب السياسي لحماس، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[134] قائد رفيع في قطاع غزة قال إن هذه كانت بين القضايا التي ستعالجها الانتخابات المستقبلية في حماس. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[135] شخصية رفيعة قال، خلال سنوات حماس الأولى، إنه يعتقد بوجوب تغيير الميثاق، مجادلاً بأنه كان قد كتب بشكل كامل من قبل أحد مؤسسيها، وهو عبد الفتاح دخان، ولم تتم الموافقة عليه من قبل مجلس شورى الحركة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[136] في حين أن معظم قيادة قطاع غزة عازمون على وضع حد لاعتماد غزة على إسرائيل وتعزيز علاقاتها مع مصر، فإن عدداً من القادة في الضفة الغربية قلقون من أن ذلك، وفي غياب المصالحة الفلسطينية، سيعمق الانقسام بين المنطقتين. أحد قادة الضفة الغربية قال، "استراتيجية التركيز على التحسينات في غزة سيجعل الانقسام أكثر ديمومة". مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في حماس، مدينة غزة، نابلس، حزيران/يونيو - تموز/يوليو 2012. أنكرت حماس تقارير ظهرت في الصحافة العربية تفيد بأنها كانت تخطط لإعلان غزة منطقة محررة من أجل حرمان مصر من أي ذريعة لعدم فتح حدودها مع القطاع. "Report of possible Gaza independence stirs debate", Al Arabiya, 31 July 2012.

[137] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، مدينة غزة، نابلس، رفح، تشرين الثاني/أكتوبر/نوفمبر 2011 - شباط/فبراير 2012.

يتحدرون أصلاً من غزة إلى اتخاذ مواقف أقرب إلى القيادة هناك.[138] في داخل الجناح العسكري نفسه في غزة، هناك قادة بارزون معرفون بقربهم من قيادة الخارج وأنهم يأخذون مواقف تعكس مواقف الخارج.[139]

علاوة على ذلك، هناك عدة مكونات هامة أخرى، بما في ذلك قيادة الضفة الغربية، وهي تاريخياً الأكثر مرونة في المسائل الاستراتيجية، والأسرى في السجون الإسرائيلية. إذا كانت المناظرة قد تمت مؤخراً بشكل أساسي بين قيادتي غزة والخارج،[140] فإن ذلك يعود إلى أن ثقل مراكز القوى الأخرى داخل المناخ السياسي للحركة تقلص بشكل كبير، الأول بسبب قمع قوات الأمن الإسرائيلية وتلك التابعة للسلطة الفلسطينية،[141] والثاني لأن أعضاءها أقل عدداً في أعقاب تبادل 1,027 سجيناً فلسطينياً عام 2011 مقابل العريف شاليط.

إن التصنيف الأيديولوجي بحد ذاته مضلل حيث أنه كان في حالة تغيّر مستمرة. لقد تشكلت المواقف المتخذة من قبل قيادة الداخل وقيادة الخارج، جزئياً على الأقل، لاعتبارات عملية وليس لاعتبارات أيديولوجية، كما أن أياً منهما ليس "متشدداً" بطبيعته أكثر من الآخر. وهذا يتضح من تغير آرائهما بمرور الوقت. بعد النصر الانتخابي الذي حققته حماس في عام 2006، سارع كثيرون لوصف جناح دمشق بأنه راديكالي وأكثر تقبلاً للضغوط الممارسة عليه من سورية وإيران.[142] الاستيلاء على غزة عام 2007 (الذي يذكر أنه فاجأ قيادة الخارج) قيل إنه تم بأمر أولئك الموجودين في القطاع، الذين وُصفوا فجأة بأنهم أكثر تشدداً.[143] في بعض الأحيان، كان تبادل الأسرى على ما ذكر يلقى تشجيعاً من قبل قيادة غزة (الحريصة على رفع الحصار) ويلقى مقاومة من قيادة دمشق؛ في حين تم تبادل المواقع لاحقاً.[144] وعلى نحو مماثل، فقد قيل إن المصالحة لقيت تشجيعاً من قيادة غزة (التي يعتقد أنها أكثر عرضة للضغوط المصرية) وهم الذين قاوموها لاحقاً (لأنهم كانوا عازمين على التمسك بالامتيازات الجديدة التي اكتسبوها نتيجة وجودهم في السلطة والتي ستتعرض للخطر في حال حل حكومة غزة والاتحاد مع فتح).[145] اليوم، قيادة الخارج هي التي تدفع إلى التوصل إلى اتفاق.[146]

وفي نفس السياق، فإن قادة الضفة الغربية ـ الذين كان يعتقد منذ وقت طويل أنهم يحملون مواقف أكثر مرونة حول المصالحة، حيث يرون

[138] حتى وقت قريب، كان العضوان الأكثر بروزاً في قيادة الخارج من قطاع غزة هما موسى أبو مرزوق، نائب رئيس المكتب السياسي، وعماد العلمي، الذي عاد مؤخراً إلى قطاع غزة وانضم إلى القيادة هناك.

[139] أعضاء الجناح العسكري في قطاع غزة قالوا إنه في الخلاف بين القيادات السياسية في قطاع غزة والخارج، فإن قائد الجناح العسكري في القطاع، محمد ضيف، كان قد وقف مع قيادة قطاع غزة، في حين أن نائبه (الذي يقال إنه أقوى)، أحمد الجعبري، كان قد دعم رئيس المكتب السياسي في المنفى خالد مشعل. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012. أحد أعضاء المكتب السياسي الضالعين بعمق في المسائل الأمنية قال إن الخلافات داخل الجناح العسكري لم تكن حول مساندة أو معارضة مشعل بقدر ما كانت حول ما إذا كانت الخلافات مع مشعل ينبغي الخروج بها إلى العلن. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[140] محلل فلسطيني قال، "الخلافات بين قيادتي الداخل والخارج حادة على نحو خاص اليوم. في الماضي كان من الصعب معرفة الاختلافات بين القيادتين عندما كانت القيادة التاريخية لحماس ما تزال على قيد الحياة، لأن النزاعات في ذلك الحين كانت تسوى من قبل الشيخ ياسين. مهما كانت الاختلافات بين أعضاء حماس، فإن الجميع كان يتفق على حكم الشيخ ياسين. وبهذه الطريقة، وباغتيال ياسين و [خلفه] الدكتور عبد العزيز الرنتيسي، فإن إسرائيل قوَّت القيادة الخارجية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 10 أيلول/سبتمبر 2011. مسؤول رفيع سابق في الشين بيت علق قائلاً: "كان استهداف الشيخ ياسين عام 2004 خطأً، لأنه كان أكثر انفتاحاً وكان يعطي وزناً أكبر للنواحي العملية لرفاه شعبه مما تفعل القيادة الخارجية. كان يعطي الأولوية للدعوة على المقاومة إذا نشأ صراع بين الأمرين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع متي ستاينبيرغ، 10 كانون الثاني/يناير 2012.

[141] أحد أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني من حماس في الضفة الغربية قدم وجهة نظر واسعة الانتشار عندما قال، "لقد تم تحييد حماس في الضفة الغربية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 6 شباط/فبراير 2012. قائد رفيع في قطاع غزة أضاف: "في الضفة الغربية، تغلق أفواه قادة حماس بالقوة بالتعذيب وبتعاون السلطة الفلسطينية مع الإسرائيليين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 أيلول/سبتمبر 2011. في تصريح للجزيرة، قال خالد مشعل، "في الضفة الغربية تُقمع المقاومة". "مقابلة مع خالد مشعل"، 26 كانون الأول/ديسمبر 2011. إلا أن الجيش الإسرائيلي ما يزال يعتبر حماس في الضفة الغربية تهديداً جدياً. في آذار/مارس، الميجر جنرال هافي مزراحي، رئيس القيادة المركزية الذي تقاعد مؤخراً، قال إن حماس كانت "تحاول بناء نفسها" في الضفة الغربية وإن "شخصيات رفيعة في قوات أمن السلطة الفلسطينية أخبرتني أنه في كل بيت في الضفة الغربية هناك فرد واحد على الأقل ينتمي إلى حماس". *هآرتس*، 20 آذار/مارس 2012.

[142] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد أعضاء اللجنة المركزية لفتح، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2011. لقد تحولت النظرة التقليدية للانقسامات داخل حماس بشكل جذري عما كانت عليه قبل 5 سنوات: "من بين جميع الافتراضات المتعلقة بحماس، فإن أكثرها شيوعاً هو أن الحركة تنقسم بين قيادة راديكالية، متشددة وغير تسووية في الخارج وقيادة أكثر براغماتية ومرونة في الداخل". Crisis Group Middle East Report N°62, *After Mecca: Engaging Hamas*, 28 February 2007, p. 24.

[143] لقد زعم عدة مراقبين أنه خلال عملية الاستيلاء قال متشددو حماس في قطاع غزة للقيادة السياسية بأن يقفلوا هواتفهم المحمولة كي يتجنبوا تلقي أوامر بوقف العملية. Crisis Group Middle East Report N°68, *After Gaza*, 2 August 2007.

[144] لمراجعة تقارير حول الخلافات بين قيادة غزة وقيادة الخارج حول صفقة شاليط، انظر "An Israeli Prisoner in Gaza: German mediation in Shalit affair faces failure", *Der Spiegel*, 11 April 2011. قائد رفيع في حماس شارك في صفقة تبادل الأسرى قال إنه منذ تأسيس قيادة الخارج فإنها كانت أكثر تشدداً من قادة غزة والضفة الغربية، "والآن العكس هو الصحيح". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/ديسمبر 2011.

[145] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة كبار في حماس، القاهرة، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[146] محلل من غزة شرح مخاوف قادة حماس هناك حول انتقال مشعل إلى قطر: "دور قطر وقدرتها على التأثير بقرارات الحركة خطير. الطريقة الوحيدة للتخلص من مثل هذا النفوذ الخارجي هو نقل قيادة الخارج إلى الداخل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 10 شباط/فبراير 2012.

فيها وسيلة تسمح لحماس بالعمل بشكل أكثر حرية هناك ـ غيروا لهجتهم قليلاً. مدفوعين بالخشية من أن الوحدة قد تكون على حسابهم (على سبيل المثال باتفاق فتح وحماس على إدامة الوضع الراهن في غزة والضفة الغربية على حد سواء)، فإنهم عبروا عن تحفظات واضحة.[147] باختصار، وبدلاً من وجود انقسام أيديولوجي واضح وغير متغير، فما يظهر هو مواقف، وتقييمات مختلفة للأحداث الخارجية مدفوعة إلى حد كبير بالمصالح المباشرة لمختلف المكونات. رغم ذلك، فإن التوتر بين أكثر المكونات نفوذاً اليوم ـ مكون غزة ومكون الخارج ـ ارتفعت إلى مستويات غير مسبوقة.[148]

ب. المصالحة ومشاكلها

لقد تجلى التنافس داخل حماس في أوضح صوره وأكثرها علانية حول قضية المصالحة الفلسطينية، التي تلامس العديد من أكثر المسائل الاستراتيجية أهمية والتي تواجهها الحركة، بما في ذلك التعايش مع إسرائيل، وشروط قبول دولة على حدود ما قبل عام 1967، واللاعنف، والاندماج داخل منظمة التحرير الفلسطينية، ووظائف السلطة الفلسطينية، ووضع قوات الأمن في الضفة الغربية وغزة ووضع استراتيجية وطنية مشتركة مع فتح. كما أن المصالحة هي المسألة التي تتعارض حولها المصالح العملية لقيادتي غزة والخارج بشكلها الأكثر حدة والقضية التي واجهت الحركة بشأنها أكبر الضغوط الشعبية لتغيير مسارها في وقت انتشرت فيه الانتفاضات الشعبية في سائر أنحاء المنطقة. أخيراً، فإن الطريقة التي سارت فيها المفاوضات مع فتح ـ وخصوصاً المحادثات التي اتخذت طابعاً شخصياً بين عباس ومشعل ـ أبرزت التنافس بين قادة حماس والاختلافات حول طريقة العمل الداخلية للحركة.

بالفعل، فإن التطورات المتعلقة بالمصالحة خلال هذه الفترة الأخيرة جديرة بالاهتمام ليس لإبراز الخلافات مع فتح، (فقد كانت تلك معروفة وراسخة) بل لكشفها عن الرؤى المتنافسة حول مستقبل حماس وكيف صيغت هذه الرؤى من قبل مصالح متناقضة وبالآثار الواضحة للانتفاضات العربية على مختلف مراكز القوى في الحركة. داخل حماس، أظهر كل نزاع خلال هذه الفترة نفس الديناميكيات: يتم اتخاذ مبادرة من قبل القيادة الخارجية للحركة ـ التي كانت أقل عزلة بكثير من قادة غزة عن التغيرات الإقليمية ـ ومن ثم يعبّر قادة غزة البارزون عن تحفظاتهم سواء على السياسة (تمنح التنازلات بسرعة ودون مقابل مناسب) والعملية (أنهم لم يستشاروا بشكل كاف).

بدأت الخلافات الداخلية مع توقيع اتفاق المصالحة في القاهرة في أيار/مايو 2011، وتصاعدت مع المحادثات حول تنفيذ ذلك الاتفاق في تشرين الثاني/نوفمبر وكانون الأول/ديسمبر التاليين ووصلت إلى أوجها مع توقيع اتفاق مصالحة جديد بين عباس ومشعل في الدوحة في شباط/فبراير 2012. في أيار/مايو 2011، على سبيل المثال، اشتكى أحد قادة غزة من أن مشعل، في مراسم توقيع اتفاق المصالحة ذلك الشهر، ألقى خطاباً بارزاً أشار فيه إلى أن حماس يمكن أن تقبل بدولة فلسطينية على حدود 1967 لكنه لم يضف، طبقاً للسياسة الرسمية للحركة، أن أي اتفاق يفضي إلى مثل تلك الدولة ينبغي أن يكون هدنة محدودة المدة، قابلة للتجديد.[149]

إشكالية أخرى في نفس الخطاب تمثلت في إعلان مشعل أن حماس ستوافق على استمرار عباس في التفاوض مع إسرائيل: "لقد أعطينا السلام، منذ مدريد وحتى الآن، عشرين عاماً: نحن مستعدون للموافقة كفلسطينيين، مع العرب ومع دعمهم، لإعطاء فرصة إضافية للاتفاق حول كيفية إدارته".[150] اجتذب التصريح توبيخاً قاسياً من القائد الرفيع في غزة محمود الزهار:

> موقف الحركة حيال المفاوضات والمقاومة لم يتغير. نحن نفضل المقاومة، وطريق المفاوضات كان وما يزال يتناقض مع موقف غالبية الشعب الفلسطيني، الذي صوت لحماس في انتخابات عام 2006. اليوم، يأتي أحدهم [أي مشعل] ويقول إننا نعطي أبو مازن [عباس] خيار عقد جولة جديدة من المفاوضات. لم نتفق على المفاوضات، ولم نشجعه على الجلوس إلى المفاوضات. على العكس، أحرجناه ليل نهار حول نقطة المفاوضات. ولذلك، فما حدث يوم توقيع اتفاق المصالحة لم يكن متفقاً عليه، [داخل

[147] أحد المعترضين بقوة على المصالحة في قيادة الخارج أقر أن عدداً من قادة الضفة الغربية بات يقاوم المصالحة: "كما أن هناك تحفظات في الضفة الغربية، ولا بد لي من القول إن ما يحدث في الضفة الغربية هو العامل المسيطر والذي يؤثر في المصالحة. هناك أسرى، ومؤسساتنا المدنية ما تزال مغلقة، ولا تستطيع حماس العمل هناك، وقوات الأمن لا تسمح حتى بالمقاومة الشعبية التي اتفقنا عليها مع عباس. أشقاؤنا في الضفة الغربية و قطاع غزة يقولون: 'ما مدى علاقة المصالحة بالوقائع التي نواجهها على الأرض؟' ولذلك فهم غير متحمسين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012. لكن قياساً بالقيادة في القطاع، فإن القادة في الضفة الغربية بشكل عام كانوا أقرب إلى موقف القيادة الخارجية. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، رام الله، تموز/يوليو 2012.

[148] أصبحت الانتقادات حادة أحياناً. "يشعر الخارج دائماً بأنه أضعف من الداخل"، على حد تعبير أحد قادة قطاع غزة، "بوسعهم العمل هناك بسبب التضحيات بالدم هنا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2011. وعلى نحو مماثل، وفي مقابلة مع جريدة *الأخبار* اللبنانية، قال القائد الرفيع في حماس محمود الزهار، "المركز الحقيقي لحركة حماس هو في الأراضي المحتلة، وثقلها الحقيقي هناك. هناك أريق الدم، والقيادة هناك، والجزء المكمل في الخارج". "مقابلة مع محمود الزهار"، 24 أيار/مايو 2011. بعض قادة قطاع غزة يعزون الاختلاف في المنظور إلى بعد القيادة الخارجية عن أغلبية أنصار حماس. أحد أعضاء المكتب السياسي الموجودين في قطاع غزة ذهب إلى حد القول، "أولئك الذين يعيشون في المنفى يعيشون في عزلة عن مخيمات اللاجئين. نحن في قطاع غزة نضع يدنا على نبض الناس. هم منشغلون بالاجتماعات مع الحكومة في دمشق. عندما تكون ضالعاً مباشرة في القضايا على الأرض، ترى أن رؤية الخارج ليست صحيحة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 14 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[149] كما في الكثير من النزاعات المحيطة بالمصالحة، فإن الخلاف بدا ليس حول كلمات مشعل بقدر ما كان على شروط الاتفاق بشكل عام، حيث أن مشعل كان قد أطلق تصريحات مماثلة، دون إضافة العبارات المتعلقة بالهدنة في الماضي. انظر الحاشية رقم 166.

[150] الفيديو متوافر على الموقع .FDivGgCs
. www.youtube.com/watch?v=k6z

حماس]. لا نعترف به، ولا أعتقد أنه يعبر عن موقف الحركة، التي يستند برنامجها إلى المقاومة، وليس إلى المفاوضات.[151]

بعد فترة طويلة من الركود أعقبت توقيع اتفاق أيار/مايو 2011، استهدفت المفاوضات بين فتح وحماس في أعقاب انتصارات داخلية عززت مواقع الحركتين ـ خطاب عباس في الأمم المتحدة أيلول/سبتمبر 2011 الذي حظي بقدر كبير من الاعجاب، والذي امتدحه مشعل في تعليقاته في طهران،[152] وضمنت حماس إطلاق سراح 1.027 أسيرا فلسطينياً بعد عدة أسابيع. في تشرين الثاني/نوفمبر، عقد مشعل وعباس اجتماعاً منفرداً في القاهرة. بعد ذلك الاجتماع، وخلال مزيد من المحادثات في ذلك الشهر والشهر الذي تلاه، ظهرت نزاعات داخل حماس حول تأكيد قيادة الخارج، الذي اعتبر مضللاً من قبل بعض قادة غزة، على استراتيجية مشتركة مع فتح للمقاومة الشعبية. لم تكن أهمية المقاربة المشتركة التي نجمت عن هذا الحديث واضحة. العديد من المعلقين وحتى أعضاء في حماس فسروها على أنها رفض للعنف؛[153] والمسؤولون من فتح والمخابرات المصرية، التي توسطت في المحادثات، سعوا لتصويره على أنه خطوة رئيسية من قبل حماس.[154]

قيادة الخارج أنكرت ذلك وأكدت على أن المقاومة الشعبية يمكن أن تمضي يداً بيد مع استمرار الكفاح المسلح.[155] كما أن معظم مسؤولي

---

[151] "الزهار للقدس"، *القدس*، 17 أيار/مايو 2011. أصدر المكتب السياسي لحماس لوماً للزهار: "[المكتب السياسي] ناقش القضية التي أثارت الاهتمام في وسائل الإعلام فيما يتعلق بتصريحات وتعليقات على خطاب الأخ خالد مشعل، رئيس المكتب السياسي للحركة، في مراسم توقيع اتفاق المصالحة في القاهرة. في هذا الصدد، يؤكد المكتب السياسي ما يلي: أولاً، التصريحات التي أدلى بها الأخ خالد مشعل ... تعكس وتمثل مواقف الحركة ومبادئها، وأي تصريح آخر من أي مصدر يتناقض معها لا يمثل الحركة ومؤسساتها. ثانياً، التصريحات التي أدلى بها رئيس المكتب السياسي وأعضاء المكتب السياسي تمثل الحركة ومواقفها. المكتب السياسي هو الهيئة الوحيدة المخولة بتفسير أو تعديل تصريحات رئيس المكتب السياسي وأعضاءه إذا دعت الحاجة". انظر "Power Dynamics Inside Hamas: The Increasing Weight of the Gaza Leadership", Jerusalem Center for Public Affairs, 16 June 2011. ثم نشأ تبادل عصبي بين الزهار وعضو المكتب السياسي في الخارج عزت الرشق، الذي قال: "تصريحات [الزهار] حول مشعل تتناقض مع استراتيجية الحركة، وكشخصية قيادية لا ينبغي أن يقول ذلك. الزهار يعرف أن ليس من شأنه التعليق على خالد مشعل، والمكتب السياسي [ومقره دمشق] هو الذي يمكن أن يصدر أية إيضاحات أو تعليقات على تصريحات مشعل". رد الزهار بالتساؤل عما إذا كانت تعليقات الرشق "قد صدرت بالاتفاق بين غزة والضفة الغربية". "Hamas in Gaza, Damascus spar over unity deal", Ma'an News Agency, 2 June 2011. لم يحضر الزهار اجتماع المكتب السياسي في دمشق بعد أسابيع من مراسم التوقيع في أيار/مايو وزعم أن غيابه كان بسبب زيارة رسمية إلى الجزائر. "الزهار: الخلاف مع مشعل انتهى"، *الرياض*، 8 حزيران/يوليو 2011.

[152] كان مشعل يتحدث في المؤتمر الدولي الخامس لدعم الانتفاضة الفلسطينية، الذي وجه فيه المرشد الأعلى للثورة الإيرانية علي خامنئي انتقادات حادة لعباس ولمنظمة التحرير الفلسطينية. على النقيض من ذلك، فإن مشعل قال عن خطاب عباس: "لن نستطيع أن ننكر أن هذا العمل حقق إنجازات رمزية ومعنوية". "Khaled Meshal praises Mahmoud Abbas from Tehran", Radio Farda, 3 October 2011.

[153] أحد قادة حماس في نابلس قال، "ما الذي تعتقدون أن قيادة الخارج عنته بالمقاومة الشعبية؟ أنه سيكون هناك وقف لإطلاق النار في الضفة الغربية وغزة. أي شخص في غزة يقول غير ذلك يكذب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، كانون الثاني/يناير 2012. انظر Crisis Group Middle East Report N°122, *The Emperor Has No Clothes: Palestinians and the End of the Peace Process*, 7 May 2012. خلال هذه المحادثات، لم يتم الاتفاق على كثير من الأمور الجوهرية. يذكر أن عباس طمأن واشنطن إلى أن الاتفاق لن يفضي إلى شيء. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول أمريكي، واشنطن، كانون الأول/ديسمبر 2011. مفاوض إسرائيلي سابق قال، "أرسل عباس العديد من الرسائل إلى إسرائيل بعد الاجتماع [في تشرين الثاني/نوفمبر مع مشعل] أنه لا ينبغي أن يؤخذ الاتفاق على محمل الجد. بالطبع فإنه فعل ذلك من قبل، وبعد انخراطه في المحادثات مع إسرائيل، يفعل ذلك مع الطرف الآخر [حماس]". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، كانون الأول/ديسمبر 2011.

[154] أحد مفاوضي فتح قال إن النقاط الجديدة الوحيدة في اجتماع تشرين الثاني/نوفمبر كانت الالتزامات بـ "هدنة مع إسرائيل والمقاومة الشعبية. الهدنة تنطبق على الضفة الغربية وغزة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، 29 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. مسؤول رفيع في المخابرات المصرية قال، "اليوم وللمرة الأولى يتحدث خالد مشعل علناً حول المقاومة الشعبية. هذا هام للغاية. الآن يريدون أن يجعلوا المقاومة الشعبية مشروعة. يريدون أن يضعوها على الطاولة مع الختم الرسمي. من أجل الحصول على شيء مقابل اللاعنف الذي كانوا يمارسونه. على الأقل توقفوا عن المقاومة لسنوات ولم يحصلوا على شيء. الآن يريدون أن يجعلوا الأمر رسمياً ويحصلوا على شيء بالمقابل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. وأضاف: "خلال السنوات العشر الماضية، نجحنا في تحويل حماس من حركة مقاومة إلى حركة سلم واعتدال. لا يستطيع خالد مشعل أن يقول علناً إن المقاومة الشعبية هي خياره الوحيد. لا يستطيع بين ليلة وضحاها أن يخبر هؤلاء الناس ـ الذين تربوا على محاربة إسرائيل وعلى فكرة أن إسرائيل هي العدو ـ بأنهم لن يقاتلوا في المستقبل. كان عليه أن يقول إنه ما يزال يتمسك بالحق بالمقاومة المسلحة. الأمر شبيه بما يفعله الأمريكيون عندما يقولون، 'جميع الخيارات على الطاولة' لكن الحقيقة هي أنهم كانوا يحجمون عن المقاومة لعدة سنوات دون الحصول على شيء بالمقابل. الآن يريدون أن يجعلوا الأمر رسمياً وأن يعترف لهم بالفضل في ذلك".

[155] "لم نتفق على أن المقاومة الشعبية ستكون بديلاً عن المقاومة المسلحة"، كما قال عضو في قيادة الخارج. "المقاومة المسلحة هي حق لكل أمة تحت الاحتلال. ما تزال حماس تتمسك بهذا الخيار. لكننا ندرك أننا كفصائل فلسطينية لدينا خلافاتنا في التعامل مع المقاومة المسلحة. لكل موقفه. الجديد في القاهرة هو أننا اتفقنا على إيجاد أرضية مشتركة فيما بيننا. الجميع متفق على المقاومة الشعبية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. أحد أعضاء المكتب السياسي المقيمين في دمشق في ذلك الحين قلل أيضاً من أهمية التطور الجديد: "اتفقنا على المقاومة الشعبية في وثيقة المصالحة الوطنية [2006]". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. المادة الثالثة من الوثيقة تنص على "حق الشعب الفلسطيني بالمقاومة وبالالتزام بخيار مقاومة الاحتلال بمختلف الوسائل وتركيز المقاومة في الأراضي المحتلة منذ عام 1967 بموازاة العمل السياسي، والمفاوضات والدبلوماسية بحيث تتحقق مشاركة واسعة من جميع القطاعات في المقاومة الشعبية". "وثيقة الأسرى"، مركز القدس للإعلام والاتصال، 28 حزيران/يونيو 2006.

حماس في غزة والخارج شخصوا النزاع في مجالسهم الخاصة على أنه لا يتعلق بالإجراءات على قدر ما يتعلق بالكلمات؛ الأعضاء الكبار في كلا القيادتين أقروا بأن ثمة عدة أسباب تجعل المقاومة الشعبية غير مرجحة على الإطلاق: السلطات في غزة والضفة الغربية تعتبر الاحتجاجات الشعبية تهديدات محتملة لحكمها؛ والقادة في فتح وحماس على حد سواء سيخاطرون بالتنازل عن بعض سلطاتهم لجيل جديد؛ في الضفة الغربية، حيث ستتركز المقاومة الشعبية، فإن قوات الأمن الفلسطينية من المحتمل أن توقف أية احتجاجات أو تخاطر بوقف التعامل الأمني مع إسرائيل.[156] رغم ذلك، فإن القيادة في غزة تمسكت بهذا الكلام وأدانته، منكرة بشكل قطعي أنه تم الاتفاق على أي وقف لإطلاق النار.[157] محمود الزهار وصف المقاومة الشعبية بأنها مجرد "شعار"،[158] وبعد ذلك أضاف أحد أعضاء المكتب السياسي قائلاً:

> مشعل يستعمل مصطلحات ليست مصطلحاتنا. على سبيل المثال، مصطلح المقاومة الشعبية. كل نوع من المقاومة يشارك فيها شعبنا هي مقاومة شعبية، بما في ذلك المقاومة السلمية، والحجارة والكفاح المسلح. إذا كنا قد استعملنا مصطلحات مضللة، ينبغي أن نصححها. أخبرت المخابرات المصرية أن هذا التكتيك لن ينجح.[159]

بشكل عام، فإن قادة حماس في غزة عبروا عن عدم ارتياحهم إزاء المقترحات ـ خصوصاً التي قدمها المسؤولون المصريون في أواخر عام 2011 ـ بأن الحركة كانت تتراجع عن مبادئها وتقترب من قبول شروط الرباعية.[160] المسؤولون المصريون أخبروا نظراءهم الإسرائيليين والأمريكيين بأن عليهم أن يدعموا المصالحة الفلسطينية لأن مصر كانت قد جعلت حماس تقبل بكل ما في الشروط باستثناء الاسم:[161] الاعتراف بإسرائيل، كما زعموا، كان متضمناً في دعم حماس لدولة فلسطينية على حدود ما قبل 1967، (أحد المسؤولين المصريين تساءل، "ما الذي تعتقد أن على الوجه الآخر للدولة الفلسطينية؟")؛[162] نبذ العنف، كما قالوا، كان معنى موافقة حماس على المقاومة الشعبية؛ والقبول بالاتفاقيات السابقة التي وقعتها منظمة التحرير الفلسطينية، كما قالوا، كان قد تحقق أصلاً عندما وقعت حماس وثيقة المصالحة الوطنية عام 2006[163] ووافقت على برنامج حكومة الوحدة الوطنية الذي تم تشكيلها في آذار/مارس 2007.[164]

---

[156] عدد كبير من أعضاء الجناح العسكري في حماس حضر اجتماع تشرين الثاني/نوفمبر في القاهرة. وجميع الذين تحدثوا مع مجموعة الأزمات قالوا بأنهم ملتزمون بقرار الانخراط بالمقاومة الشعبية، رغم أن الجميع كان متشككاً بأن ذلك سيحدث. قائد رفيع من كتائب القسام في قطاع غزة قال، "لا أعتقد أن المقاومة الشعبية تعني الكثير. نحن ملتزمون بها، لكننا واثقون من أن إسرائيل لن تسمح ببقائها غير عسكرية لفترة طويلة. من ثم نعود إلى المقاومة المسلحة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. عضو مستقل من الضفة الغربية يشارك في المظاهرات قال إن اللامبالاة والانهاك اللذان يعاني منهما الفلسطينيون يمثلان عوامل إضافية ويعملان ضد الاحتجاجات واسعة النطاق. "قوات الأمن في الضفة الغربية تشكل عقبة رئيسية أمام المقاومة الشعبية، لكنها لا تشكل التفسير الوحيد: هناك احتجاجات قليلة في قلنديا، على سبيل المثال، حيث لا يوجد قوات أمن فلسطينية لوقفها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، أيلول/سبتمبر 2011. أحد قادة حماس في الضفة الغربية رد بالقول إن الاحتجاجات في قلنديا ومناطق أخرى حيث لا يسمح للسلطة الفلسطينية بالدخول غير ممكنة دون موافقة السلطة الفلسطينية وفتح: "مستحيل. الناس الذي يشاركون في الاحتجاجات هناك عليهم العودة إلى بلداتهم وقراهم، وسيستدعون للتحقيق ويعتقلون حال عودتهم. لابد من موافقة فتح. إنها متطلب أساسي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، تموز/يوليو 2012. أحد قادة فتح أقر بهذه النقطة لكنه قال، "الحركتان الوحيدتان اللتان تستطيعان حشد الناس هما حماس وفتح. ولم تحاول أي منهما البدء بالمقاومة الشعبية. أنا متأكد أنك سترى عشرات الآلاف في الشوارع إذا اتفقتا على ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، نيسان/إبريل 2012.

[157] "ليس هناك وقف لإطلاق النار. لقد نجحنا في إخراج إسرائيل من قطاع غزة. وقد آن الأوان لفعل الشيء ذاته في الضفة الغربية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012. مسؤول رفيع آخر قال، "لم يعِد خالد مشعل بهذا ولا يستطيع أن يعد به. ثمة قانون طبيعي يتمثل في أن الاحتلال ينبغي أن يقاوَم؛ إذا كنت مصاباً بفيروس في جسمك، فستتشكل مقاومات مناعية ضده بشكل طبيعي. حماس تمتلك استراتيجية؛ وهي أكبر من خالد مشعل ومن الأشخاص الأكبر حتى من خالد مشعل. وتتمثل هذه الاستراتيجية في أن على الاحتلال أن يرحل عن فلسطين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 13 شباط/فبراير 2012. مسؤولون من حماس وفتح على حد سواء قالوا إن عباس لن يسمح بالاحتجاجات الشعبية، جزئياً لأنه يخشى أن تتم عسكرتها بسرعة. كما عبّرت شخصية بارزة من حماس في قطاع غزة عن مخاوف إزاء الثمن السياسي لمثل تلك الاستراتيجية: "هؤلاء الناس [المتشددون في حماس والفصائل الأخرى] الذين ينامون مع أربيجياتهم ليلاً – إلى متى سيسمحون لحماس بالانخراط في المقاومة الشعبية؟ سنخسر جمهورنا. المقاومة الشعبية لا تحدث خلال أسبوعين أو شهرين. إنها بحاجة لوقت طويل، أطول مما تتطلبه الإدارة السياسية للسعي الجدي لتحقيها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، كانون الأول/ديسمبر 2011.

[158] "لقد ناقشنا ذلك كشعار". "Hamas: Peaceful resistance not applicable to Gaza", Ma'an News Agency, 3 January 2012.

[159] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 14 كانون الثاني/يناير 2012. عضو رفيع في قيادة المنفى قال، "المشكلة هي أن مشعل لا يفهم أن أبو مازن لن يلتزم بأي شكل من أشكال المقاومة، بما في ذلك المقاومة الشعبية"، مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، شباط/فبراير 2012.

[160] أسست الرباعية حول الشرق الأوسط في عام 2002 وتتكون من الولايات المتحدة، والاتحاد الأوروبي، والأمين العام للأمم المتحدة وروسيا. مبادئ الرباعية، التي يشار إليها أحياناً بشروط الرباعية، صيغت في بيان صدر بعد انتصار حماس الانتخابي في كانون الثاني/يناير 2006.

[161] مسؤول مصري قال عن مبادئ الرباعية، "لقد أجبنا عليها جميعاً. صحيح، حماس لم تحققها حرفيا، لكن ينبغي على إسرائيل أن تتعامل بإيجابية مع ما حققناه". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، كانون الأول/ديسمبر 2011. تنبأ مسؤولو الخارجية والمخابرات المصرية بأن الإخوان المسلمين سيقنعون حماس بالالتزام بالاتفاقات السابقة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، كانون الأول/ديسمبر 2011.

[162] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[163] لقبول هذا الزعم، على المرء أن يوافق على أن الإشارة في وثيقة المصالحة الوطنية في بندها الأول إلى "القانون الدولي والشرعية الدولية" تتضمن الاتفاقات السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية. البند

لا المسؤولين الإسرائيليين ولا الأمريكيين وجدوا هذه الحجج مقنعة.[165] لكن ومرة أخرى فإن الرد من غزة كان سريعاً. بعد أسابيع من محادثات المصالحة التي جرت في القاهرة في تشرين الثاني/نوفمبر 2011، وقبل أيام من الجولة الثانية من الاجتماعات هناك، ألقى هنية خطاباً عاصفاً في مدينة غزة أمام عشرات الآلاف من أنصار حماس الذين اجتمعوا في الذكرى الرابعة والعشرين للحركة. وبدا أن كلمته، تفند نقطة نقطة، كل ما أكدت عليه قيادة الخارج بعد اجتماع مشعل وعباس.

في حين أكد قادة الخارج على قبولهم بالمقاومة الشعبية، أعلن هنية، "حماس ستقود انتفاضة بعد انتفاضة حتى نحرر فلسطين ـ كل فلسطين"؛ وتحدث قادة الخارج عن التوصل إلى اتفاق استناداً إلى القضية المشتركة بين الطرفين، إلا أن هنية قال، "المصالحة الفلسطينية ـ وعلى جميع الأطراف أن يعرفوا ـ لا يمكن أن تحدث على حساب المبادئ، على حساب المقاومة"؛ قادة الخارج قالوا إنهم منحوا عباس مباركتهم للاستمرار في المفاوضات من أجل أن يكتشف أخيراً أنه لن ينجح، في حين أن هنية أعلن: "نقول اليوم، بوضوح، بحيث لا يمكن تفسير ما نقول بشكل مخالف، إن المقاومة المسلحة والكفاح المسلح هما السبيل والخيار الاستراتيجي لتحرير الأرض الفلسطينية"؛ قادة الخارج تحدثوا عن عاصمة فلسطينية في القدس الشرقية،[166] في حين أن هنية أكد، "لا أعني القدس الشرقية فقط؛ القدس، كل القدس، هي عاصمة دولة فلسطين"؛ وقيادة الخارج أكدت قبولها بدولة فلسطينية على حدود ما قبل عام 1967، التي قال هنية بصددها:

> لن نتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين. إن انخراط حماس في أي مرحلة في الهدف المؤقت المتمثل في تحرير غزة، أو الضفة الغربية أو القدس لا يحل محل النظرة الاستراتيجية فيما يتعلق بفلسطين وأرض فلسطين.[167]

قيادة الخارج قالت إن الخطاب مصمم ليرضي عواطف الجماهير. ولدى سؤال أحد أعضاء المكتب السياسي المقيمين في دمشق عن التناقض بين الرسالتين، قال "هل تعرف ما الفرق بين ما قلناه في القاهرة وما قاله هنية في مدينة غزة؟ الجمهور".[168] إلا أن القادة في غزة جادلوا بأن الخطاب كان قد قدم تصحيحاً ضروريا للجميع عن تحول داخلي في حماس. بعد ساعات من إلقاء الخطاب، قال أحد أعضاء المكتب السياسي في غزة بكثير من الرضا، "قبل أسبوع، لم يكن أحداً في حماس قادراً على قول أمرين: انتقاد المقاومة الشعبية والحديث عن كل فلسطين. لكني أتحدث عنهما على أي حال. واليوم تسمع نفس الكلمات من هنية".[169] قد يكون اقتراب الانتخابات الداخلية في حماس ـ والتي أوشكت نتائجها على الظهور ـ فاقمت الخلافات بين قادة الحركة.[170]

مهما كانت التوترات التي اندلعت في أواخر عام 2011 فقد كانت ضئيلة بالمقارنة مع ما حدث بعد شهرين، في 6 شباط/فبراير 2012، عندما فوجئ قادة حماس في الضفة الغربية وقطاع غزة بإعلان مفاده بأن مشعل وعباس كانا قد وقعا اتفاق مصالحة جديد في قطر، سُمي اتفاق الدوحة.[171] استناداً إلى اتفاق المصالحة الذي وقع في أيار/مايو

الأول يقول: "الشعب الفلسطيني في الوطن والشتات يسعى ويكافح لتحرير أرضه ... استناداً إلى ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي والشرعية الدولية بطريقة لا تنتقص من حقوق شعبنا".

[164] شكلت في أعقاب اتفاق المصالحة الذي وقع في مكة في شباط/فبراير 2007. ينص برنامج حكومة الوحدة الوطنية على ما يلي: "تحترم الحكومة قرارات الشرعية الدولية والاتفاقات الموقعة من قبل منظمة التحرير الفلسطينية". أحد أعضاء حماس من منتقدي قيادة الخارج قال إنه ليس من المحتمل أن توافق حماس على احترام الاتفاقات السابقة لمنظمة التحرير الفلسطينية: "تم الاتفاق على ذلك عندما كنا [فتح وحماس] نتبادل إطلاق النار". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2011. لكن القادة في الضفة الغربية قالوا إن حماس لن يكون لديها مشكلة في الالتزام مرة أخرى باحترام الاتفاقات السابقة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، رام الله، كانون الثاني/يناير ـ تموز/يوليو 2012.

[165] مسؤول عسكري إسرائيلي قال، "المصريون الذين قالوا بأن حماس قبلت بشكل أساسي بشروط الرباعية فعلوا ذلك لأن هذا ملفهم، وهم يريدون أن يتوصلوا إلى نتائج". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تل أبيب، 23 نيسان/إبريل 2012.

[166] خالد مشعل لمحطة تلفزيونية أمريكية التقته، "وهكذا عندما ينتهي الاحتلال، تتوقف المقاومة. بهذه البساطة. إذا انسحبت إسرائيل إلى حدود 1967، ستكون نهاية المقاومة الفلسطينية ... إذا انسحبت إسرائيل إلى حدود 1967، ومن القدس الشرقية، فإن تلك ستصبح عاصمة الدولة الفلسطينية مع حق العودة للاجئين ومع دولة فلسطينية ذات سيادة حقيقية على الأرض وعلى الحدود وعلى المعابر". "Hamas leader Khaled Meshal", "The Charlie Rose Show", 28 May 2010.

[167] الفيديو متوافر على الموقع O5OHo. www.youtube.com/watch?v=AqC-yv.

[168] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 كانون الأول/ديسمبر 2011. أحد المحللين أشار إلى أن الانتخابات الداخلية في حماس كانت قد جعلت الانقسامات بين القادة البارزين أكثر حدة، خصوصاً هنية ومشعل. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2011.

[169] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 14 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[170] لقد أكملت حماس جزئياً انتخاباتها الداخلية إلا أن أجزاء من الشتات لم تنتهي من التصويت. وبسبب قمع أنشطة حماس في الضفة الغربية، فإن المناصب القيادية هناك اختيرت دون انتخابات حقيقية. وهكذا فإن التطورات الأكثر أهمية حتى الآن كانت النتائج في قطاع غزة، حيث ذهب أكثر من ثلث المقاعد في مكتبنا السياسي إلى المتشددين أو الشخصيات ذات العلاقة بصفقة شاليط. أعيد انتخاب هنية رئيساً للمكتب. والمرشحون الثلاثة لقيادة المكتب السياسي الكلي للحركة هم الرئيس الحالي مشعل، ونائبه، موسى أبو مرزوق، وهنية. يقال إن معظم القادة في قطاع غزة يميلون نحو الاثنين الأخيرين، في حين أن بضعة قادة في الضفة الغربية قالوا بأن الأغلبية هناك بدت لصالح مشعل. لكن حتى في قطاع غزة فإن معظم أعضاء حماس قالوا أنهم يعتقدون أن مشعل سيحتفظ بمنصبه. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة حماس، القاهرة، مدينة غزة، الخليل، نابلس، رام الله، كانون الثاني/يناير ـ تموز/يوليو 2012.

[171] وقع الاتفاق في 6 شباط/فبراير 2012 بعد اجتماع عقد في اليوم السابق بين عباس، ومشعل وأمير قطر، الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني. "Full text of the Doha Declaration signed between Hamas and Fatah", *Middle East Monitor*, 8 February 2012. غضب المسؤولون المصريون غضباً شديداً، فبعد كل العمل الذي قاموا به، وقع

2011 في القاهرة، فقد طلب عقد اجتماع ثانٍ للجنة المؤقتة لمنظمة التحرير الفلسطينية من أجل إصلاح هيئتها التشريعية، المجلس الوطني الفلسطيني؛ وإطلاق العمل من قبل اللجنة المركزية للانتخابات استعداداً للانتخابات التشريعية والرئاسية؛ وتشكيل حكومة من تكنوقراط ومستقلين برئاسة عباس، الذي سيضيف لقب رئيس وزراء السلطة الفلسطينية إلى قائمة ألقابه التي تضم رئيس السلطة الفلسطينية، ورئيس منظمة التحرير الفلسطينية وزعيم فتح.[172] وسيكون للحكومة المؤقتة برئاسة عباس مهمتين فقط: الشروع في إعادة إعمار غزة، التي ستسهم فيه قطر بـمليار دولار.[173] وتيسير الانتخابات الرئاسية والتشريعية للسلطة الفلسطينية.[174] ردود الفعل داخل شرائح مختلفة من حماس وفرت نافذة للمناظرات الحامية حول استراتيجية الحركة التي جرت حتى ذلك الحين على الأغلب وراء الكواليس. عبّر القادة في الضفة الغربية وقطاع غزة عن غضب كبير إزاء الاتفاق، كما فعل البعض في قيادة الخارج نفسها؛ ويذكر أن مشعل تجاهل نصيحة عضو رفيع في المكتب السياسي بالتشاور مع باقي أعضاء هيئة صنع القرار.[175] قادة قطاع غزة وصفوا مشعل بأنه بائع في سوق للمشترين"،[176] وانتقدوا الاتفاق علناً بعد الإعلان عنه مباشرة،[177] وناقشوا بين بعضهم البعض الاستقالة من المكتب السياسي.[178] ووجهوا أعضاء اللجنة القانونية في المجلس التشريعي الفلسطيني لإصدار مذكرة تقول إنه من غير الدستوري أن يكون شخصاً واحداً رئيساً ورئيساً للوزراء وأن مثل هذا الترتيب يتعارض مع الغاية التي أنشئ من أجلها منصب رئيس الوزراء (للمفارقة، بالنسبة لعباس، للحد من سلطات الرئيس عرفات عام 2003).[179]

عدد كبير من قادة حماس جادلوا بأن الموافقة على عباس كرئيس للوزراء ينتهك التفاهم طويل الأمد على أن رئيس الحكومة ينبغي أن يكون شخصية مستقلة وآراء مجلس الشورى، وهو هيئة قيادية رئيسية، في هذا الصدد.[180] أحد أنصار الاتفاق دافع عن قرار مشعل قائلاً:

الاتفاق في الدوحة. يذكر أن عباس ومشعل أخبراهم، ولو بشكل غير مقنع، بأن الاتفاق قدم لهما كأمر واقع من قبل الأمير نفسه ولم يكن لهما خيار. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول مصري، القاهرة، أيار/مايو - حزيران/يونيو 2012.

[172] في تعليق قوبل بالتشكك من قبل قادة حماس في قطاع غزة، قال عباس إنه لم يكن ينوي البقاء كرئيس للوزراء لأكثر من بضعة أشهر: "لقد قبلت بترؤس الحكومة لعدة أشهر، وليس لسنوات. ينبغي لمحادثات تشكيل الحكومة أن تأتي في إطار تاريخ محدد لإجراء الانتخابات. ستكون المهمة الرئيسية للحكومة الجديدة التحضير للانتخابات والإشراف عليها". "عباس: الحكومة ستبقى لأشهر وليس لسنوات"، *القدس*، 11 شباط/فبراير 2011. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين من حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[173] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين من حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012؛ ودبلوماسي أوروبي، القدس، 13 آذار/مارس 2012. مسؤولو حماس قالوا إن قطر كانت قد تعهدت بتأمين "شبكة أمان مالية" للسلطة الفلسطينية في حال جمدت إسرائيل تحويل العائدات الضريبية وقطع المانحون الغربيون المساعدات عن الحكومة المؤقتة.

[174] كما دعى الاتفاق إلى إصلاح الهيئة التشريعية لمنظمة التحرير الفلسطينية، المجلس الوطني الفلسطيني، في نفس الوقت الذي تجري فيه الانتخابات الرئاسية والتشريعية للسلطة الفلسطينية؛ واستمرار عمل لجنة الحريات ولجنة المصالحة الاجتماعية لتخفيف حدة التوتر بين الحركتين؛ وتنفيذ ما كان قد اتفق عليه فيما يتعلق بإطلاق العمل من قبل اللجنة المركزية للانتخابات. لمراجعة النص الكامل، انظر المرجع السابق. حدد عباس أن الحكومة ستشكل "فقط لفترة انتقالية وستكون مهمتها التحضير للانتخابات". أحد أعضاء اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية قال إن عباس سيشكل الحكومة فقط بعد تأكده من أن الانتخابات ستجرى خلال ثلاثة أشهر: "لا يريد أن ينتهي الأمر به رئيساً للوزراء للسنوات الثلاث القادمة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، شباط/فبراير 2012.

[175] من شبه المؤكد أن مشعل تجاوز حدوده بعدم استشارة المكتب السياسي. قدم أنصاره تفسيرين لذلك: أولاً، أنه أُحرج من قبل الأمير، الذي كان قد طرح عباس كرئيس للوزراء وهو ما لم يكن مشعل يستطيع رفضه، خصوصاً أنه كان مديناً له بعد انتقاله إلى قطر وللمساعدة في التوسط في التقارب مع الأردن قبل أيام. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المكتب السياسي لحماس، القاهرة، شباط/فبراير 2012. التفسير الثاني هو أن المصلحة الوطنية الفلسطينية العليا المتمثلة في المصالحة تطلبت تحركات جريئة وإشكالية. على حد تعبير عضو مكتب سياسي مقرب من مشعل، "الأخ أبو الوليد [مشعل] كان يعرف أن هذه ستكون خطوة لا تحظى بالشعبية، وكان يعرف بأنه سيكون هناك اعتراضات. لكنه يعرف أيضاً أننا بحاجة إلى خطوة عملاقة كهذه لكسر الجليد وتحقيق المصالحة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012.

[176] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[177] أحد قادة حماس، إسماعيل الأشقر، قال إن الاتفاق "يتعارض مع القانون الفلسطيني الأساسي ويشكل تجاوزاً للمجلس التشريعي الفلسطيني". "Doha agreement divides political opinion", Ma'an News Agency, 7 February 2012. القائد الرفيع في حماس محمود الزهار قال: "إن قادة حماس داخل وخارج قطاع غزة لم تتم استشارتهم حول حكومة يرأسها عباس"، مضيفاً أنه، "استراتيجياً، يعتبر قراراً خاطئاً وغير مقبول أن توضع كل السلطات في يد عباس". "عباس: الحكومة ستبقى لأشهر وليس لسنوات"، *القدس*، 11 شباط/فبراير 2012.

[178] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[179] "قانونية الجمع بين رئاسة السلطة الوطنية ورئاسة مجلس الوزراء"، المجلس التشريعي الفلسطيني، 7 شباط/فبراير 2012، نص موجود على الموقع www.plc.ps/ar/news_details.aspx?id=830. حول هذه القضية أيضاً كان هناك اتفاق على نطاق واسع أن شغل الرئيس لمنصب رئيس الوزراء في وقت واحد يتعارض على الأقل مع روح القانون الأساسي الفلسطيني. الحجة المضادة التي قدمها أنصار الاتفاق كانت أن الفلسطينيين كانوا يعيشون بشكل يتعارض مع القانون الأساسي منذ بدء الانقسام. "اتفاق القاهرة أيضاً يحتوي العديد من المواد التي تنتهك القانون الأساسي"، على حد تعبير أحد أنصار مشعل في قيادة الخارج، "لكنه تم التوصل إليه بالإجماع بين الفصائل، واتفقنا على أن الإجماع يمثل سلطة أعلى من القانون. على كل حال، فإن القانون الأساسي ليس قرآناً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، شباط/فبراير 2012.

[180] لقد كانت صعوبة الحصول على رئيس وزراء مناسب إحدى العقبات التي أعاقت المصالحة. الغرب وإسرائيل يصران على الاحتفاظ بفياض، وقد تردد عباس باستبداله، رغم الإجماع على ذلك بين حماس وفتح. الوسطاء المصريون يقولون إنهم اقترحوا أولاً أن يجمع عباس بين المنصبين كطريقة للالتفاف على المشكلة، وأن عباس كان قد وافق وأن مشعل بدا متفهماً. كما لوحظ أنهم، قد أخذوا على حين غرة عندما قبل

في آخر اجتماع لمجلس الشورى في الخرطوم [أواخر كانون الأول/ديسمبر 2011]، اتفقنا على الحاجة لتسريع الموافقة. لذلك وعندما وقع خالد مشعل اتفاق الدوحة فعل ذلك انسجاماً مع مصالح الحركة. الفيتو الوحيد الذي وضعته الحركة كان على بقاء سلام فياض رئيساً للوزراء. وقد احترم مشعل الفيتو. ما فعله هو اجتهاد ضمن الحدود المسموح بها.[181]

على النقيض من ذلك، فإن القادة الذين عارضوا الاتفاق في قطاع غزة قالوا إنه من الواضح أن الحركة لم تكن مستعدة للسماح بأن يرأس الحكومة زعيم فتح، كما كان واضحاً من حقيقة أنه في الأشهر التي أمضتها فتح وحماس في التجاذب حول من يمكن أن يحل محل سلام فياض كرئيس للوزراء تم التفكير في التكنوقراط والمستقلين سياسياً فقط. أحد أعضاء المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس في الضفة الغربية عبر عن إحباطه قائلاً، "كان جوهر الفكرة هو قيام حكومة غير فصائلية!".[182] أحد قادة حماس في قطاع غزة أضاف: "لو أردنا الموافقة على حكومة انتقالية تكون حكومة أبو مازن، وبالبرنامج السياسي لأبي مازن، لكنا وافقنا على ذلك قبل سنوات".[183]

بعد أقل من أسبوعين من توقيع الاتفاق، واجه أعضاء القيادة في قطاع غزة والخارج مشعل حول الاتفاق في اجتماع مطول للمكتب السياسي في القاهرة. لمصلحة المحافظة على وحدة الحركة، فإن منتقديه اختاروا في الأيام التي سبقت الاجتماع عدم معارضة الاتفاق مباشرة، وحاولوا بدلاً من ذلك إفشاله بوضع شروط ثقيلة: أن تتم إعادة تفعيل المجلس التشريعي الفلسطيني؛ وأن يقوم بتعديل القانون الأساسي لإزالة العقبات القانونية التي لا تسمح بأن يكون رئيس الوزراء والرئيس شخصاً واحداً؛ وان يوافق المجلس التشريعي الفلسطيني على الحكومة على أن لا يكون عباس رئيسها.[184]

أحد أعضاء المكتب السياسي من قطاع غزة وصف القرار المركزي الماثل أمام المكتب بأنه "خيار بين الرفض الصريح والإشارة إلى العقبات كي لا يتم إحراج مشعل علناً". وأضاف: "لم نجد أحداً في قطاع غزة ولا أحداً في الخارج ـ باستثناء أولئك المقربون منه ـ يقبلون باتفاق الدوحة. صوتت الأغلبية ضد الرفض الصريح لأن ذلك سيؤثر على علاقاتنا مع العديد من البلدان التي تدعم الاتفاق".[185] معارضو الاتفاق قدموا النزاع على أنه يركز على غياب التشاور وانتهاك المبادئ التأسيسية للحركة. "إلى أين يأخذنا هذا الشخص؟"، تذكر أحد أعضاء المكتب السياسي من قطاع غزة:

> هذه رابع مرة يتخذ فيها قرارات استراتيجية دون استشارتنا: القول في أيار/مايو [2011] أن بوسع أبو مازن الاستمرار في المفاوضات؛ الإعلان في نفس الخطاب أننا نوافق على دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة دون ذكر أن هذا سيكون هدنة لفترة محدودة؛ وإعلان التزامنا بالمقاومة الشعبية؛ والآن القبول بعباس كرئيس للوزراء في الدوحة.[186]

أنصار اتفاق الدوحة في المكتب السياسي قدموا وجهات نظر أولئك الذي يعارضونهم على أنها أيضاً غير مكتملة. أحد أعضاء المكتب في المنفى، قال "بعض الذين رفضوا الدوحة قال إن مصلحتنا تكمن في استمرار الانقسام، دون أن يشرح ذلك. لا يمكن إقناع هؤلاء الناس". وأضاف أن معظم المعارضة للاتفاق ليست مستمدة من المبادئ بل من النظرة الضيقة لقطاع غزة:

> لا نريد إمارة في قطاع غزة. هناك مصلحة عليا. نحن عالقون واعتدنا على الانقسام. ليس حماس فقط بل جميع الفلسطينيين. في اجتماعنا مع أبو مازن أمس قلنا إننا نشعر بالخجل أمام شعبنا وأمام العالم وأمام الله نفسه لأن جميع الفصائل تتحدث حول هذه التفاصيل الصغيرة.[187]

كما فعلت حماس إزاء الخيارات الاستراتيجية الأخرى منذ بدء الانتفاضات العربية، فإنها أجلت، لمصلحة الوحدة، أي قرار حول أي مسار بديل للمسار الذي تم وضعه في اتفاق الدوحة. الشعور بأن خلافات الحركة كانت قد أصبحت علانية أكثر مما ينبغي ساعد في إقناع القادة بعدم إنهاء النقاش بشكل حاسم. أحد المسؤولين الحكوميين في قطاع غزة قال إن خصوم حماس كانوا يأملون بدق الإسفين: "يريدون إجبارنا إما على رفض المصالحة، وفي هذه الحالة سنتحمل مسؤولية الانقسام، أو إيجاد انقسام في الحركة بين أولئك الذين يفضلون المصالحة وأولئك الذين لا يفضلونها".[188] كان الحل الذي

الزعيمان أخيراً هذه الحصيلة خلال اجتماعهم في الدوحة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول مصري، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[181] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المكتب السياسي في الخارج، القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012.

[182] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، شباط/فبراير 2012. أحد أعضاء المكتب السياسي من قطاع غزة أضاف: "لا أحد يفهم ما حدث في الدوحة، ولا حتى مشعل. كان يعتقد أننا ضد فياض. لم يفهم بأننا رفضنا فياض لأنه يمثل نظاماً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 شباط/فبراير 2012.

[183] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012.

[184] في المفاوضات السابقة، عارضت فتح إعادة تفعيل المجلس التشريعي الفلسطيني، لأنه يمكن أن يلغي جميع المراسيم والقوانين الرئاسية منذ عام 2007، لأن القانون الأساسي الفلسطيني ينص على أن يقوم المجلس بمراجعة جميع التشريعات الطارئة عند العودة إلى الانعقاد. كما سيسمح للمجلس الذي تقوده حماس بإسقاط الحكومة بالتصويت بسحب الثقة، وهو تهديد غير مقبول لقيادة فتح. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أعضاء في اللجنة المركزية لفتح وأعضاء المجلس الوطني الفلسطيني عن فتح، رام الله، شباط/فبراير 2012.

[185] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 ـ 26 شباط/فبراير 2012. لدى سؤال أحد أعضاء المكتب السياسي حول كيف دافع أنصار الاتفاق عنه في الاجتماع، فقال، "لم يكن لدى مشعل جواب. لم يقنعنا".

[186] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 23 شباط/فبراير 2012. قائد آخر في حماس علق على الأحادية المتزايدة لدى مشعل: "حماس تفعل كل شيء الآن من خلال الرسائل القصيرة. أحدهم أطلق نكتة مؤخراً باقول إننا كنا 'HMS' [حمس وهي جذر "حماس"] لكننا أصبحنا الآن 'SMS'. كنا نجلس للمناقشة، بينما الآن يرسل لنا مشعل SMS لإعلامنا بقرار، ونرد بـ SMS لنعبر عن تحفظاتنا. إننا لا نستمع إلى بعضنا البعض كما كنا نفعل في الماضي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 شباط/فبراير 2011. عضو آخر قال، "المفاوضات مشروع أبو مازن الذي يريد أن يديره منفرداً؛ بالنسبة لمشعل فإن المشروع الانفرادي هو المصالحة". مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[187] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012.

[188] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 شباط/فبراير 2012.

خرج به المكتب السياسي هو إصدار بيان يؤكد على الالتزام ليس فقط باتفاق الدوحة بل بتنفيذ اتفاق القاهرة "بدقة ونزاهة"،[189] والذي يدعو إلى العديد من الشروط الصعبة التي تم الإصرار عليها من قبل منتقدي الاتفاق.

تم تعليق الجهود المتعلقة بالمصالحة لأسابيع بعد اتفاق الدوحة. بعد حوالي ثلاثة أشهر من توقيع الاتفاق، قال كبير مفاوضي فتح عزام الأحمد إن الطرفين لم يناقشا المصالحة خلال شهرين وليس لديهما خطط للمزيد من المحادثات، في حين ذُكر أن القائد الرفيع في حماس محمود الزهار وصف الاتفاق بأنه "ميت".[190] لكن لا أحد في المكتب السياسي كان قد غير موقفه، وما زالت الظروف الإقليمية التي أنتجت اتفاق الدوحة قائمة، وكثيرون توقعوا أن تعود القضية. ثم، في أيار/مايو 2012، وقعت فتح وحماس اتفاقاً جديداً في القاهرة رغم أنه شبيه جداً باتفاق الدوحة، إلا أنه كان مختلفاً من ناحيتين، أولاً، وقع الاتفاق في القاهرة وليس في الدوحة، وبالتالي هدأ من استياء المصريين من أنهم توسطوا في محادثات المصالحة لسنوات ومن ثم تم تهميشهم من قبل قطر.[191] ثانياً، أوضح بعض النقاط التي ادعت قيادة غزة بأنها كانت من بين نقاط خلل اتفاق الدوحة: ضمن الاتفاق بأن لا يظل عباس رئيساً للوزراء لفترة غير محددة إذا لم تجر الانتخابات (ستقتصر فترته على ما لا يزيد عن ستة أشهر، يتم بعدها استبدال الحكومة).[192] كما نص على أن الانتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني، والانتخابات الرئاسية وانتخابات المجلس التشريعي الفلسطيني ستجرى في وقت واحد أو لا تجرى على الإطلاق، وبذلك تتم إزالة إمكانية موافقة حماس على انتخابات السلطة الفلسطينية دون أن يكون لها موطئ قدم في منظمة التحرير الفلسطينية.

في مطلع تموز/يوليو 2012، وفي إشارة جديدة إلى عدائية قطاع غزة اتجاه اتفاق المصالحة، علقت قيادة حماس في القطاع عمل اللجنة المركزية للانتخابات قبل يوم واحد من بداية تسجيل الناخبين هناك.[193] من حيث أن قدرة اللجنة على العمل في غزة كانت جزءاً رئيسياً من اتفاق القاهرة (الذي نص على أن يتم تحديد تاريخ الانتخابات بعد أن تكون قد أكملت عملها).[194] وأدى هذا إلى توقف التقدم نحو الوحدة إلى أجل غير محدد.

كما بدا أنه يؤكد صحة وجهة نظر أولئك الذين حملوا المسؤولية بشكل أساسي لقيادة غزة عن فشل المصالحة والذين زعموا أنها كانت تخشى الانتخابات. حتى مسؤولي حماس في قطاع غزة أقروا بأن التحرك أسيئت إدارته، حيث أن الأسباب المعلنة لتوقف عمل اللجنة المركزية للانتخابات ـ القمع الواقع على أعضاء حماس في الضفة الغربية،[195] والمخاوف من أن فتح قد تقوم بالتزوير الانتخابي،[196] وغياب سجل ناخبين مواز للضفة الغربية وعدم تسجيل الناخبين لانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني (التسجيل فقط لانتخابات السلطة الوطنية الفلسطينية)[197] ـ يمكن، كما يقولون، أن تثار بعد تسجيل الناخبين في قطاع غزة، وبذلك يعيقون الانتخابات إلى أن تتم معالجة مخاوف حماس لكن دون تعزيز الشعور بأن الحركة تعارض الانتخابات من حيث المبدأ.[198] إن محلل محلي فلسطيني قال إن قيادة غزة كانت قد

[189] يبدأ البيان بالقول "أكد المكتب السياسي لحماس بعد اجتماعه في القاهرة على أهمية التنفيذ الدقيق والنزيه لإعلان الدوحة واتفاق القاهرة". "المكتب السياسي لحماس يؤكد على أهمية تنفيذ إعلان الدوحة"، المركز الإعلامي الفلسطيني، 23 شباط،فبراير 2012.

[190] "Political bureau of Hamas affirms importance of implementing Doha declaration", *The Palestinian Information Center*, 23 February 2012.

[191] على حد تعبير أحد أعضاء المكتب السياسي في قطاع غزة، "لم يكن لاتفاق الدوحة علاقة بالمسائل الداخلية الفلسطينية بقدر ما كان له علاقة بالضغوط من الدول العربية. الاتفاق الذي وقع بعد ثلاثة أشهر في القاهرة لا ينضوي على أي أهمية سياسية. أنه يضيف بضعة تفاصيل إلى اتفاق القاهرة الذي وقع في أيار/مايو 2011. لماذا وقعناه؟ فقط لنرد على اتفاق الدوحة، ونوقعه في القاهرة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[192] كان عباس قد أصر بشكل متكرر بأنه لم يكن يرغب بالبقاء رئيساً للوزراء لأكثر من عدة أشهر، رغم أن هذا لم يساعد في تهدئة مخاوف العدد الكبير من قادة حماس في قطاع غزة والضفة الغربية. قادة فتح أكدوا على أن عباس ليس له مصلحة في البقاء رئيساً للوزراء لفترة طويلة، حيث لن يكون قادراً على إحالة الانتقادات الموجهة إلى السلطة الفلسطينية إلى شاغل المنصب في حين أنه هو الذي يشغله. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في فتح، رام الله، شباط/فبراير 2012.

[193] قبل شهر، بعد أن كانت حماس قد تعهدت بالسماح للجنة المركزية للانتخابات للعمل في غزة، اكتشفت قنبلة على ما ذكر في مقر اللجنة المركزية للانتخابات في قطاع غزة. أعلنت حماس أنها كانت قد اعتقلت الفاعل، التي زعمت الحكومة بأنه كان يعمل لصالح جهة ما في رام الله. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، شباط/فبراير 2012.

[194] كان يمكن لقادة غزة أن يجادلوا بأن اتفاق القاهرة كان قد تم انتهاكه أصلاً في الوقت الذي كانوا قد علقوا فيه تسجيل الناخبين. الاتفاق دعا للتشاور حول تشكيل حكومة جديدة يبدأ يوم بداية عمل اللجنة المركزية للانتخابات في قطاع غزة، لكن ذلك لم يحدث، رغم أن اللجنة المركزية للانتخابات كانت تعمل (ولو لم تكن تسجل الناخبين) في قطاع غزة لأكثر من شهر. إلا أن هذا لم يكن بين المبررات التي قدمت من قبل قيادة القطاع. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في حماس، مدينة غزة، تموز/يوليو 2012.

[195] "حماس توقف تسجيل الناخبين في غزة"، وكالة أنباء معاً، 2 تموز/يوليو 2012.

[196] "قائد في حماس: فتح تخطط لتزوير الانتخابات"، وكالة أنباء معاً، 2 تموز/يوليو 2012.

[197] اشتكى قادة حماس في الضفة الغربية من أن التحضيرات لانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني كان ينبغي أن تبدأ بموازاة بداية عمل اللجنة المركزية للانتخابات في قطاع غزة. أحدهم قال، "إذا كان الأمر يستغرق اللجنة المركزية للانتخابات ستة أسابيع لتسجيل الناخبين لانتخابات السلطة الفلسطينية في الأراضي المحتلة حيث جرت انتخابات حرة ونزيهة للسلطة الفلسطينية قبل 6 سنوات، كم من الوقت تفترضون سيستغرقه الإعداد لانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني في الأراضي المحتلة هنا وفي الشتات حيث لم تجرى أي انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني؟ وبالتالي فإن قادة قطاع غزة نظروا إلى ما يجري على الأرض ورأوا أنهم كانوا الوحيدين الذين يساعدون في التحرك نحو الانتخابات، وأنه لم يكن هناك عمل موازن فيما يتعلق بانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني، وأنه في غياب التحضيرات لانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني كان عباس ما يزال يقول بأنه سيعلن عن موعد الانتخابات قريباً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 19 تموز/يوليو 2012.

[198] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين في حماس، مدينة غزة، تموز/يوليو 2012.

علقت عمل اللجنة المركزية للانتخابات لأنها كانت "قد جعلت المعركة مع مشعل أولوية تفوق في أولويتها الرأي العام الفلسطيني".[199]

كما في حالة المصالحة الفلسطينية نفسها، فإن الاختلافات مع حماس ـ سواء كانت تكتيكية أو جوهرية أو ذات طبيعة شخصية ـ تبقى دون حل. ما من سبب في هذه المرحلة للاعتقاد بأن الحركة نفسها ستنقسم؛ حيث أن إحدى السمات المميزة لها تمثلت في قدرتها على تجاوز التوترات والانفصال الجغرافي لهذه الفترة الطويلة ورغم ذلك نجحت في التوصل إلى مواقف إجماعية. إلا أنه، وللمرة الأولى منذ تأسيس الحركة، لم يشعر بعض المسؤولين بكثير من تأنيب الضمير على التعبير عن اختلافاتهم علناً، وشعر آخرون بالحاجة لتقديم تطمينات متكررة بأنهم لا يعتقدون بأن انقساماً سيحدث.[200] ويوازي ذلك في الأهمية أنه في كل مرحلة من الخلافات الداخلية الأخيرة، فإن قادة قطاع غزة نزعوا إلى تبني المواقف الأقل تسووية في حين أن قيادة الخارج ـ خصوصاً مشعل ـ تبنت المواقف الأكثر براغماتية.

ج. ما الذي يكمن وراء الخلاف؟

قد يكون من المغري تجاهل الانقسامات الأكثر جوهرية حول برنامج حماس بأنها خارج السياق إلى حد بعيد. كما رأينا، فمن غير المرجح أن يطلق أي من أجنحة الحركة أي احتجاجات شعبية، أو يعتقد أن مثل تلك الاحتجاجات ستحدث قريباً أو مستعدة للتخلي عن مبدأ المقاومة المسلحة.[201] وعلى نحو مماثل، فإن الخلافات بشأن الكفاح المسلح أقل صلة بالموضوع مما يبدو للوهلة الأولى.[202] يمكن تفسير الصواريخ التي أطلقت مؤخراً من قطاع غزة[203] على أنها رسالة لإسرائيل ـ تشير إلى أن حماس لن تتحمل أن تُستهدف رداً على هجمات تشنها مجموعة فلسطينية أخرى ـ أو حتى من مصر.[204] من

---

[199] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تموز/يوليو 2012. عدة قادة من حماس، لكن ليس جميعهم، في الضفة الغربية أقروا بأنهم، رغم أن مطالب قيادة قطاع غزة بالعمليات السياسية في الضفة الغربية وبتحقيق تقدم موازٍ في التحضيرات لانتخابات المجلس الوطني الفلسطيني كانت مشروعة، فإن الطريقة التي علقت فيها تسجيل الناخبين في قطاع غزة وبذلك عطلت الاتفاق الأخير للمصالحة حقق أثراً عكسياً. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في حماس، نابلس، 19 تموز/يوليو 2012.

[200] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، مدينة غزة، الخليل، نابلس، رام الله، أيلول/سبتمبر 2011 ـ آذار/مارس 2012. قائد رفيع عبر عن ذلك على النحو الآتي: "داخل حماس، لدينا وجهات نظر، وأفكار وقناعات مختلفة. وفي بعض الأحيان تتحدث بعض الأصوات في غير دورها وتكسر الإجماع". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.

[201] أحد أعضاء قيادة الخارج الذي أصر على أن حماس بحاجة إلى الاتفاق بجميع الخيارات، قال، "أنا شخصياً أعتقد بأن المقاومة الشعبية هي أكثر أشكال المقاومة نبلاً لأنها تشرك جميع السكان. على النقيض من ذلك، فإن المقاومة المسلحة تشترك فيها أقلية صغيرة فقط من السكان، رغم أنه من الصحيح أنها يمكن أن تكون أكثر فعالية في بعض الأوقات ويمكن أن تحقق نتائج أسرع، لكن بكلفة أعلى بكثير. على وجه الإجمال، أعتقد أن المقاومة الشعبية هي أفضل طريق لتحقيق أهدافنا. ـ أكثر الثورات نجاحاً، تثبت ذلك سواء في إيران، أو تونس أو مصر". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو. رغم ذلك فإن عدة قادة في حماس أصروا على أن الحركة لن تقوم بشن هجمات في الضفة الغربية بشكل أساسي لأن القيام بذلك تم منعه. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، كانون الثاني/يناير ـ شباط/فبراير. قائد رفيع في قطاع غزة قال، "حالما نجد فرصة للهجوم في الضفة الغربية، فإننا سنغتنم تلك الفرصة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة ، كانون الثاني/يناير 2012. مسؤولون آخرون في حماس قالوا إنه لم تحدث هجمات مؤخراً في الضفة الغربية بسبب حسابات استراتيجية مفادها أن الفترة الراهنة غير مناسبة لذلك. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، شباط/فبراير 2012.

[202] عضو رفيع في قيادة الخارج قال، "عندما وقعت فتح اتفاقات أوسلو، رفضت جميع أشكال المقاومة. كان ذلك خطأ قاتلاً لأنهم تخلوا عن أوراقهم القوية التي يمكن أن تساعدهم في الضغط على إسرائيل لتقديم تنازلات". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[203] في 17 حزيران/يونيو 2012، عبر متشددون من سيناء إلى إسرائيل، وفجروا قنبلة على جانب الطريق وأطلقوا صواريخ مضادة للدبابات على عربتين إسرائيليتين، وقتلوا عاملاً إسرائيلياً يعمل في بناء حاجز يفصل بين إسرائيل ومصر. "Terrorists Attack Israeli Civilians in Cross-Border Attack from Egypt", Israel Defence Forces Blog, 17 June 2012. ردت إسرائيل على هذا الهجوم، وعلى الصواريخ التي أطلقت من قطاع غزة، بشن ضربات ضد أهداف في القطاع، بما في ذلك الجناح العسكري لحماس. ثم ردت حماس، فيما يبدو على أنه محاولة لردع إسرائيل عن تحميل المسؤولية للحركة عن الصواريخ التي تطلق من قبل مجموعات أخرى وكذلك من قبل مهاجمين قادمين من سيناء. خلال التصعيد الذي تلا والذي دام أسبوعاً، وقالت وكالة الأمن الإسرائيلية إن 197 صاروخاً و 23 قذيفة هاون أطلقت على إسرائيل خلاله، وقتل حوالي أربعة عشر شخصاً من سكان قطاع غزة وجرح 73 شخصاً كما جرح خمسة إسرائيليين. "Protection of Civilians Weekly Report", UN Office for the Coordination of Humanitarian Affairs, 20-26 June 2012.

[204] تزامن التصعيد مع إعلان الإخوان المسلمين أن مرشحهم، محمد مرسي، كان قد فاز بالمرحلة الأولى من الانتخابات الرئاسية، ما أدى إلى تخمينات حول دوافع حماس من المشاركة مباشرة في تبادل إطلاق النار. يقول أحد تفسيرات المشاركة أن رد إسرائيل الانتقامي ضد أهداف لحماس وقتل أعضاء في حماس رداً على هجمات لم تنظمها حماس شكل تجاوزاً لخط أحمر؛ وأن الحركة لم تشعر بأن بوسعها خسارة مكانتها في عيون الرأي العام بالتخلي عن القيادة بالرد على إسرائيل للجهاد الإسلامي، كما كانت قد فعلت خلال تصعيد آخر في آذار/مارس الماضي؛ وأن مخاوف إسرائيل حول الوضع في مصر ـ عدم الاستقرار العام، وانتشار المشاعر المعادية لإسرائيل وانعدام اليقين حول احتمال انتصار مرسي ـ سيجعل من شن عملية كبيرة ضد حماس أمراً غير مرجح. إلا أن دبلوماسياً مصرياً قال إنه يعتقد بأن ثمة عوامل أخرى في الموضوع: "كان التصعيد رسالة من حماس. أولاً، لمصر والإخوان المسلمين، أنه رغم وجود شقيقتها الكبرى، فإن حماس ما تزال لاعباً رئيسياً: 'إذا أردتم أن تتحدثوا، فسينبغي عليكم التحدث مع حماس، وليس فقط مع الإخوان المسلمين'. ثانياً، كانت رسالة إلى إسرائيل: 'هناك الآن نظام جديد في مصر، وأصبح لدى حماس حليف جديد'". وزعم أن حماس كانت تعرف بالهجوم الذي شنه متشددو سيناء والذي تسبب في التصعيد وأنها تظاهرت بعدم رؤية المتشددين وهم يعبرون قطاع غزة حيث، كما زعموا، كانت الخطة قد أعدت. وأضاف، "تذكروا أن هجوم سيناء حدث خلال الفترة التي بدا فيها أن [المرشح الرئاسي الذي يفضله الجيش المصري، أحمد] شفيق يمكن أن يفوز. بعد الإعلان بأن مرسي

شبه المؤكد أن هذا لا يعني قراراً استراتيجياً لإنهاء فترة الهدوء النسبي والانخراط في حملة مستمرة من العنف لإجبار إسرائيل على تقديم تنازلات،[205] خصوصاً في وقت يرغب فيه الإخوان المسلمون في مصر التركيز على الشؤون الداخلية؛ وفي هذا الشأن فإن سكان غزة (الذي سيخاطرون أيضاً بتحمل الدمار الذي سيسببه الرد الإسرائيلي) وقيادة الخارج يبدون متفقين.

بالنسبة للقبول بدولة فلسطينية على حدود 1967، ورغم الاختلافات الكبيرة في درجة التأكيد في اللهجة، فإن ما من قائد في حماس مستعد للاعتراف بحق إسرائيل في الوجود.[206] البعض يفضل الغموض، رافضاً أن يقول ما سيحدث في اليوم الذي يلي قيام مثل تلك الدولة؛[207] وآخرون يعترفون بصراحة بأنهم سيواصلون الكفاح ضد إسرائيل.[208] إضافة إلى ذلك، وكما تمت ملاحظته، فإن المواقف "المتشددة" و "المعتدلة" انطبقت بالتبادل على هذا الجناح أو ذاك في حماس.

رغم ذلك، فإن قرار تبني مواقف معينة والتأكيد على وجهات نظر محددة ليس تجميلياً فقط. إنه يعكس تقديرات متعارضة لأُثر الانتفاضات العربية، وتقييمات متباينة لمزايا المصالحة والمصالح الضيقة المتنافسة وحتى المصالح الشخصية.

1. أثر الانتفاضات العربية

إن الاختلافات داخل حماس حول الاستراتيجية الوطنية، خصوصاً المدى الذي ينبغي المضي فيه في مفاوضات المصالحة، تنبع إلى حد بعيد من تصورات متناقضة حول الآثار قصيرة الأجل للانتفاضات العربية على الحركة.[209] وهذه بدورها صيغت من خلال التجارب المباشرة المتمايزة للقيادات في قطاع غزة، وحتى وقت قريب، القيادات الموجودة في دمشق. بشكل عام، فإن الانقسام الاستراتيجي يتطابق مع وجهتي نظر، وهما بدورهما مرتبطتان بمجموعتي المصالح المختلفتين: من جهة، فإن التغيرات الإقليمية تلعب لصالح حماس إلى حد كبير، وأن ما على الحركة سوى التمسك بمواقفها مع انتظار أن تضعف السلطة الفلسطينية، وأن تتحسن الظروف الاقتصادية في قطاع غزة وأن تتنامى قوة حلفائهم؛ ومن جهة أخرى أن حماس ينبغي أن تغتنم هذه الفرصة النادرة لاتخاذ بضعة قرارات صعبة من شأنها أن تحقق له مكاسب هامة على المدى البعيد.[210]

بالنسبة لقيادتي قطاع غزة والخارج، فإن الانتفاضات العربية شكلت تحولاً هائلاً ينطوي على خسائر حقيقية وأيضاً على احتمالات مكاسب هائلة. بالنسبة لكلا القيادتين، فإن الأحداث الإقليمية تعني احتمال

قد فاز، [بعد هجوم سيناء]، تواصلت حماس مع جهات تعرفها في سيناء لتهدئة الوضع. "مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، تموز/يوليو 2012.

[205] مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال، "هذا ليس رأي الحكومة بالإجماع، لكن أنا وآخرين نعتقد بأن حماس انضمت إلى التصعيد الأخير بحيث تستطيع السيطرة على التصعيد التالي. كان هدف الانضمام إلى العملية هو وضع حد لها، بحيث تكتسب المصداقية لفرض سيطرتها. هل ستتعلم حماس الآن أنها لا تستطيع أن تكون حكومة وأن تترك ميليشيات تتجول وتطلق الصواريخ على جيرانها؟ على المدى القريب، أعتقد أننا سنرى ضبطاً للنفس من قبل حماس، حيث تأمل بالحصول على منافع من مصر". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، 7 آب/أغسطس 2012.

[206] عدة قادة لحماس في الضفة الغربية قدموا وجهة نظر مناقضة، قائلين بأن حماس كانت قد قبلت "حل الدولتين". لكنهم يعترفون بأن الموقف الرسمي يظل بالقبول بدولة فلسطينية على حدود ما قبل عام 1967، وليس القبول بدولتين. حاولوا التقليل من أهمية هذا الفرق. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، كانون الثاني/يناير - شباط/فبراير 2012. قادة آخرون لحماس في الضفة الغربية، كما تمت ملاحظته، قالوا إنه مقابل خطوات إسرائيلية ذات معنى، فإن حماس قد تكون مستعدة للاعتراف ليس بحق إسرائيل في الوجود بل بالوجود. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في حماس، نابلس، رام الله، تموز/يوليو 2012. في عام 2010، قال القائد في حماس محمود الرمحي في مقابلة له: "لقد قلنا بشكل متكرر إننا نقبل بوجود إسرائيل داخل حدود 1967 كواقع سياسي حتى لو لم نوافق على شرعيتها الأخلاقية . من ناحية أخرى فإن إسرائيل لم تعترف بحق دولة فلسطينية بالوجود حتى في ظل السلطة الفلسطينية، رغم أن السلطة الفلسطينية تعترف بحق إسرائيل في الوجود. كل ما اعترفت به إسرائيل هو شرعية منظمة التحرير الفلسطينية كممثل وحيد للشعب الفلسطيني". Hamas parliamentarian: 'We accept existence of Israel within 1967 borders'", ElectronicIntifada.net, 1 February 2010.

[207] لدى سؤال قائد رفيع من قيادة الخارج عما إذا كانت حماس ستقبل بحق إسرائيل في الوجود إذا انسحبت إلى حدود 1967، قال، "إذا انسحبت إسرائيل، فإنها ستخلق ظروفاً جديدة على الأرض ستسمح للشعب الفلسطيني بأن يقرر بحرية، ونحن سنحترم كل ما يقرره. لكن إذا أردت أن أعطي هدايا مجانية لإسرائيل مقابل وعد مستقبلي، فإني سأخسر كل مصداقيتي. لن يحترمني أحد". مقابلة مع مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012. تم التعبير عن وجهة نظر مماثلة من قبل عضو آخر في قيادة الخارج: "إذا تم التوصل إلى اتفاق بين فتح وإسرائيل، سنحترم نتائج الاستفتاء الشعبي. لن نغير موقفنا في معارضة عملية اتفاق سلام، لكننا سنحترم الإرادة الشعبية وسنعرض هدنة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[208] "سيكون أمراً جيداً إذا وقعت إسرائيل اتفاقاً مع عباس. سيضعها ذلك في موقع أفضل لمتابعة القتال، بعد أن نكون قد أسسنا المرحلة الأولى من إنهاء الاحتلال". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012. وأضاف، "إن اتفاقية مع إسرائيل ستؤدي إلى هدنة بين الشعبين، وليس إلى نهاية الصراع. موقف المفاوضين الفلسطينيين ليس عملياً، لأنهم لا يستطيعون حل المشكلة الرئيسية، وهي مشكلة اللاجئين. تاريخياً، الاتفاقات غير العادلة أدت إلى الصراع؛ إن أياً من الحلول التي يستحضرها الناس سيكون حلاً دائماً، لأنها حلول غير عادلة للفلسطينيين من حيث أنها تهمل فلسطيني الشتات".

[209] "أولئك في حماس الذين يدعمون اتفاق الدوحة يقولون إن الأمر سيستغرق سنوات قبل أن يستفيد الفلسطينيون من الربيع العربي. تقول حماس لأشقائها في الربيع العربي: 'خذوا وقتكم. نحن لا نطلب منكم أن تقدموا تضحيات اليوم. عالجوا مشاكلكم الآن، حتى تصبحوا أقوياء' . وإلى أن يأتي ذلك اليوم، لماذا يعاني الفلسطينيون؟ من الأفضل أن نتصالح ونقلل المعاناة. أولئك الذين يعارضون الاتفاق يقولون إن السنوات الخمس الأخيرة كانت الأسوأ، وإننا تجاوزناها. لماذا نتوصل إلى اتفاق الآن والأمور تتغير؟ هنية يقوم بجولة عالمية. والحصار يتهاوى. لماذا نقدم تنازلات الآن؟ "مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[210] "الفرص تمر بسرعة كالخيل. على حماس أن تغتنم هذه الفرصة طالما استطاعت ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع محلل من قطاع غزة، أيلول/سبتمبر 2011.

نشوء مصر يهيمن عليها الإخوان المسلمون، وعلى نطاق أوسع، مكاسب للإسلاميين (وما يترتب على ذلك من خسائر لفتح) في سائر أنحاء العالم العربي. إلا أنها تعني أيضاً مزيداً من المصاعب المالية مع تركيز الدول العربية على مشاكلها الداخلية؛[211] وخسارة سورية كحليف؛ وما يترتب على ذلك من توترات مع إيران.

إضافة إلى ذلك، فإن المكاسب التي يحققها الإخوان المسلمون في مصر لها جانب محتمل سلبي على المدى القصير؛ حيث أن تركيزهم على السياسات المحلية ورغبتهم في تحسين العلاقات مع الغرب، سيجعل من غير المحتمل أن تجعل الحركة الإسلامية القضية الفلسطينية، على الأقل في المستقبل المنظور، أولوية؛ ولنفس الأسباب، فإنها ستفضل الهدوء على الساحة الإسرائيلية - الفلسطينية.[212] قادة حماس، الحساسون لهذه الاعتبارات، أقروا بأنه قد يترتب على المصالح الفلسطينية الانتظار، وسيكون عليهم إظهار ضبط النفس. بشكل عام، فإن ثمة إجماعاً داخل الحركة حول ضرورة التمييز بين التحول الاستراتيجي بعيد المدى المتوقع في السياسات الإقليمية والفترة الانتقالية التي تتميز بعدم الاستقرار وانعدام اليقين التي يمر فيها العالم العربي الآن.[213]

رغم ذلك ثمة اختلافات في التقديرات. قادة قطاع غزة ينظرون إلى منطقة، ينبغي بمرور الوقت، أن تتحرك بوضوح أكبر باتجاهها، وبذلك تضعف فتح وقيادتها. ونتيجة لذلك، فمن غير المنطقي أن نساوم ونوافق على ذلك النوع من التنازلات السياسية (فيما يتعلق بالمواقف الجوهرية أو هوية رئيس الوزراء) التي قبلت بها قيادة الخارج. وهذا صحيح جزئياً في لحظة كان فيها برنامج فتح من وجهة نظرهم قد وصل إلى طريق مسدود؛ فالرئيس كان يعلن فشله؛ والمعارضة، بما في ذلك الاحتجاجات ضد سياسات عباس، كانت في حالة تصاعد في الضفة الغربية؛[214] وقادة فتح كانوا يتحدثون بعصبية حول احتمال الإطاحة بهم في "الموجة الخضراء" التي تكتسح المنطقة؛[215] وعلاقات إسرائيل تتدهور مع تركيا ومصر؛ وأوروبا والولايات المتحدة أظهرتا انفتاحاً جديداً على الإخوان المسلمين؛ وفي كوريدورات السلطة في مصر، البلد الأكثر أهمية بالنسبة لسكان غزة ولجزء كبير من العالم العربي، كان يتم استبدال عدو بأوثق الحلفاء.[216]

إن افتقار العالم العربي إلى التركيز حالياً على الشؤون الفلسطينية من وجهة النظر هذه، يبرر عدم التحرك الآن بل الانتظار إلى أن تحشد المنطقة قواها خلف القضية. بعد اتفاق القاهرة في أيار/مايو 2012 الذي توسطت فيه المخابرات العامة المصرية، قال أحد قادة المكتب السياسي في قطاع غزة، "صحيح أنه بوسعنا توقيع اتفاق رتبه بقايا النظام، [المصري] القديم، لكن من الأفضل أن ننتظر قليلاً كي نوقع اتفاقاً يرتبه [الرئيس الذي انتخب حديثاً محمد] مرسي".[217]

ثمة عاملان آخران مترابطان يشجعان قيادة حماس في قطاع غزة على تبني استراتيجية صبورة وتأجيل المصالحة. أولاً، تعتقد القيادة بأن العزلة الاقتصادية والدبلوماسية لغزة على وشك أن تصل إلى نهايتها بفضل تغيّر في السياسة المصرية على معبر رفح.[218] (وهو اعتقاد حافظت عليه حتى في أعقاب إغلاق المعبر بعد هجوم المتشددين في 5 آب/أغسطس 2012 الذي أدى إلى مقتل 16 جندياً مصرياً قرب الحدود مع قطاع غزة)؛[219] يأمل قادة حماس بأن زيادة التجارة والمساعدات القادمة إلى غزة قد تزيل من أذهان الناخبين الفلسطينيين فكرة أن انتخابهم سيؤدي بالضرورة إلى تضحيات مالية.

---

[211] "من حيث التمويل القادم من العالم العربي، فإننا عملياً لا نحصل على شيء، لأنهم هم أنفسهم بحاجة للمساعدة. وهكذا فإن حماس تحضر نفسها للمستقبل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في حماس، نابلس، 6 شباط/فبراير 2012.

[212] مسؤول رفيع في حماس قال، "الأولوية بالنسبة للإسلاميين في تونس، والمغرب، وليبيا، ومصر هي نجاح تجربتهم الداخلية، وهم لا يفكرون حتى الآن فيما ينبغي أن تكون عليه سياستهم الخارجية. هذا سيحدث في الفترة التالية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012. عضو رفيع في قيادة الخارج أضاف: "على المدى القصير، المنطقة بحاجة بعض الوقت لتستقر وتعيد تنظيم نفسها. معظم البلدان العربية لديها ما يكفي من المشاكل الداخلية. إلا أن هذا مؤقت. عاجلاً أم آجلاً، سيتجهون إلى القضية المحورية، التي تبقى قضية فلسطين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[213] مستشار لرئيس الوزراء هنية قال، "لا أحد يخلط بين هذه الفترة الانتقالية القصيرة والفترة الاستراتيجية الرئيسية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 23 شباط/فبراير 2012.

[214] احتجاجان في يومين متتاليين ضد اجتماع أعلن عنه (وألغي في النهاية) بين الرئيس عباس ونائب رئيس الوزراء الإسرائيلي حينذاك شاؤول موفاز قمعا بعنف من قبل الشرطة الإسرائيلية خارج التجمع الرئاسي لعباس. "شرطة السلطة الفلسطينية تقمع مظاهرة جديدة في رام الله"، وكالة أنباء معاً، 1 تموز/يوليو 2012.

[215] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في اللجنة المركزية لحركة فتح، القاهرة، كانون الأول/ديسمبر 2011.

[216] "حماس تكسب في سائر أنحاء المنطقة. انظر إلى الإخوان المسلمين في تونس وفي مصر وإلى الإسلاميين في ليبيا. جميعهم يشكلون القوى الرئيسية على الأرض. حماس تكتسب الدعم من الربيع العربي. لا تستطيع مقارنة موقف حماس في تونس قبل أربع سنوات بوضع حماس مع حركة النهضة. بعد إضعاف الولايات المتحدة، والربيع العربي، وفشل أبو مازن، والأزمة الداخلية في إسرائيل، فإن حماس باتت أقوى وهي تكتسب المزيد من الدعم الداخلي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[217] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[218] لقد ارتفع عدد الأشخاص الذين يسافرون من خلال معبر رفح في الاتجاهين بشكل كبير منذ سقوط مبارك لكنه يظل أقل بكثير من المستويات التي سبقت أسر العريف الإسرائيلي جلعاد شاليط في حزيران/يونيو 2006 واستيلاء حماس على قطاع غزة في حزيران/يونيو 2007. بين تشرين الثاني/نوفمبر 2005 وحزيران/يونيو 2006، سافر وسطياً 40.000 شخص كل شهر من المعبر بالاتجاهين؛ كانت رفح مغلقة معظم الوقت بين حزيران/يونيو 2006 وأيار/مايو 2010، عندما نتج عن الاحتجاجات العالمية على المواجهة الإسرائيلية المميتة مع أسطول المساعدات المتوجه إلى قطاع غزة رفع بعض القيود على استعماله. خلال الأشهر الستة الأخيرة من العام 2010، سافر حوالي 190800 شخص شهرياً من خلال رفح في الاتجاهين. في الأشهر الخمسة الأولى من عام 2012، ارتفع المتوسط الشهري إلى 31.600. "Movement of people through Rafah crossing", Gisha – Legal Center for Freedom of Movement, May 2012.

[219] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين من حماس، مدينة غزة، آب/أغسطس 2012.

ثانياً، بتشكيل حكومة وحدة وطنية مع عباس اليوم، فإن قدراً كبيراً من الفضل في أي تحسن في الظروف في قطاع غزة سيذهب، من وجهة نظر حماس، إلى عباس، في حين أنه في الانتظار يمكن لحماس أن تظهر أن حظوظ غزة قد تغيرت بسبب علاقات الحركة الوثيقة مع الإخوان المسلمين المصريين.[220]

مع مرور الأشهر وعدم تجسد التغيّر الجذري المأمول في العلاقات مع مصر، أقر أحد أعضاء المكتب السياسي في قطاع غزة أن "توقعاتنا بالنسبة لهذه الفترة الانتقالية كانت أعلى مما ينبغي". رغم ذلك، فإنه سأل لماذا كانت قيادة الخارج "مستعجلة"، قائلاً، "خلال عشرين شهراً، ستتغير العديد من الأشياء بالنسبة للفلسطينيين: سيكون هناك رئيس جديد ودستور جديد في مصر؛ واستقرار النظام في الضفة الغربية والأردن ليس مضموناً. الوضع الحالي ليس وضعاً دائماً. دعونا ننتظر ونرى".[221] قائد رفيع في غزة أضاف: "هل تعتقد أننا وبحكم عقلية حماس، ونفسية حماس، سنسلّم الآن، في حين أن تركيا، وتونس، وليبيا، ومصر وغيرها من البلدان الكبيرة تتحرك نحونا؟ إنها جميعها تتحرك نحو حماس!".[222] أحد أعضاء المكتب السياسي من قطاع غزة أوجز هذه الرؤية شارحاً: "العالم العربي كله مضطرب. الناس يسألون، 'كيف سيكون رد حماس على الثورات العربية؟' لكني أقول يجب أن تكتمل الثورات العربية قبل أن نرد. وإلا فإننا سنكون كمن يصطاد السمك في مياه مضطربة".[223]

انخرطت قيادة الخارج في حسابات مختلفة للتكاليف والمزايا. لقد مالت إلى لفت الانتباه إلى المزايا الهامة التي قد تحرزها حماس بإظهار المرونة في وقت يحقق فيه الإخوان مكاسب ويسعون لتطمين العالم الخارجي بأنهم سيسعون لتقاسم السلطة وتحقيق الاستقرار الإقليمي. بالتوصل إلى اتفاق مع فتح وإظهار روح من البراغماتية حول عدد من القضايا الجوهرية، قد تتمكن من ركوب نفس الموجة التي ركبها الإخوان والمساعدة في تطبيع العلاقات مع العالم الخارجي. عضو رفيع في قيادة الخارج عبّر عن ذلك قائلاً:

> نحن بحاجة لدمج تغييرين هامين حدثا في الماضي القريب. أولاً، حقيقة أن نتنياهو أغلق الباب تماماً في وجه أبو مازن، وهو أكبر المتعاملين في السلام على الإطلاق. ثانياً، الربيع العربي. نحن بحاجة إلى مقاربة جديدة تستفيد من هذين الحدثين، ووضع استراتيجية تصاغ بالتعاون مع مصر، وآخرين في المنطقة وحركة فلسطينية موحدة.[224]

سيكون العالم العربي منشغلاً باضطراباته لبعض الوقت؛ وحلفاء حماس الإسلاميون، خصوصاً في مصر، لن يكونوا في موقع يمكنهم من تقديم الكثير من الدعم المالي أو السياسي للحركة في المستقبل المنظور. على عكس هؤلاء الذين يعتبرون ذلك سبباً للمراوحة في المكان، فإن مشعل وآخرين يجادلون أن هذا يعني أن الفلسطينيين بحاجة للاهتمام بأنفسهم أولاً، وبأن ذلك يبدأ بإعادة التوحيد.[225] عضو في قيادة حماس في المنفى أشار إلى الفوائد العملية للمصالح – بداية بتسهيل حياة أعضاء الحركة في الضفة الغربية وإعادة بناء مؤسساتهم وجمعياتهم الخيرية المغلقة، ومروراً بتيسير التجارة مع قطاع غزة المغلقة وانتهاء بمساعدة الناس في الحصول على الكميات الضرورية من الوقود، والغاز الطبيعي، والكهرباء، والمواد اللازمة لإعاة بناء المنازل التي هدمت في حرب 2008-2009.[226] وهو موقف لخصه

---

[220] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في حماس، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[221] وأضاف: "خلال مدة أقصاها شهرين، سيكون هناك حكومة جديدة في مصر. وخلال ستة أشهر، سيكون هناك دستور جديد ورئيس. ولذلك دعونا نجمد الوضع لستة أشهر ثم نرى. لن نخسر شيئاً بالانتظار. تونس لم تعد تونس، وليبيا لم تعد ليبيا، ومصر لم تعد مصر". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 14 كانون الأول/ديسمبر 2012. عضو آخر قال، "نحن مستعدون للبقاء في السجن لعشر سنوات إذا كان ذلك يعني نهاية الأنظمة العربية. إذا كان ذلك سيجلب حكومات تمثل شعوبها ـ حكومات شفافة ـ في النهاية فإن ذلك سيكون لمصلحة الفلسطينيين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، مدينة غزة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[222] "هذا ليس ربيعاً عربياً. إنه ربيع إسلامي. استراتيجياً سيسحب البساط من تحت أقدام منظمة التحرير الفلسطينية وأبو مازن. خلال سنوات قليلة، جميع ظروف اللعبة ستتغير. لن يكون بإمكاننا التحدث عن السلطة الفلسطينية، ومنظمة التحرير الفلسطينية، وفتح، وحماس بوصفهم اللاعبين الرئيسيين في اللعبة. الآن تركيا تتحدث عن القدس بشكل لا يقل عن حديث الفلسطينيين عنها. تركيا تعد بإرسال دعم بحري للأساطيل المستقبلية القادمة إلى قطاع غزة. في مصر، نتحدث عن تحول كلي في وضعهم الداخلي نحز إسرائيل. قبل تغير ظروف اللعبة، كان أمام إسرائيل فرصة ذهبية لتوقيع اتفاق مع أبو مازن. إلا أن الفرصة قد ولت. لن يحصلوا عليها مرة أخرى". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 أيلول/سبتمبر 2011.

[223] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[224] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.

[225] خالد مشعل، وفي مقابلة له، قال متحدثاً عن اتفاق المصالحة الذي وقع في 6 أيار/مايو 2011، "جميع الظروف الوطنية من حولنا، وكذلك تعنت العدو الصهيوني، والجهود الرامية لتحقيق التسوية، والتحيز الأمريكي، وانعدام قدرة المجتمع الدولي، وانشغال العرب بربيعهم ـ وانشاء الله ستبقى فلسطين موجودة في العقل والوجدان العربي – والانقسام ووطأته الثقيلة علينا انهكنا في الأعوام الماضية، وكذلك أخطاءنا ومزايانا التي نضعها جميعاً موضع الممارسة العملية، دفعتنا جميعها إلى اتخاذ قرار استراتيجي". "مقابلة مع خالد مشعل"، مرجع سابق. عضو رفيع آخر في قيادة الخارج رد على أولئك الذين اعترضوا على القرار "بالاندفاع" نحو المصالحة قائلاً: "نُسأل لماذا نحن مستعجلون؛ ألا ينبغي أن ننتظر تحت يثبت الإخوان سيطرتهم في مصر. على فرض أن مرسي سيصبح رئيساً، فسيكون لديه ما يكفي من المشاكل الداخلية التي عليه أن يعالجها. علينا أن نساعدهم قبل أن يساعدونا. قد يستطيع التحدث عن رفح ويزودنا بالمزيد من الوقود والكهرباء، لكنه لن يتمكن من القيام بأي فعل سياسي لمساعدتنا ربما لعامين أو ثلاثة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012. عضو عن حماس من الضفة الغربية في المجلس التشريعي الفلسطيني أضاف: "الربيع العربي هو السبب الوحيد الذي دفع حماس نحو المصالحة. أمام العالم العربي، على حماس أن تساعد الفلسطينيين على أن يتوحدوا. هذا سيشجع العرب على تمويل ودعم الفلسطينيين أكثر فأكثر". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 7 شباط/فبراير 2012.

[226] "أولاً نريد تحسين الوضع في الضفة الغربية. نحن في حماس والفلسطينيون عموماً في الضفة الغربية لدينا مشاكل حادة للغاية. علينا أن نعيد الحياة إلى طبيعتها في الضفة الغربية بالنسبة لشعبنا وإعادة بناء مؤسساتنا هناك. ثانياً، علينا أن نكسر الحصار المفروض على قطاع غزة وإعادة بناء 4,000 منزل دمرت خلال حرب غزة. ثالثاً، لدى الناس في غزة ما يكفي من المشاكل، بداية بأحوالهم المعيشية، مروراً

قائد رفيع في الضفة الغربية بالقول، "علينا أن نساعد مرسي على مساعدتنا".[227]

أخيراً، فإن مؤيداً بارزاً واحداً على الأقل لوجهة النظر هذه ذكر أنه يرى رسالة أخرى في الانتفاضات العربية مفادها أنه ينبغي أن يؤخذ الرأي العام بعين الاعتبار وأن الحركات أو الأنظمة التي تتمسك بمصالحها الضيقة ستكون عرضة لغضبه عاجلاً أم آجلاً. قائد رفيع في المنفى قال، "جميعنا نعيش الآن في ظل الربيع العربي. إذا أخفقنا في الاستجابة لإرادة شعبنا، فإن مصيرنا سيكون كمصير الآخرين".[228] قادة حماس الآخرين سارعوا إلى التعليق على حقيقة أن الإخوان المسلمين في مصر، الذين حصدوا أكثر من ثلث الأصوات في أول انتخابات برلمانية بعد مبارك، تراجعت حصتهم إلى حوالي 25 بالمئة من الأصوات بعد بضعة أشهر خلال الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية:[229] "عندما تكون الحركة متصلبة وضيقة الأفق وليست مرنة وشاملة، فإنها ستدفع الثمن. ينبغي أن يكون ذلك درساً لنا ـ ولأولئك الذين يحكمون قطاع غزة".[230]

2. تكاليف وفوائد المصالحة

من وجهة نظر قيادة غزة، فإن المصالحة في هذه المرحلة ستكون شبيهة بطريق ذو اتجاه واحد، حيث ستحصل فتح على المزايا وسيكون على حماس تقديم التضحيات. من جهة، فإن عباس سيُمنح حياة جديدة في وقت تتعرض فيه استراتيجيته (سواء من حيث المفاوضات أو التدويل) لمخاطر جدية؛[231] يمكنه أن يستعمل احتمالات الوحدة كوسيلة للحصول على تنازلات إسرائيلية وأمريكية؛[232] وسيحسب له الفضل في التحسينات التي تحصل في غزة؛ وستكسب حركته موطئ قدم في قطاع غزة بفضل تأسيس حكومة موحدة تحت سيطرة الرئيس؛[233] وستخسر حماس ميزة ممارسة السلطة.

وماذا عن الجهة الأخرى؟ إن انتخابات المجلس الوطني الفلسطيني ـ برلمان منظمة التحرير الفلسطينية، وبالنسبة لحماس جائزة كبرى، حيث توفر لها وسيلة للمشاركة في صناعة القرار على المستوى الوطني ـ تواجه عقبات كثيرة، ما يدفع كثيرين للتشكك بإمكانية حدوثها في المستقبل القريب. هناك أسباب متعددة لذلك: من شبه المؤكد أن الفلسطينيين الذين يعيشون في الأردن (والذين يشكلون أكبر

بالغاز، والوقود، والكهرباء وانتهاء بإعادة بناء منازلهم، ونريد أن نوفر لهم القدرة على حل تلك المشاكل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.

[227] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، 18 تموز/يوليو 2012.

[228] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، القاهرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2012. قائد آخر من دمشق أضاف، "الفلسطينيون محبطون من أننا وقعنا ورقة مصالحة ولم يتحقق شيء منها". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. أما في قطاع غزة، فقد تحدثت حماس كما لو أن الاستياء من الانقسام سيؤدي إلى اضطرابات في الضفة الغربية فقط: "رفح أكثر انفتاحاً، وإعادة البناء تجري على قدم وساق في جميع أنحاء قطاع غزة، والأسواق مليئة بالسلع. ولذلك لا أعتقد أنه سيكون هناك ضغوط من أجل المصالحة هنا. في الضفة الغربية الأمر مختلف. الأمر لا يتعلق فقط بالمصالحة بل بتعاون السلطة الفلسطينية مع إسرائيل؛ حيث أن هناك احتلالين في الضفة الغربية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011. قادة فتح لا يعتقدون أن غزة ستكون منيعة إزاء هذه التغيرات: "في اللحظة التي تسمح فيها حماس بالمقاومة الشعبية في غزة، سيتحرك المتظاهرون للإطاحة بحماس. وينطبق الأمر ذاته على فتح في رام الله". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة فتح، رام الله، نيسان/إبريل 2012. مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال إنه يعتقد أنه لن يكون هناك انتفاضة عربية ضد القادة الفلسطينيين بسبب ذكريات القتال بين حماس وفتح في 2006-2007: "الضفة الغربية وقطاع غزة، كما الجزائر، والعراق ولبنان، تقع في تصنيف يرى البعض تسميته 'النازف أصلاً'. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، آب/أغسطس 2012.

[229] في انتخابات مجلس الشعب، البرلمان المصري الذي يتكون من مجلسين، اختار الناخبون مرشحين أفراد وأحزاب. في التصويت للأحزاب، حصد حزب الحرية والعدالة التابع للإخوان المسلمين حوالي 36% من الأصوات. في الجولة الأولى من الانتخابات الرئاسية، في أيار/مايو 2012، حصل الحزب على أغلبية ضئيلة، مع 24.8% من الأصوات. Consortium for Elections and Political Process Strengthening (CEPPS) Election Guide, http://electionguide.org/ election.php?ID=2213. انظر أيضاً حسابات مجموعة الأزمات، استناداً إلى موقع اللجنة المركزية للانتخابات، Election Commission's website, www.elections2011.eg.

[230] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[231] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012. قائد آخر من قطاع غزة شبه المصالحة بـ "إعطاء جرعة من الأوكسجين لأبو مازن والسلطة الوطنية الفلسطينية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012. رغم ذلك، فإن هذا يتناقض مع الاعتقاد واسع الانتشار بأن المصالحة ستتبعها عقوبات مالية ضد السلطة الفلسطينية وحدوث أزمة في العلاقات مع إسرائيل. عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس قال، "هناك بعض الذين يقولون إن الاتفاق سيزيد من قدرة عباس على متابعة برنامجه التفاوضي، وآخرون يقولون إنه يقلص هذه القدرة، بجعله أكثر ارتباطاً بحماس. إذا كان الطرف الذي وقع الاتفاق فعل ذلك من أجل مساعدة عباس على متابعة برنامجه، فإن تلك جريمة، وينبغي معاقبتها. لكن إذا فعلها ليغرق هذا البرنامج، فهذا حسن". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[232] قائد رفيع علق قائلاً، "أعتقد أن أبو مازن يستعمل المصالحة للضغط على إسرائيل، وفي اللحظة التي يحصل فيها على شيء من [رئيس الوزراء] بيبي [نتنياهو]، سيهرب منا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[233] عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني قال، "أبو مازن لن يأتي إلى قطاع غزة. سيرسل شخصاً لإدارة القطاع. إذا تمكنا من الخروج من هذه الورطة دون خسارة قطاع غزة لمبعوثي أبو مازن، فإن ذلك سيكون الحد الأدنى من الخسائر. أما إذا استولى عليها، فإن ما من أحد سيقبل أن نستعيدها، لأن ذلك سيعني جولة جديدة من العنف. ستكون الشرعية إلى جانبه لأنه وقع الاتفاق. وسيكون علينا أن نتعايش مع ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة شباط/فبراير 2012 وستخسر حماس مزايا ممارسة السلطة.

دائرة انتخابية) وفي سورية لن يستطيعوا المشاركة في الانتخابات؛[234] كما يمكن أن يكون هناك عقبات في بلدان الخليج وربما في الغرب،[235] ولم يتجاوز الطرفان بعد خلافاتهما حول ما إذا كان ينبغي على حماس القبول بالاتفاقات التي عقدتها منظمة التحرير الفلسطينية في الماضي (بدلاً من مجرد "احترامها") قبل أن تسمح لها فتح بالانضمام.[236]

من شبه المؤكد أن الوضع في الضفة الغربية سيظل ساكناً، حيث تسيطر إسرائيل على المنطقة وتتعاون مع قوات أمن السلطة الفلسطينية في قمع حماس. قد تلجأ إسرائيل إلى منع حماس من المشاركة في الانتخابات هناك؛ إذا تمكنت حماس من المشاركة، وإذا كانت الانتخابات حرة ونزيهة وفازت حماس، ما الذي سيتغير في الضفة الغربية؟ هل سيتوقف معظم المانحين عن التمويل أو أنهم سيلجأون للالتفاف حول الحكومة المنتخبة حديثاً بتوجيه المساعدات إلى رئيس السلطة الفلسطينية؟ بالفعل، وبالنظر إلى أن حتى مؤيدي اتفاق المصالحة مع حماس لم يتوقعوا أن تحقق الانتخابات تغييرات كبيرة في الضفة الغربية، فإن خصومها في غزة وأيضاً في الضفة الغربية بدوا محتارين إلى حد ما حيال الأخبار عن اتفاق الدوحة.[237]

---

[234] إن العنف سيجعل المشاركة في الانتخابات في سورية مستحيلة في هذا الوقت، في الأردن ستطرح الانتخابات السؤال المحرم المتعلق بنسبة الأردنيين من أصل فلسطيني ويمكن أن يخاطر بحقوق الفلسطينيين. تقول أرقام وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، UN Relief and Works Agency (UNRWA) figures, www.unrwa.org/userfiles/20120317152850.pdf إن هناك مليوني لاجئ فلسطيني مسجلين في الأردن، إلا أن العدد الإجمالي للفلسطينيين أكبر بكثير. أحد أعضاء المكتب السياسي لحماس في المنفى قال إنه في عام 1994، الوقت الذي جرى فيه آخر تعداد عام للسكان في الأردن (والذي لم ينشر)، كما أخبره مسؤول عن التعداد إن 76% من السكان فلسطينيون. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، شباط/فبراير 2012. إذا كان ذلك الرقم دقيقاً، فمن المحتمل أن يكون أقل اليوم، حيث تقدر وكالة الأمم المتحدة للاجئين أن هناك حوالي 450,000 لاجئاً عراقياً هناك في الوقت الراهن (إضافة إلى العدد المتزايد بسرعة من اللاجئين السوريين) www.unhcr.org/pages/49e486566.html.

[235] أحد مؤيدي الاتفاق مع فتح أقر بهذه العقبات. "نستطيع إجراء الانتخابات في الضفة الغربية وقطاع غزة، وربما في أوروبا (حيث يتواجد حوالي 300,000 فلسطيني في الشتات)، وربما في الولايات المتحدة (حيث يقيم نفس العدد تقريباً). سيكون الوضع في لبنان أصعب لكن يمكن حدوثه؛ في مصر سيعتمد الأمر على الوضع الداخلي. لكن أصعب الحالات هي الأردن (ثلاثة ملايين) وسورية (485,000). ربما نستطيع تخصيص مقاعد بشكل يتناسب مع النتائج في أماكن أخرى. لكن ينبغي علينا أيضاً أن نتفق مع فتح حول قانون انتخابي سليم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012. كما ذكر، فإن عدد الفلسطينيين في الأردن غير معروف. التقديرات بالنسبة لأوروبا تتفاوت بشكل كبير. في عام 2002، قدر مركز الموارد لحقوق الإقامة للفلسطينيين وحقوق اللاجئين الرقم بأكثر من 200,000.

[236] حماس تطالب بوضع برنامج وطني من خلال التصويت في منظمة التحرير الفلسطينية بعد إعادة هيكليتها. فتح تصر على أنه قبل إعادة هيكلة منظمة التحرير الفلسطينية، ينبغي أن تتبنى حماس البرنامج الحالي لمنظمة التحرير الفلسطينية بقبول اتفاقاتها السابقة. من غير الواضح ما إذا كان يمكن التوصل إلى حل وسط. تخشى فتح بأن السماح لحماس بالانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية سيعرض للخطر أهم مكتسبات المنظمة، وهي شرعيتها الدولية. حماس غير مستعدة لنبذ العنف والاعتراف بحق إسرائيل بالوجود، كما فعلت منظمة التحرير الفلسطينية في رسالة من رئيسها إلى رئيس الوزراء الإسرائيلي إسحاق رابين عام 1993، ولا تعتقد أنه ينبغي التركيز عليها بشكل خاص في المطلب المتعلق بنبذ العنف، الذي رفضته فتح، على عكس منظمة التحرير الفلسطينية. ينص البرنامج السياسي لفتح، كما أقره المجلس الثوري للحركة عام 2009: "يبقى حق الشعب الفلسطيني بممارسة الكفاح المسلح ضد الاحتلال المسلح لأرضه حقاً غير قابل للتصرف تقره الشرعية الدولية والقانون الدولي".) مسؤول أمريكي قال "لقد كانت فتح محظوظة كل هذه السنوات من حيث أن اهتمام العالم تركز على ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية. ليس من مصلحة أحد أن يصبح برنامج فتح موضوعاً للنقاش". Crisis Group Middle East Report N°91, *Palestine: Salvaging Fatah*, 12 November 2009, p. 19.

[237] أحد قادة حماس في نابلس قال، "إذا جرت الانتخابات وفازت حماس، هل سيتعامل المجتمع الدولي مع النتائج؟ إذا كانت الغاية الوحيدة من الانتخابات هي التخلص من حماس، فلينسوا ذلك. بالأمس أخبرنا أبو مازن أن بعض ممثلي الدول الأجنبية يسألون، 'ماذا إذا فازت حماس بالانتخابات'. أبو مازن يخبرهم، 'هذه هي الديمقراطية'. لا يعجبهم الجواب. ولهذا فإن حماس في قطاع غزة لا تقبل باتفاق الدوحة. وجهة نظرهم هي، 'لقد دخلنا من الباب، والآن يريدون أن يطردونا من النافذة'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 21 شباط/فبراير 2012. رغم أن العديد من الدبلوماسيين الأوروبيين يعبرون عن عدم ارتياحهم حيال شروط الرباعية وإجراءات حكوماتهم في أعقاب فوز حماس عام 2006، فإن الكثيرين يجدون صعوبة في تخيل حكوماتهم تعطي المساعدات إلى حكومة سلطة فلسطينية تكون حماس عضواً فيها ما لم تقبل حماس بشروط الرباعية. آخرون جادلوا، في أنه، خصوصاً في ضوء الانتفاضات العربية والدعم الغربي لعمليات الانتقال الديمقراطي، فإن الاتحاد الأوروبي سيرغب بتكرار ما فعله عام 2006. دبلوماسي أوروبي قال إنه كان هناك تباينات بين أعضاء الاتحاد الأوروبي في تفسير استنتاجات مجلس الاتحاد الأوروبي التي صدرت بعد أسابيع من إعلان حماس وفتح في أيار/مايو 2011 أنهما تصالحتا وستشكلان حكومة مشتركة من التكنوقراط المستقلين: "إذا قرأت استنتاجات المجلس في أيار/مايو 2011، فإنها تبدو في وضوح الوحل". وقال إن بعض دول الاتحاد الأوروبي تنظر إلى الاستنتاجات بوصفها إدانة لشروط الرباعية، مشيرة إلى الكلمات، "الاتحاد الأوروبي يرحب بالاتفاق الموقع في القاهرة في [4] أيار/مايو"، رغم أن اتفاق المصالحة لا ينطوي على القبول بشروط الرباعية. إضافة إلى أن الاستنتاجات تحدد أنه في بعض المسائل الرئيسية، فإن حكومة المصالحة سيتم تقييمها على أساس الأفعال لا الأقوال. رغم ذلك فإن آخرين يفسرون النص على أنه ليس أكثر من إعادة صياغة للشروط: "يتطلع الاتحاد الأوروبي إلى استمرار دعمه، بما في ذلك من خلال الدعم المالي المباشر لحكومة فلسطينية جديدة تتكون من شخصيات مستقلة تلتزم بالمبادئ الواردة في خطاب الرئيس عباس في 4 أيار/مايو. على مثل تلك الحكومة أن تلتزم بمبدأ اللاعنف، وأن تظل ملتزمة بتحقيق حل الدولتين وبتسوية سلمية متفاوض عليها للصراع الإسرائيلي ـ الفلسطيني وقبول الاتفاقات والالتزامات السابقة، بما في ذلك حق إسرائيل المشروع بالوجود. إن الانخراط المستمر للاتحاد الأوروبي مع حكومة فلسطينية جديدة سيستند إلى التزامها بهذه السياسات والالتزامات". في الوقت الراهن، قال الدبلوماسي، أوروبا لا تناقش حتى قضية إعادة النظر بشروط الرباعية. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، حزيران/يونيو 2012. عضو في اللجنة المركزية لحركة فتح

ما يفاقم من مخاوف قادة حماس في قطاع غزة إزاء المصالحة هي الشكوك التي تراودهم حول عباس نفسه،[238] الذي يحملونه مسؤولية معاناة القطاع منذ عام 2007، خصوصاً لما يعتبرونه تواطؤه في العملية الإسرائيلية الرصاص المسكوب (حرب 2008 - 2009).[239] الأكثر أهمية من ذلك، فإنهم واثقون من أن فتح وخصوصاً قوات السلطة الفلسطينية، يمكن أن تعود إلى غزة، مع ما لذلك من تبعات خطيرة على الحركة الإسلامية.[240] أعضاء كبار في الجناح العسكري لحماس في قطاع غزة، ورئيس جمعية محلية لحقوق الإنسان قال، "هناك مخاوف من أنه إذا عادت السلطة الفلسطينية إلى هنا فسيكون هناك عمليات انتقامية للقتال الذي جرى عام 2006 و 2007. لا زلنا مجتمعاً قبلياً".[241] أحد أعضاء المكتب السياسي لحماس في قطاع غزة عبر عن وجهة نظر مماثلة: "الأمن هو السبب الأول والأخير لعدم حصول المصالحة. لا يستطيع أحد القبول بأن نعود إلى الوضع الذي كان سائداً عام 2006 و 2007".[242]

بالنسبة للعديد من قادة حماس في قطاع غزة، فإن فكرة أنه سيكون عليهم أن يساوموا في قطاع غزة في حين يستمر التعاون الأمني بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية أمر غير مقبول على نحو خاص.[243] على حد تعبيرهم، فإن عدم استعداد السلطة الفلسطينية للتفكير بأي تغيير بالتنسيق مع إسرائيل لا يتوافق مع المصالحة[244] خصوصاً مع

عبر عن الدوامة التي تواجهها حماس بما يلي: "يطلب من حماس التخلي عن قطاع غزة في حين ليس أمامها فرصة للفوز بالضفة الغربية. ولهذا السبب فإنها تفكر بمستقبل لا يرتبط بالضفة الغربية بل بمصر. لحماس ثلاثة مخاوف أساسية ينبغي معالجتها من أجل المشاركة في الانتخابات: أنه لن يسمح لها بالفوز؛ وأنه لن يسمح لها بالحكم إذا فازت؛ وأنها لن تستطيع تجنب أن يقضى عليها إذا خسرت. ليس معها أي ضمانات - ولا أجوبة - على أي من هذه المخاوف الثلاثة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، نيسان/إبريل 2012.

[238] أحد منتقدي اتفاق الدوحة في حماس قال، "لم نكن لنغضب لو أن مشعل كان قد اقترح أي شخص آخر غير أبو مازن. المفاوضات هي دِين أبو مازن". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المجلس التشريعي الفلسطيني عن حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012.

[239] عضو رفيع في قيادة الخارج قال، "أبو مازن هو الذي شن الحرب على غزة. في سجوننا في غزة لدينا سبعة عشر أو ثمانية عشرة عضواً في فتح شاركوا مباشرة في مساعدة إسرائيل في التخطيط واختيار الأداة خلال الحرب. لدينا أدلة ملموسة على ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 26 شباط/فبراير 2012. برقية لوزارة الخارجية الأمريكية تلخص تصريح مايك هيرتزوغ، رئيس أركان وزير الدفاع حينذاك إيهود باراك، لمسؤولين أمريكيين فيما يتعلق بموقف رام الله حيال حرب غزة: "كانت قيادة السلطة الفلسطينية قد طلبت من إسرائيل تدمير حماس في قطاع غزة وأصيبت بخيبة أمل عندما توقفت إسرائيل قبل أن تكمل تلك العملية". "اجتماع ماكوفسكي وبنيامين مع رئيس أركان الجيش الإسرائيلي هيرتزوغ"، من برقية أرسلت من السفارة الأمريكية في تل أبيب، 8 تموز/يوليو 2009، كما وردت في ويكليكس. كما أن وزير الخارجية أفيغدور ليبرمان قال، "محمود عباس نفسه اتصل وطلب منا، وضغط علينا الاستمرار في الحملة العسكرية والإطاحة بحماس". "Lieberman: Israel's gestures to Palestinians met with 'slaps in the face'", *Haaretz*, 13 May 2010.

[240] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة من حماس، مدينة غزة، شباط/فبراير 2012. عدة قادة كبار في قطاع غزة قالوا إن النزاعات حول الأمن - والمخاوف من استمرار القتال بين حماس وفتح - كانت الأكثر أهمية لعدم حدوث المصالحة. قائد منخرط بعمق في مفاوضات المصالحة التي تتعلق بالأمن قال، "إذا أتى بعض الوزراء الجدد [في حكومة يقودها عباس] إلى قطاع غزة، فإن ذلك سيحدث مشكلة كبيرة من نفس النوع الذي حدث عام 2006، عندما تم تجاهل وزراء حماس من قبل عناصر أمن فتح. الناس في قطاع غزة خائفون جداً من عودة الفوضى الأمنية. داخلياً، تركزت النقاشات في حماس على كيفية منع هذا". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع عضو في المكتب السياسي لحماس، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012.

[241] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[242] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، حزيران/يونيو 2012. كما يعبر قادة حماس في قطاع غزة عن خشيتهم من أنهم قد يتعرضوا لمعاملة قاسية من قبل قوات السلطة الفلسطينية، وأشاروا إلى ادعاءات بتعذيب أخوانهم في الضفة الغربية. بعد فوز حماس بالانتخابات التشريعية عام 2006 وقبل أن تستولي على قوات الأمن في قطاع غزة، كان أنصار فتح يهتفون بشعارات مهددة ويتوعدون بالعودة إلى تعذيب قادة حماس: "يا زهار بلغ هنية، سيرجع عهد القنية". ملاحظات لمجموعة الأزمات، مدينة غزة، 2006. المنظمة شبه الرسمية في السلطة الفلسطينية المسؤولة عن حقوق الإنسان، الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان ذكرت: "خلال عام 2011، تلقت الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان 214 شكوى بهذه الصدد، بما في ذلك اتهامات بالتعذيب وسوء المعاملة. كان هناك 112 شكوى في الضفة الغربية ضد الأجهزة الأمنية، و 102 في قطاع غزة ضد الأجهزة الأمنية. وجدت الهيئة، من خلال زياراتها المنتظمة إلى مراكز الاعتقال وفي أعقاب شكاوى المواطنين، أن بعض المعتقلين تعرضوا للتعذيب أو سوء المعاملة، طبقاً للإفادات، مع ملاحظة أن الهيئة ممنوعة من زيارة قطاع غزة". "وضع حقوق الإنسان في فلسطين"، 1 كانون الثاني/يناير - 31 كانون الأول/ديسمبر 2011.

[243] أحد أعضاء المكتب السياسي، قال: "إذا استمروا في التعاون الأمني، فإن ذلك سيدمر المصالحة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 تشرين الثاني/نوفمبر 2011. عضو آخر في المكتب السياسي قدم درجة أكبر من المرونة، قائلاً إن تنسيق السلطة الفلسطينية مع إسرائيل حول القضايا المدنية يمكن أن يستمر، لكن أي تنسيق يتعلق بالإبلاغ عن الفلسطينيين أو اعتقالهم لا يمكن أن يستمر: "إن إعطاء المعلومات حول الشعب الفلسطيني مخالف للقانون. هذا ليس جزءاً من أوسلو. يقول قادة فتح إن التنسيق الأمني غير قانوني، التنسيق المدني وحده المسموح. وذلك يمكن أن يعود. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012. في كانون الثاني/يناير 2012، قال مسؤول في حماس ضالع بشكل كبير في مفاوضات المصالحة حول الأمن مع فتح، "لم نعد نتطرق إلى الملف الأمني، لأننا إذا فعلنا فإن عملية المصالحة برمتها يمكن أن تنهار". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، كانون الثاني/يناير 2012. عضو المجلس التشريعي عن حركة حماس من الضفة الغربية اتفق مع الرأي القائل بأن المصالحة ستنهار إذا تمت مناقشة الترتيبات الأمنية لكنه قدم تقييماً أكثر تفاؤلاً لقرار تأجيل مثل تلك المحادثات: "خالد مشعل قال مرة عن التعاون الأمني، 'دعونا لا نناقش هذا الآن. دعونا نعالج المشاكل الاجتماعية والاقتصادية، ونعيد الموظفين الذين طردوا إلى أعمالهم، ونؤمن حرية حركة الأشخاص، وعندها، إذا عالجنا كل ذلك بيسر، فإن التعاون الأمني يمكن أن يتقلص'". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 6 شباط/فبراير 2012.

[244] أحد أعضاء المكتب السياسي الضالعين في الشؤون الأمنية قال، "سبب عدم وجود مصالحة هو أن فتح وافقت في الوثيقة المصرية على إنهاء التعاون الأمني وحماية المقاومة، والآن تريد إلغاء هذين الأمرين". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تموز/يوليو 2012. على

نص اتفاقية المصالحة الرئيسية، أو ما يسمى الوثيقة المصرية التي وضعت عام 2009 وعدلت ووقعت من قبل حماس وفتح عام 2011.[245]

المدافعون عن مقاربة مشعل يقرون بوجود العديد من نقاط الضعف في أي اتفاق مصالحة في الظروف الحالية.[246] لدى سؤال أحد مفاوضي حماس الرئيسيين عما إذا كان بعض أعضاء حماس في قطاع غزة يعارضون اتفاق القاهرة الذي وقع في أيار/مايو 2012، قال، "ليس البعض، بل الكثيرين! وربما معظمهم. ما يقولونه صحيح ـ إننا سنخسر حكومة حماس، وسيحصلون على حكومة برئاسة أبو مازن، وكل ذلك من أجل ماذا؟" لكنه أضاف:

> في رأيي، ورغم ذلك، ينبغي أن ندفع باتجاه المصالحة لأنها يمكن أن تساعدنا سواء في غزة ـ حيث نواجه ظروفاً صعبة للغاية ـ أو في الضفة الغربية، حيث تتعرض حماس للضغوط. قد تساعد المصالحة في تحسين الأوضاع، ولو إلى حد ما. كما أن وحدة جميع الفلسطينيين أمر جوهري لتحقيق أهدافنا الوطنية.[247]

إضافة إلى ذلك فإن أنصار هذا الرأي يجادلون بأنه في أي اتفاق محتمل ستحتفظ حماس بالسيطرة الأمنية على قطاع غزة؛ ومن المستبعد حدوث انتخابات لعدد من الأسباب، (بما في ذلك الاعتراضات الإسرائيلية المحتملة على إجراء انتخابات في القدس الشرقية أو مشاركة الحركة الإسلامية)، ما يعني أن الاتفاق لن يقلص السلطة التي تتمتع بها كل حركة في الأراضي التي تسيطر عليها؛ حماس ستكتسب شرعية إقليمية وربما دولية أوسع؛ ويمكن أن تحصل على موطئ قدم في منظمة التحرير الفلسطينية. كما يمكن لاتفاق الوحدة أن يفرض على عباس التوقف عن محاولته تحقيق التوازن بين المفاوضات، والتدويل والمصالحة،[248] وإجباره على أن يكون أكثر حسماً وفي المحصلة جعل الفلسطينيين أكثر استقلالاً سواء عن إسرائيل أو عن المانحين الغربيين.[249] لاحقاً، وبعد أن يهدأ غبار المعمعة ـ ويتصالح الغرب مع الواقع الجديد ـ يمكن لكيان فلسطيني موحد أن يصبح في وضع أفضل بكثير كي يطلب الدعم السياسي من العالم الخارجي ويحصل عليه.[250]

بتخفيف المعاناة التي يسببها الانقسام في كل من الضفة الغربية وقطاع غزة وتحسين الأحوال المعيشية في القطاع، فإن المصالحة يمكن أن تساعد حماس على استعادة بعض شعبيتها التي يقر قادتها أنها خسرتها.[251] أخيراً، ثمة حجة يتم التعبير عنها بهدوء أكبر ودون ضجيج وهي أن إظهار بعض المرونة الآن يخدم المصالح الأوسع للإخوان المسلمين ولن يكون مكلفاً كثيراً على المدى البعيد، حيث ومن وجهة نظر حماس ـ فإن فتح، وقائدها وما تمثله تواجه تراجعاً تاريخياً في كل الأحوال.[252]

العكس من ذلك فإن قادة حماس في الضفة الغربية يظهرون قدراً أكبر من المرونة ويلمحون أحياناً إلى استعدادهم لإعادة الوضع الأمني في الضفة الغربية إلى ما كان عليه قبل فوز حماس في الانتخابات عام 2006. يعتقدون بأن إسرائيل يمكن أن تجبَر على القبول بمثل هذا الوضع إذا كان عباس مستعداً للضغط عليها. يمكن لحماس أن تقبل ببعض التسويات في الضفة الغربية. "مطالبنا الرئيسية ليست غير معقولة في الضفة الغربية: على السلطة الفلسطينية أن تحترم حقوق الإنسان؛ وتضع حداً للتعذيب، والاعتقالات السياسية، وتسريح الموظفين لأسباب سياسية؛ ووقف المضايقات التي تمارسها قوات الأمن؛ والتوقف عن استعمال 'التصاريح الأمنية' كذريعة للتمييز في التوظيف ومنح التراخيص للتجمع؛ والسماح لمؤسساتنا بأن تفتح أبوابها من جديد. لقد تعايشنا مع التنسيق الأمني لمدة عقدين من الزمن ونستمر بفعل ذلك، لكن ليس بشكله حالي. بعد المصالحة. يمكن أن نقبل ببعض التنسيق الأمني إذا تمت تلبية جميع الشروط الأخرى، لكن ينبغي لذلك أن يكون تحت الطاولة، وليس علناً كما هو الآن". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، رام الله، تموز/يوليو 2012.

[245] الوثيقة المصرية، المعروفة رسمياً باتفاقية الوفاق الوطني الفلسطيني ـ القاهرة 2009 تنص على أن "أي نقل للمعلومات للعدو يلحق الضرر بالوطن، والمواطنين الفلسطينيين، أو المقاومة سيعتبر خيانة عظمى. ... ينبغي المحافظة على المقاومة وأسلحتها في التعامل مع الاحتلال.

[246] عضو رفيع في هذه المجموعة قال، "ثمة أصوات في حماس مترددة لعدد من الأسباب: بسبب الآثار السلبية لسنوات طويلة من الانقسام؛ ولأن البعض قلق من أن الوضع الأمني في قطاع غزة سيعود إلى ما كان عليه؛ ولأن البعض مقتنع بأن ثمار المصالحة لن تتحقق. ثم هناك البعض، وهم قلة، لا مصلحة لهم بالمصالحة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2011.

[247] وتوسع قائلاً: "إن حكومة الوحدة لن تحل جميع المشاكل التي يواجهها الناس في قطاع غزة (نقص الوقود والكهرباء؛ وآلاف المنازل التي دمرت في حرب 2008-2009) وفي الضفة الغربية، حيث يتوجب على حماس إعادة بناء نفسها بشكل كامل. لكن يمكن للمصالحة أن تحسن الوضع". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012. عضو في قيادة الخارج شرح قائلاً: "نحن مهتمون بالمصالحة بحد ذاتها؛ وإذا أخذتنا إلى الانتخابات، فسيكون ذلك أفضل أيضاً. إن العيش في ظل المصالحة أفضل بكثير من العيش في ظل الانقسام. الناس في الضفة الغربية يريدون التنفس. وهذا سيحدث فقط إذا كان لنا علاقة طبيعية مع فتح. انظر إلى نموذج تونس: ليس هناك احتكار. حتى لو كنت في السلطة، فإني أتقاسمها مع كل الشعب". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012.

[248] للمزيد حول هذا الموضوع، انظر Crisis Group Report, *The Emperor Has No Clothes*, op. cit.

[249] أحد أعضاء المكتب السياسي الذين أيدوا الاتفاق شرح أن تنفيذه يمكن يتسبب في أزمة بين عباس وداعميه التقليديين، وفي أكثر الحالات تطرفاً، يمكن أن تسرع انهيار السلطة الفلسطينية إذا أنهت الولايات المتحدة والغرب تمويلها. لكنه أضاف إن حماس لا تستطيع أن تقول ذلك علناً. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012.

[250] الناطق باسم حماس شرح قائلاً: "علينا أن نكون مستعدين لحقبة جديدة نحقق فيها انجازات لشعبنا. وهذا يتطلب أن نكون موحدين. دون ذلك، لن نحظى باحترام العالم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24 شباط/فبراير 2011.

[251] عدد من قادة حماس أقروا بأن الحركة تراجعت شعبيتها لدى الرأي العام في قطاع غزة، رغم أنهم يعتقدون بأنهم اكتسبوا مزيداً من الشعبية في الضفة الغربية ـ وفي كلتا الحالتين، فإن الطرف الموجود في السلطة يدفع ثمن عدم تمكنه من الوفاء بوعوده. "ينبغي أن تكون إحدى أولوياتنا استعادة ثقة الناس في قطاع غزة قبل الانتخابات القادمة. إذا ظللنا منقسمين، وحماس تسيطر على قطاع غزة، وبقي القطاع جزئياً على الأقل تحت الحصار، فهذا ليس جيداً بالنسبة للحركة. في الماضي، عندما فعلنا ذلك، حققنا أشياء هامة. كحكومة، لم نحقق شيئاً عملياً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012

[252] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع فلسطيني مقرب من حماس، تموز/يوليو 2012. رداً على عضو في حماس قارن بين محادثات

من بين جميع الحجج التي تساق ضد الاتفاق الموقع في الدوحة ومن ثم في القاهرة، فإن الحجة التي وجد القادة في المنفى أكبر صعوبة في مواجهتها كانت أنه من غير المرجح أن تتحسن الظروف في الضفة الغربية ـ فقوات الأمن لن توقف اعتقال أعضاء حماس، والممارسات التمييزية في التعيين في الوظائف، والقيود المفروضة على الحريات السياسية أو إغلاق مؤسسات الحركة ـ وأنه حالما يتم التوصل إلى اتفاق، فإن الحركة ستخسر كل نفوذها في ذلك الصدد. الكثيرون شعروا بأن الاعتراضات القائمة يمكن تجاهلها على أنها بشكل أساسي انعكاس لعدم الرغبة بالتخلي عن السلطة؛ لكن الأمر ليس كذلك في الضفة الغربية، الداعمة تقليدياً للمصالحة والأكثر مرونة أيديولوجيا. عضو رفيع في قيادة الخارج قال:

> إخواننا في قيادة حماس في الضفة الغربية أيضاً أصبحوا سلبيين حيال المصالحة لأنه ليس هناك أي تغير هناك. هناك سجناء، وما تزال مؤسساتنا مغلقة، ولا تستطيع حماس العمل هناك، وقوات الأمن لن تسمح حتى بالمقاومة الشعبية التي اتفقنا عليها مع أبو مازن. إذا تغير الوضع في الضفة الغربية، سيكون بإمكاننا أن نجبر الناس في الداخل والخارج على الالتزام بالمصالحة. بالفعل، فإن بعض قادة حماس في قطاع غزة يستعملون الوضع في الضفة الغربية كمبرر لمعارضة المصالحة، وأنا أريد أن أحرمهم من ذلك المبرر. في المحصلة، لا بد من القول إن ما يحدث في الضفة الغربية هو العنصر المهيمن الذي يعيق المصالحة.[253]

3. مكان وجودك يحدد موقفك: أهمية المصالح الخاصة

يقول منتقدو كلا الموقفين إنه بصرف النظر عن الحجج التي تساق حول آثار الانتفاضات العربية أو محاسن ومساوئ المصالحة، فإن ما يدفع خصومهم بشكل أساسي هو المصلحة الشخصية الضيقة، وهو رأي يشاطرهم إياه المسؤولون المصريون ومسؤولو فتح.[254] من وجهة نظر مسؤولي حماس في قطاع غزة، فإن قادة الخارج ليس لديهم ما يخسرونه نسبياً من المصالحة، بل سيكسبون الكثير من زيادة شرعية حماس الإقليمية وهم الأكثر حاجة لتعويض إقليمي عن خسارتهم لسورية. بعد توتر علاقتها مع إيران، ومغادرتها لمقرها في دمشق وعدم عثورها على البديل المناسب لأي منهما، فإن قيادة الخارج من وجهة النظر هذه، أكثر استعداداً لتقديم التنازلات من أجل إيجاد راع جديد وموطن جديد.

قادة قطاع غزة يعبرون عن استيائهم مما يفسرونه على أنه المراعاة المفرطة التي يظهرها نظراؤهم في الخارج لرعاتهم في فترة محددة، إضافة إلى الوزن غير المتناسب لقيادة الخارج داخل الحركة؛ وعلى حد تعبير أحدهم، "لقد اعتمدت حماس دائماً على وجودها في الأراضي الفلسطينية. ليس على مكتب هنا ومكتب هناك. حسناً، هناك مكاتب في الخارج وقيادة في الخارج، لكن وفي المحصلة فإن ثقل حماس هو هنا". وتعليقاً على ما وصفه بأنه تحول قيادة الخارج من قيادة شديدة التصلب إلى قيادة مفرطة في المساومة، على حد تعبير أحد أعضاء المكتب السياسي في قطاع غزة، "أولاً دفعنا ثمن وجودهم في سورية. والآن سندفع ثمن وجودهم في قطر".[255]

يزعم منتقدو الجناح الخارجي بأن دوافعه تعززت بالتراجع النسبي لنفوذه داخل الحركة. لقد عزز تخفيف القيود على السفر في معبر رفح قدرة قادة قطاع غزة على الحصول على التمويل والقيام بالتحركات الدبلوماسية بأنفسهم، حتى مع تقليص خسارة المقر في دمشق لقدرة قيادة الخارج على فعل الشيء ذاته، وإطلاق سراح شخصيات عسكرية رفيعة أقل ارتباطاً بقيادة الخارج وعودتها إلى قطاع غزة كجزء من صفقة تبادل الأسرى مقابل شاليط وهو ما يقال إنه أضعف سيطرتها على الجناح العسكري.[256]

لا يتردد البعض في قطاع غزة في شخصنة المناظرة، حيث يحملون معظم المسؤولية لمشعل نفسه. طبقاً لهذه الرواية، فإن رئيس المكتب السياسي ـ المنعزل عن وقائع الحياة في قطاع غزة والمتخوف من نفوذها المتنامي؛[257] والحساس بشكل كبير لضغوط بعض الدول؛

المصالحة بطرفين يتعاركان على سطح سفينة غارقة تسمى السلطة الفلسطينية، قال أحد قادة حماس في قطاع غزة ممن يدعمون استراتيجية قيادة المنفى، "لن نصعد على السفينة مع أبو مازن. بعض قادتنا يجلسون في قارب نجاة داخل السفينة، ويحضرون أنفسهم لغرقها. في المستقبل، إما أن تنهار السلطة الفلسطينية أو يرحل أبو مازن أو تنجح الأنظمة العربية. حماس تعرف ما تفعله. لن تكون مع أبو مازن على سطح سفينة غارقة. ستبحر بعناية وحذر. معظم أعضاء حماس سيكونون على اليابسة. وأولئك الذين يتعاملون مع أبو مازن يجيدون السباحة جيداً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 13 شباط/فبراير 2012.

[253] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012. وأضاف أنه حالما سمع أبو مازن بهذا، التزم بتحسين الوضع في الضفة الغربية، "إلا أن الأمور تبقى على حالها على الأرض". أحد كبار مفاوضي فتح في مفاوضات المصالحة أنكر أن الوضع في الضفة الغربية كان العقبة الرئيسية أمام المصالحة: "أحد أهم حلفاء مشعل في قيادة الخارج قال بحضوري، 'كل من يريد إنهاء الانقسام لا ينبغي أن يتحدث عن القضايا الثانوية مثل إطلاق سراح السجناء، أو الحريات أو أية قضايا أخرى باستثناء تشكيل الحكومة، لأن الحكومة هي التي ينبغي أن تعالج جميع القضايا التي لم تسوى بعد'. هذه المجموعة التي حول مشعل نزيهة، لكن عندما يأتي الأمر لتطبيق الاتفاق، لا يستطيعون فعل شيء. في الواقع فإن موضوع المصالحة هو في يد حماس في قطاع غزة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، حزيران/يونيو 2012.

[254] دبلوماسي عربي قال، "جميع هذه المعارك داخل حماس لا علاقة لها بالأيدولوجيا. إنها السلطة، بوضوح وببساطة". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، شباط/فبراير 2012.

[255] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011؛ القاهرة، شباط/فبراير 2012.

[256] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤول في حماس من دمشق، 10 أيلول/سبتمبر؛ ومحلل فلسطيني، مدينة غزة، 8 أيلول/سبتمبر 2011؛ ومسؤول من حماس، القاهرة، تموز/يوليو 2012. طبقاً لعدة محللين، ومتشددين من المستوى المتوسط ودبلوماسيين عرب، فإن عودة شخصيتين رفيعتين في الجناح العسكري أطلق سراحهما كجزء من صفقة شاليط وهما يحيى سنوار وروحي مشتهى إلى غزة أدى إلى توزيع تركز السلطة داخل الجناح العسكري وقلل من سيطرة قيادة الخارج عليه. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011 ـ تموز/يوليو 2012.

[257] مسؤول مصري ضالع في جهود الوساطة بين فتح وحماس جادل بأن الهدف الأكبر لمشعل كان "التخلص من هنية، والقادة الآخرين في قطاع غزة، وكذلك من أولئك الذين أصبحوا أقوياء نتيجة اقتصاد الأنفاق. كما

والطموح الشخصي في أن يظهر كزعيم وطني - يسعى للمصالحة ضد المصالح الأهم للحركة وبهدف تقليص دور قيادة قطاع غزة. وبموجب هذه الرؤية، فإن أولوية مشعل هي اكتساب موقع قيادي داخل منظمة التحرير الفلسطينية؛ ومن هنا أهمية التحرك قدماً باتفاق من شأنه أن يمنح حماس موطئ قدم في الحركة الوطنية. أحد قادة حماس في الضفة الغربية قال، "مشعل يضع عينه على منظمة التحرير الفلسطينية. هذا هو الهدف".[258]

على الجانب الآخر، بعض القادة خارج قطاع غزة مستاءون مما وصفه محلل مقرب منهم على أنه "أخذ غزة للحركة الوطنية رهينة لمصالحها"؛ "القضية الفلسطينية ليست غزة"، على حد تعبير أحد القادة في المنفى.[259] المنطق هنا واضح: لقد اكتسب قادة قطاع غزة سلطة محلية كبيرة وسيكونون أكبر الخاسرين من المصالحة وكذلك من عودة فتح والسلطة الفلسطينية في النهاية إلى القطاع.

ثمة قائمة طويلة من الخسائر المحتملة. يقدر أن ماقيمته 500-700 مليون دولار من السلع تمر من خلال الأنفاق بين مصر وغزة كل عام ومنذ مطلع عام 2012 فرضت حكومة حماس عليها رسوم استيراد لا تقل عن 14.5%؛[260] وقد استثمرت حماس في محلات السوبر ماركت، وبيع الأراضي، ومزارع الأسماك، والمنتجعات البحرية؛ وقد زرعت ملايين أشجار الزيتون والنخيل، جزء كبير منها في المستوطنات الإسرائيلية التي تم إخلاؤها؛ كما فرضت رسوم استيراد تقدر بحوالي 40% على السيارات المستوردة من خلال مصر؛ كما أن لدى الجناح العسكري عشرات شاحنات التويوتا ذات الدفع الرباعي؛ وبات المسؤولون الحكوميون يرتدون الآن البدلات وربطات العنق الأنيقة، ولديهم عدة حراس شخصيين. (رغم أن أعدادهم خُفِّضت إلى النصف مؤخراً)، ويتنقلون في سيارات هيونداي إيلانترا وكيا فورت جديدة.

إضافة إلى ذلك، فإن أعمال البناء تزدهر، حيث تمت إشادة عشرات الأبراج السكنية الجديدة؛ وباتت المساعدات التنموية العربية والإسلامية تملأ الفراغ الذي تركه المانحون الغربيون؛ وتم تخصيص مئات الملايين من الدولارات من قبل دول مثل تركيا وقطر لمشاريع تنموية جديدة في القطاع، من إعادة مد الطرقات وإعادة بناء الممتلكات التي دمرت خلال حرب 2008-2009 إلى بناء مستشفى بتمويل تركي في الموقع الذي كانت تحتله في الماضي مستوطنة نيتساريم.[261]

في إشارة بالكاد تكون مبطنة إلى المزايا التي تم اكتسابها في غزة، حذر أحد أعضاء قيادة المنفى قائلا: "كالحروب، فإن الانقسامات تؤدي دائماً إلى نشوء مصالح خاصة".[262] مسؤول مصري قريب من محادثات المصالحة وصف هذه الأمور بشكل أكثر تحديداً: لحماس في قطاع غزة العديد من المصالح في المحافظة على الوضع الراهن. قامت حماس بتقسيم وإعادة بيع المستوطنات [اليهودية التي تم

أنه يريد إعادة فرض سيطرته على الجناح العسكري. ما كان في الماضي جناحاً موحداً نسبياً بقيادة الجعبري، الذي يتمتع مشعل بعلاقات وثيقة معه، أصبح أكثر توزعاً وأقل ولاءاً. وهذه نتيجة إطلاق سراح السجناء، التي أدت إلى عودة أعضاء في الفرع العسكري إلى قطاع غزة تربطهم علاقات سيئة مع الجعبري ومشعل والدور المتزايد لوزارة الداخلية التي تسيطر على قوات القسام في الشمال والمتحالفة مع هنية ضد مشعل. مشعل بحاجة لإعادة فرض موقعه في قطاع غزة وإلا فإنه يخاطر بأن يهمش". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.

[258] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 21 شباط/فبراير 2012. بعد الاجتماع مع لجنة القيادة المؤقتة لمنظمة التحرير الفلسطينية، التي حضرتها حماس والجهاد الإسلامي، قال مشعل، 22 كانون الأول/ديسمبر هو تاريخ ميلاد منظمة التحرير الفلسطينية. الميلاد الأول كان عام 1964، في نشأتها الأولى. الميلاد الثاني كان 1969، عندما انضمت إليها جميع منظمات وحركات الثورة الفلسطينية. والخميس الماضي، 22 كانون الأول/ديسمبر 2011، شهد ولادتها الثالثة. آمل، إن شاء الله، أن يكون ذلك ميلادها الحقيقي". "مقابلة مع خالد مشعل"، مرجع سابق. آخرون، بمن فيهم أولئك الموجودون في قطاع غزة، أنكروا أن طموح خالد مشعل كان له دور. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، مدينة غزة، 13 شباط/فبراير 2012. بدلاً من ذلك، فإنهم عبروا عن تشكك كبير في أن مثل هذه الاستراتيجية يمكن أن تنجح، بالنظر إلى ما يتوقع من مقاومة كبيرة داخل فتح. أحد قادة الضفة الغربية قال، "أن يكون لحماس ممثل واحد في منظمة التحرير الفلسطينية، هذا ممكن، يمكنهم أن يُمنحوا ذلك. لكن أن تعطى حماس نسبة حقيقية؟ مستحيل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، 21 شباط/فبراير 2012. إن وجود عقبات تحول دون إجراء الانتخابات في الشتات يعتبر سبباً جزئياً لعدم إجراء انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني، وقلة في فتح أو حماس يعتقدون بأن ذلك يمكن أن يحدث قريباً. النقطة الأولى التي ينص عليها اتفاق الدوحة "تؤكد الحاجة لاستمرار الخطوات لتفعيل وتطوير منظمة التحرير الفلسطينية من خلال إعادة تشكيل المجلس الوطني الفلسطيني بشكل يتزامن مع الانتخابات الرئاسية والتشريعية". "النص الكامل"، مرجع سابق. أحد أعضاء المكتب السياسي دافع عن استخدام "إعادة تشكيل" بدلاً من، "انتخاب": "هناك بعض المناطق التي تستطيع إجراء الانتخابات فيها وهناك مناطق لا تستطيع إجراءها. نريد انتخابات للمجلس الوطني الفلسطيني في المناطق التي يمكن إجراء الانتخابات فيها، لكن لا يمكن إجراء هذه الانتخابات في الأردن، على سبيل المثال، وفي الأردن ثلاثة ملايين فلسطيني. ينبغي أن يكون هناك طريقة لتمثيلهم". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012. وتشمل العقبات الأخرى في وجه انضمام حماس إلى منظمة التحرير الفلسطينية إصرار فتح على قبولها أولاً ببرنامج المنظمة. قائد رفيع في فتح قال، "إذا لم تعترف حماس بإسرائيل، وتنبذ العنف، وتقبل بالاتفاقات الدولية، فإنها لن تكون جزءاً من منظمة التحرير الفلسطينية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2011. رغم ذلك، فإن عضواً في اللجنة المركزية لحركة فتح، والناشط في محادثات المصالحة، شرح أن إجراءات القبول في منظمة التحرير الفلسطينية تفاوتت، ولم يطلب من الفصائل في السابق الالتزام المسبق باتفاقات منظمة التحرير الفلسطينية قبل الانضمام. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 23 كانون الأول/ديسمبر 2011. حماس تصر "أن تجري انتخابات لمنظمة التحرير الفلسطينية وإذا حصلت على الأغلبية تضع البرنامج". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، قطاع غزة، كانون الثاني/يناير 2012.

[259] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012؛ القاهرة، 25 شباط/فبراير 2012.

[260] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع الدكتور معين رجب، أستاذ الاقتصاد، جامعة الأزهر في غزة، مدينة غزة، 17 أيار/مايو 2012.

[261] ملاحظات لمجموعة الأزمات، بيت لاهيا، مدينة غزة، خان يونس، رفح، 2010-2012.

[262] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.

إخلاؤها] وأراضيها وكسبت الملايين. عندما تعود السلطة الفلسطينية إلى القطاع، قد تقول، هذا هراء: سنستعيدها؛ إنها ملك الشعب". أحد أعضاء القسام [الجناح العسكري لحماس] الذي كان معتقلاً من قبل مخابرات السلطة الفلسطينية لديه الآن عدة سيارات وكل ما يرغب. هل ستأخذ ذلك منه؟ هناك الكثير من المصالح في الوضع الراهن؛ أذكر مرة أن أولئك الذين كانوا يعملون بتهريب الوقود من خلال أنفاق رفح شنوا هجمات بالهاون على محطة وقود نحال عوز المجاورة لإسرائيل لأنهم لم يكونوا يريدون المنافسة.[263]

يشتكي أعضاء قيادة الخارج من هذه المصالح الخاصة الضيقة في قطاع غزة ويدعون لرؤية أوسع: "يقول البعض، 'ليس لدينا مشاكل في قطاع غزة؛ لدينا الأمن والسيطرة'. لكن ذلك يتناقض مع مصالحنا الأوسع وفلسفتنا كحركة". أحد زملائه قال: "علينا أن نكون مستعدين للتضحية ببعض المصالح والحقوق الشخصية في الحركة من أجل تحقيق الوحدة الوطنية. الأمر الأكثر أهمية ليس أن نخسر وزارة هنا أو هناك".[264] وبدلاً من إنكار التهمة بأنهم مستعدون لدفع ثمن باهظ مقابل الانضمام إلى منظمة التحرير الفلسطينية، فإن البعض يقر بذلك صراحة، مجادلين بأن هيئة صنع القرار الوطني الفلسطيني جائزة أكبر قيمة بكثير من السلطة الفلسطينية.[265]

IV. الخلاصة: مستقبل حماس

وسط التغيّرات الهائلة التي تعصف بالمنطقة، فقد سعت حماس لتأجيل القرارات الحاسمة، وذلك بتبني موقف لننتظر ونرى. التوترات الداخلية التي ظهرت وعبرت عن نفسها بشكل أكثر وضوحاً مما كان عليه الحال في الماضي تعكس التفاعل العميق بين التحولات الإقليمية الدراماتيكية والتجارب المختلفة ووجهات النظر المتباينة للمكونات المختلفة للحركة الإسلامية الفلسطينية. بمرور الوقت، سيتم الشعور بأثر ذلك على منظور حماس وخياراتها الاستراتيجية في مواضيع حاسمة مثل المصالحة، والعلاقات بين قطاع غزة ومصر، والتحالفات الإقليمية، والمقاربة حيال إسرائيل والكفاح المسلح، رغم أنه ما يزال من السابق لأوانه التنبؤ بحصيلة كل ذلك. في الوقت الراهن، ثمة عدد من العناصر الهامة الجديرة بالملاحظة:

لقد كانت التطورات الإقليمية بشكل عام لمصلحة الحركة وما يزال بإمكانها تحقيق فائدة أكبر منها. لا يمكن لنجاح المنظمات الإسلامية في سائر أنحاء المنطقة إلا تعزيز قوة الإسلاميين الفلسطينيين، ومكانتهم وزيادة نفوذهم. يتمتع قطاع غزة بعمق استراتيجي، وحماس بعمق سياسي كانا يفتقران إليه حتى وقت قريب. لقد تحسنت علاقاتهما مع عدد كبير من البلدان، ويتوقع تحقيق المزيد من التقدم في هذا الصدد.

وسيكون أحد التجليات الأكثر مباشرة لهذه التطورات تحسن العلاقات مع مصر وأثر ذلك على موقف القاهرة حيال العلاقات الداخلية الفلسطينية. وأمر آخر يتمثل في مكانة معبر رفح.[266] يتوقع بعض المسؤولين المصريين تغييرات واسعة النطاق بما في ذلك بناء منطقة تجارة حرة تم وضع خططها وتتطلب الموافقة الرسمية لتنفيذها؛ وستفضل القاهرة أن تجعل مثل هذه التعديلات تحت المظلة القانونية للوحدة الفلسطينية لكن من المرجح أن تحدث مثل هذه التغييرات حتى في غيابها.[267]

[263] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 21 شباط/فبراير 2012.
[264] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 24، 25 شباط/فبراير 2012.
[265] مسؤول من قطاع غزة اتفق مع هذا الرأي قائلاً: "منظمة التحرير الفلسطينية، وليس السلطة الفلسطينية، هي المرجعية لكل الشعب الفلسطيني. لا نطمع بالسلطة الفلسطينية. قد تكون حماس خسرت شعبيتها بسبب وجودها في الحكومة. لكننا نبقى أقوياء في الخارج، حيث يوجد معظم الفلسطينيين. سنكون الأغلبية في منظمة التحرير الفلسطينية، لا شك في ذلك. منظمة التحرير هي المقصد النهائي. ثم، وحالما نصبح في الداخل، سنعيد الناس إلى مسار الكفاح من أجل التحرير". مدينة غزة، 13/شباط فبراير 2012.

[266] في أعقاب اجتماع عقد في 26 تموز/يوليو بين مرسي وهنية، أعلن الأخير بأنهما اتفقا على تحسينات في رفح تشمل زيادة عدد المسافرين من قطاع غزة إلى 1,500 يومياً؛ وزيادة ساعات العمل وعدد الموظفين المصريين في المعبر؛ وزيادة الوقود المقدم من قطر من 6 إلى 10 شاحنات يومياً؛ ورفع 60% من أسماء الأشخاص من قطاع غزة على القوائم السوداء والممنوعين من دخول مصر؛ ومنح تأشيرات دخول لمدة 72 ساعة لجميع الفلسطينيين الذين يصلون إلى مصر من بلدان أخرى؛ وتنفيذ خطة من ثلاثة مراحل لحل مشكلة الطاقة في قطاع غزة: أولاً، زيادة كمية الوقود الذي يدخل قطاع غزة، مصحوباً بزيادة كميات الطاقة المقدمة من مصر من 22 إلى 30 ميغاوات؛ ثانياً، مد أنابيب غاز طبيعي من مصر إلى قطاع غزة؛ ثالثاً، ربط قطاع غزة بشبكة كهرباء عربية. "هنية: رفح سيفتح 12 ساعة يومياً"، وكالة أنباء معاً، 28 تموز/يوليو 2012.
[267] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مصري، القاهرة، تموز/يوليو 2012. دبلوماسي مصري توقع التوصل إلى رزمة من الإجراءات بحيث يحظى قطاع غزة بفتح كامل لرفح أمام الأشخاص والسلع، وإقامة منطقة تجارة حرة بين قطاع غزة ومصر وتلقي مساعدات تنموية بملايين الدولارات من قطر وتركيا مقابل تشكيل حكومة وحدة وطنية يقودها عباس وهدنة أكثر رسمية مع إسرائيل. كما

وسط التغيّرات، سيكون هناك قدر كبير من الاستمرار، على الأقل لبعض الوقت. تجد حماس أن عدداً من القواعد القديمة ما تزال مطبقة، حتى فيما يتعلق بمصر. وهكذا، عندما تعرض قطاع غزة لأزمة وقود بسبب توقف تزويدها بالوقود من مصر بعد سقوط مبارك، رأى قادة قطاع غزة في ذلك شكلاً من أشكال الابتزاز للضغط عليهم للمضي قدماً نحو المصالحة والمساعدة في تخفيف حدة الأزمة المالية التي ترتبت على ذلك في رام الله.[268] وجهات النظر المصرية حول التغيرات في رفح ليست موحدة؛ فالبعض ـ الذين يمكن لموقفهم، بالنظر إلى التطورات داخل البلاد، أن يكون هو الأقوى ـ يعتقدون بأن ثمن تغيير السياسة حيال قطاع غزة قد يكون باهظاً للغاية.[269] منذ مراسم استلام مرسي، استمرت انقطاعات الوقود والكهرباء، ما دفع أحد المحللين في قطاع غزة للاستنتاج أنه في حين أن الوضع لم يتدهور موضوعياً، "فإن المرء يشعر بأنه تدهور".

بالنظر إلى التطورات[270]. وعلى نحو مماثل، وعلى المستوى الدبلوماسي، استقبل مرسي الرئيس عباس قبل اجتماعه بخالد مشعل، وبعد اللقاء الأخير بالملك عبد الله، أكد مسؤول أردني "عباس ما يزال العنوان الرسمي، عنوان الشرعية الفلسطينية".[271]

على المدى البعيد، سيتعزز موقع حماس بفضل الموجة الإسلامية، لكن هذه الموجة ستغيرها بعمق أيضاً. الأولوية الحالية لإخوان مصر ليست فلسطين، ومصلحتها تكمن في المحافظة على علاقات طيبة مع الغرب.[272] قد تجد الحركة الفلسطينية نفسها تحت ضغوط لخلع عباءة المقاومة وتفعل ما فعلته المنظمات الإسلامية في سائر أنحاء المنطقة، أي أن تتحرك قدماً لتصبح حركة سياسية صرفة. حتى قبل الانتفاضات العربية، كانت قد سعت بشكل عام إلى المحافظة على الهدوء في غزة؛ ويمكن المجادلة أن ذلك سيصبح أكثر أهمية إذا كان الإخوان المسلمون في مصر عازمون على المحافظة على علاقات جيدة مع الغرب. كما يمكن للتغيرات التي تحصل على الوضع في رفح أن يكون لها تبعات عديدة ومتنوعة. سيسهم ذلك في تحسين الأحوال المعيشية في القطاع، لكنه يمكن أن يسرّع أيضاً اقتراب غزة من مصر، ويبعدها عن إسرائيل والضفة الغربية. ما سيعنيه ذلك بالنسبة لمصير كيان فلسطيني موحد ليس واضحاً – وكذلك تداعياته على مصير المصالحة.

يمكن للأسئلة أن تذهب إلى ما وراء ذلك؛ حيث يرى البعض في الحركة أن التغيرات الإقليمية ينبغي قراءتها في سياق النصر الوشيك للمشروع الإسلامي، الذي يعني تغيرات أكثر أهمية بالنسبة للقضية الفلسطينية ككل. أحد وزراء حماس في قطاع غزة قال:

> قبل ست سنوات كان الفلسطينيون جزءاً من الأمة، ثم أصبحوا جزءاً من المنطقة العربية، ثم القضية الفلسطينية. ثم السلطة الفلسطينية. لكن كل شيء تغير بعد الربيع العربي، أو، في رأيه، الربيع الإسلامي. العراق، وأفغانستان، وإيران، وحتى في أوروبا، نحن نتحدث عن تحول استراتيجي تاريخي في العالم. ليس مجرد تغير اجتماعي أو اقتصادي، بل تغير كبير في ميزان

توقع أنه بوجود أو غياب الوحدة الفلسطينية، سيكون هناك "تغييرات رئيسية" في رفح خلال عام. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، تموز/يوليو 2012. مسؤولون مصريون آخرون كانوا أكثر حذراً، قائلين إن حتى مصر بقيادة الإخوان المسلمين سيكون لديها أولويات أهم من قطاع غزة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، تموز/يوليو 2012. المسؤولون المصريون لا يعرفون ماهية التغيرات التي ستطرأ على السياسة حيال قطاع غزة، حيث لا يعرفون السلطة التي سيتمتع بها مرسي في تبني تلك السياسة وما سيفعله بتلك السلطة.

[268] وزير داخلية قطاع غزة فتحي حماد وجه مناشدة عاطفية على التلفزيون المصري، قائلاً، "بيننا أواصر دم. وبالتالي أين محبتكم ورحمتكم؟ ... نحن مصريون. نحن عرب. نحن مسلمون. نحن جزء منكم ... كيف يمكن أن تظلوا صامتين أيها المسلمون وشعب غزة يموت؟ تكتفون بالمراقبة دون أن تقدموا لهم أبسط الأشياء، التي تعطونها للغرب بأبخس الأثمان". على تلفزيون الحكمة، 29 آذار/مارس. أغلقت المخابز في قطاع غزة، وتشكلت الطوابير على الأفران، وانتظرت السيارات ساعات على محطات الوقود، وخرج المتظاهرون احتجاجاً ضد انقطاع الكهرباء لمدة 18 ساعة يومياً، وأصبح النقل العام يعمل بطاقة 60%، وتوقفت أكثر من نصف سيارات الإسعاف، وواجهت المستشفيات نقصاً في الوقود. مقابلات وملاحظات لمجموعة الأزمات، مدينة غزة، رفح، آذار/مارس 2012. قوبلت أزمة غزة بشبه صمت كامل من الإخوان المسلمين في مصر. قائد رفيع في حماس من قطاع غزة سافر إلى القاهرة للتحدث مع كبار أعضاء الحركة وقيل له إن الإخوان المسلمين لا يستطيعون القيام بشيء للضغط على الحكام العسكريين ما لم تلتزم حماس بتنفيذ اتفاق الدوحة. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع المسؤولين في حماس، مدينة غزة، آذار/مارس 2012. قادة كبار في قطاع غزة قالوا إنهم صدموا للغاية، حيث وصف أحدهم موقف الإخوان بأنه "عمل غير مقبول". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، 22 آذار/مارس 2012.

[269] دبلوماسي مصري قال، "أنا أفهم أن نفتح رفح من أجل مصر، لكن ليس لمساعدة الفلسطينيين. فتح رفح للسلع يعني أننا سندفع الثمن مع الولايات المتحدة؛ وأن ندفع الثمن مع إسرائيل؛ وأن نصبح عرضة للانتقادات الدولية للسماح بتجارة الأنفاق في حين نتعامل مع حماس، (حيث أن الأنفاق لن تختفي بشكل كامل)؛ ونجعل أنفسنا عرضة لمعارك قانونية تتعلق بهذا الأمر؛ ونتهم بتدمير الاتفاق حول الحركة والوصول لرفح لعام 2005 [بين الولايات المتحدة والرباعية والسلطة الفلسطينية]؛ وإنهاء علاقتنا بشكل كامل مع عباس؛ وتعميق الانقسامات بين الضفة الغربية وقطاع غزة؛ وأن يذكرنا التاريخ بوصفنا من ربط قطاع غزة بمصر، وبذلك أنهينا فكرة الدولة الفلسطينية". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، 10 آب/أغسطس 2012.

[270] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 25 تموز/يوليو 2012.

[271] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، عمان، تموز/يوليو 2012. مسؤولون في فتح، ورغم شعورهم بالخوف مما يمكن أن تحدثه حكومة مصرية يهيمن عليها الإخوان المسلمون، فإنهم عبروا عن رضاهم عما يرون فيه صفعة لحماس. أحد مستشاري عباس قال، "كانت حماس تعتقد أن مصر تتغير. الآن تدرك حماس أن خمسة أمور لن تتغير في مصر: الجيش، وأجهزة المخابرات، ووزارة الخارجية، والأهرام والنيل". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، رام الله، تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[272] قد تجد الحركة الفلسطينية نفسها مقتنعة بخلع عباءة المقاومة و، كالمنظمات الإسلامية الأخرى في المنطقة، أن تتحرك باتجاه أن تصبح منظمة سياسية صرفة. حتى قبل ا لانتفاضات العربية، كانت قد سعت بشكل عام للمحافظة إلى الهدوء في قطاع غزة؛ والتي ستصبح أكثر أهمية إذا كان الإخوان المسلمون المصريون عازمون على المحافظة على علاقات طيبة مع الغرب. كما أن تغييراً في الوضع في رفح قد يكون له تبعات مختلفة. سيسهم في تحسين الظروف المعاشية في القطاع، لكنه سيسرع أيضاً من توجه القطاع نحو مصر، وبعيداً عن إسرائيل والضفة الغربية. ما سيعنيه ذلك بالنسبة لمصير الكيان الفلسطيني الموحد غير واضح ـ وكذلك التداعيات بالنسبة لمصير المصالحة.

القوى في العالم. بعد عشر سنوات سترى الفلسطينيين جزءاً من هذا العالم. أبو مازن ومشروعه سيصبحان جزءاً من التاريخ.[273]

حتى بالنسبة لأنصار هذه الرؤية، فإنها رؤية بعيدة المدى، وفي الوقت الراهن، فإن معظم قادة حماس يركزون على المطالب الأكثر إلحاحاً. على حد تعبير أحدهم، "حالما يصبح لدي كهرباء أكثر من 7 ساعات في اليوم، قد أتمكن من التفكير في التقدم الذي تحققه الأجندة الإسلامية".[274]

في وجه هذه التقلبات وعلامات الاستفهام، فإن الحركة اختارت أن لا تختار. سواء كان مرسي يتباطأ لأنه يريد أن يُنظر إليه كحامٍ مسؤول للدولة المصرية، أو لأنه يفتقر إلى القوة الداخلية ليدفع بتغييرات في السياسة حيال غزة على مؤسسة عسكرية ـ أمنية غير راغبة في ذلك أو لأن فلسطين ليست ببساطة أولوية بالنسبة للإخوان، فإن حماس تعلن بأنها ستنتظر حتى يرتب بيته الداخلي وأن مصر قوية (ناهيك عن مرسي قوي) تخدم المصلحة الوطنية الفلسطينية. إذا ظل الموقف المصري ثابتاً، سيكون على حماس أن تحدد رد فعلها وتحدد ما إذا كانت سترد على الإحباط الداخلي بزيادة الضغوط على القاهرة.[275]

كما أظهرت حماس قدراً من الحذر في التعامل مع النزاعات الإقليمية وخصوصاً الحرب الإقليمية الباردة بين إيران ومحور قطر ـ تركيا ـ السعودية الذي يدعم المعارضة السورية ضد نظام الأسد. عندما ضُغط على حماس كي تتخذ موقفاً، سعت في الوقت الحاضر للمحافظة على علاقات وثيقة مع الجانبين؛ لكن من غير الواضح إذا ما كان هذا الموقف سيتمكن من مقاومة التوترات المتصاعدة. على نحو مماثل، فإنها تبنت مقاربة الجلوس والانتظار فيما يتعلق بالمصالحة. تواجه الحركة خياراً بين استراتيجية انتظار أن تحقق التغيرات الإقليمية فوائد لها، خصوصاً في قطاع غزة، التي تضعف علاقاتها بالضفة الغربية يومياً، واستراتيجية الوحدة الوطنية التي من شأنها أن تجسر الخلافات بين حماس وفتح مع بعض التكلفة من حيث التماسك الداخلي لحماس. من المؤكد أنها لم ترفض أو تتبنى أي من الموقفين، بل لعبت على عامل الوقت.

إن خيار حماس حول الاتجاه الذي ستأخذه ـ حيال القاهرة أو رام الله؛ الانضمام كلياً إلى المعسكر العربي أو المحافظة على أحد القدمين في المعسكر الإيراني ـ لا يتم التفكير فيه. تجري مناظرة على خلفية تجاربها طوال الأعوام الستة الماضية، منذ فازت في الانتخابات التشريعية عام 2006. كما أن ذلك سيتأثر، إلى حد ما، بالخطوات المستقبلية التي يتخذها الغرب.

آ. الدروس المستقاة

ستكون الخيارات المستقبلية التي ستتخذها حماس جزئياً إحدى وظائف الدروس التي تعلمتها على مدى الأعوام الستة الماضية. أولاً، فإن العديد من قادة الحركة باتوا يقدرون أن البلدان الغربية، ورغم تغير علاقتها مع فروع أخرى للإخوان المسلمين في المنطقة، فإنها ستبدي بطئاً في تغيير مسارها وتبنّي موقف أكثر مرونة حيال حماس.[276]

أعضاء كبار كانوا متفائلين في أعقاب الانتخابات التشريعية لعام 2006 بأن انتصارهم الديمقراطي سيتم الاعتراف به وأن علاقاتهم مع العالم سيتم تطبيعها.[277] بعد حوالي ثلاث سنوات، بعث انتصار أوباما عام 2008 ببعض الأمل بأن الرئيس الجديد يمكن أن يحرر نفسه من قيود إجماع واشنطن واتخاذ مسار جديد في فلسطين.[278] لقد خاب كلا الأملين.[279] وقد شكّل الاتحاد الأوروبي خيبة أمل أكبر للحركة. رغم الإدراك المتنامي في بروكسل وعواصم أخرى أن عزل غزة حقق نتائج عكسية، وبعد قدر غير قليل من المحادثات في الغرف الخلفية، فإن الانخراط السياسي لأوروبا مع حماس لم يفض إلى نتائج. وبالتالي، فإن حماس اليوم تركز بشكل كامل على محيطها العربي.

ثانياً، فإن حماس كحركة قررت أن لا تنخرط في مصالحة يمكن أن تحقق لها قبولاً إقليميا لكن تؤدي في نفس الوقت إلى إضعاف موقعها في الضفة الغربية أو في قطاع غزة. يبدو قادتها في القطاع مصممون على حماية مصالحهم من أي تعدٍ ويعتقدون أن عباس إما غير مستعد أو غير قادر على إحداث تغييرات ـ في الضفة الغربية أو في منظمة التحرير الفلسطينية ـ وهي التغيرات التي تعتبر ضرورية للمصالحة. في الوقت الراهن، لا يمكنهم حتى التفكير بالشروع بعملية

[273] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 11 أيلول/سبتمبر 2011.

[274] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، مدينة غزة، 25 تموز/يوليو 2012. موظف في المكتب الإعلامي لحماس في قطاع غزة قال إن الأحداث الإقليمية شجعت أولئك في الحركة الذين يميلون نحو الخطاب الإسلامي لتكثيف خطابهم، لكن بشكل عام، من المبكر جداً تحديد كيف سيؤثر صعود الإخوان المسلمين على أيديولوجية الحركة. مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 25 تموز/يوليو 2012.

[275] محلل في غزة أشار إلى أنه في حين تستمر حماس بالتعبير عن الصبر والتفهم للقيود المفروضة على مرسي، فإنها طلبت أيضاً بعض التحسينات من القاهرة منذ بداية فترة رئاسته تقريباً. القائد في غزة محمود الزهار، الذي حضر اجتماع مشعل مع مرسي، قال إنهما اتفقا من حيث المبدأ على رفع الحصار عن قطاع غزة، وأنه يعتقد أن القيود المفروضة على حركة الأشخاص عبر معبر رفح سيتم رفعها مع نهاية العام. "Hamas: Egypt delegation to visit Gaza, West Bank to discuss reconciliation", *Egypt Independent*, 23 July 2012. بعد اجتماع مرسي مع هنية، قال الناطق باسمه إن الطرفان ناقشا "حلولاً تتعلق برفع الحصار وتخفيف معاناة أهل قطاع غزة". مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال، "اتجاه حماس يعتمد على انهيار الآمال التي وضعوها في مرسي". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، آب/أغسطس 2012.

[276] قائد رفيع في حماس في المنفى قال، "في النهاية، فإن على العالم التعامل مع حماس. لا يمكن حل القضية الفلسطينية بدوننا. لكننا نفهم أنه حتى لو تعاملت الولايات المتحدة مع الإخوان في مصر وأمكنة أخرى الآن، فإنه وبسبب إسرائيل سنظل الاستثناء لبعض الوقت". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، تشرين الثاني/نوفمبر 2011.

[277] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع قائد رفيع في حماس، رام الله، تموز/يوليو 2012.

[278] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، تشرين الثاني/نوفمبر 2000.

[279] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، شباط/فبراير، تموز/يوليو 2012.

مصالحة تستند إلى استمرار القيود في الضفة الغربية، والتحرك السريع نحو الانتخابات واستعادة فتح لموطئ قدم في قطاع غزة.

على وجه الإجمال، ومن وجهة نظر الكثيرين في حماس، فإن السنوات الست الماضية أثبتت أن استعداد الحركة لتقديم التنازلات ـ مهما كانت ضرورتها وصيغتها ـ لن تلقى الرد المناسب لا في رام الله ولا في الخارج، ما يترك أنصار الانخراط السياسي داخل الحركة في موقع ضعيف حيث لا يستطيعون إثبات أن جهودهم تحقق أية نتائج. على النقيض من ذلك، فإن أولئك الذي تبنوا مواقف غير تسووية يمكن أن يزعموا بأن لديهم الحق في ذلك.[280]

السؤال الذي ينبغي على حماس أن تعالجه اليوم وهو ما إذا كانت بالفعل قد تعلمت الدروس المستقاة من السنوات الست الماضية ربما أكثر من اللازم وأقنعت نفسها أنها إذا تمسكت بمواقفها ولم تتنازل عن أي من مبادئها، فإن بوسعها أن تبقى ويختفي خصومها. لقد كانت حماس حركة تتمتع بتفويض ديمقراطي مرتبط دائماً بالرأي العام. اليوم، هذا الرأي العام يدعم بشكل كاسح عملية المصالحة وإجراء الانتخابات. هل أقنعت السنوات الخمس الماضية حماس أن بوسعها تجنب مصير جيرانها غير الديمقراطيين الذين ينكرون على شعوبهم تطلعاتهم؟[281] هل تعتقد أن الأخطاء التي ارتكبتها بعد عام 2006 ـ المبالغة في تقدير قوتها واستعداد العرب لنجدتها، إضافة إلى التقليل من شأن الهشاشة الاقتصادية لقطاع غزة ـ ما يزال من الممكن تجاوزها عن طريق الصمود؟ يبقى اقتصاد قطاع غزة معتمداً بشكل كامل على مصر وإسرائيل، وما من سبب يدعو للافتراض بأن الدول المحيطة ـ رغم توجهاتهم الأيديولوجية الجديدة ـ سيكونون أكثر دعماً للحركة الوطنية الفلسطينية مما كانوا في الماضي.

تبقى خيارات حماس غير واضحة، بشكل أساسي بسبب الانقسامات العميقة وغير المسبوقة التي ظهرت في أعقاب الانتفاضات العربية الأولى. في حين أن الانقسامات في الحركة ليست جديدة وتعود إلى ما قبل قيام بائع الخضار التونسي محمد البوعزيزي بحرق نفسه، فإن الخلافات اليوم تتعلق بكيفية الاستفادة من الاضطرابات الإقليمية وما يمكن التضحية به في سبيل ذلك. في اللحظة الراهنة، انتصرت الوحدة داخل الحركة ـ لكن فقط من خلال تأجيل الخيارات التكتيكية والاستراتيجية والعودة إلى وضعية العطالة.

السؤال المطروح على المجتمع الدولي، وخصوصاً على الولايات المتحدة وأوروبا، هو عكس ذاك الذي يواجه حماس: هل تعلموا دروس السنوات الست الماضية بشكل جيد؟ لقد أخطأوا بالاعتقاد أن بوسعهم إلغاء نتائج الانتخابات التشريعية لعام 2006، ما أدى إلى انقسام الضفة الغربية عن قطاع غزة في العام التالي، وقد ضاعفوا أخطاءهم بعده بتخيّل أن الانقسام في الأراضي المحتلة شكل فرصة لرام الله لتحقيق السلام مع إسرائيل وبالنسبة للمجتمع الدولي لإجبار حماس، في قطاع غزة المحاصر والراكد، للتخلي عن السلطة.[282] اليوم ثمة إدراك واسع أن كلا دعامتي هذه السياسة ـ صنع السلام وإضعاف حماس ـ كانتا وهميتين.[283] رغم ذلك لم يظهر أي بديل. إن التغير الجذري في سياسات الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي نحو الإخوان المسلمين قد يشكل فرصة.

ب. السياسات الغربية

كما وصفتها مجموعة الأزمات في السابق، وحتى إذا حكم عليها بمعاييرها وأهدافها، فإن السياسات الغربية حيال حماس قد فشلت. بدلاً من خسارة السلطة في قطاع غزة، فإن الحركة عززت من سيطرتها. لم تقبل بشروط الرباعية. ولم يتم تعزيز قوة فتح ولا قيادتها. في غياب المصالحة، تعمق الانقسام بين قطاع غزة والضفة الغربية، وأجلت الانتخابات إلى أجل غير مسمى، وتراجعت الحياة الديمقراطية في كلا الجزأين من الأراضي المحتلة. نظراً لانقسامهم، فإن الفلسطينيين وجدوا صعوبة متزايدة في الانخراط مع إسرائيل. في هذه الأثناء، تحدث تصعيدات في قطاع غزة كل بضعة أشهر مع تبعات مؤلمة بالنسبة للقتلى والجرحى والاحتمال الدائم لانتشار المواجهات مع كل حادث إطلاق صواريخ.

مع التغيرات الحاصلة في سائر أنحاء المنطقة، قد يكون هناك فرصة للبدء من جديد وأن يشرع الغرب في التصدي لقضية الحركة الإسلامية الفلسطينية بشكل مختلف. لقد حدثت عدة تطورات ذات صلة. الإخوان المسلمون في السلطة في مصر الآن. وهم حريصون على الهدوء، وتواقون للحصول على المساعدة الخارجية ويطورون علاقات جديدة مع الغرب. وهذه الحركة هي الحركة الأم لحماس. ما من منظمة أكثر أهمية لحماس من الإخوان، الذين يمكن لعلاقاتهم المستقبلية مع إسرائيل وقطاع غزة أن تتخذ أشكالاً مختلفة. بشكل عام، وفي هذه البيئة الناشئة، فإن حلفاء إقليميين هامين آخرين للولايات المتحدة وأوروبا ـ تركيا وقطر ـ يتمتعون بعلاقات أوثق مع الحركة الفلسطينية. إنهم في موقع يمكّنهم من محاولة التأثير على حماس، ونُصحها بالصبر والبراغماتية. عضو رفيع في حماس قال:

> الإخوان المسلمون بمفردهم لا يستطيعون ولن يحاولوا إجبارنا على تغيير مواقفنا. ما أخشاه هو المزيج المكون من مصر، وقطر وتركيا ـ البلدان الثلاثة المقربة منا، والتي تتمتع بعلاقات

---

[280] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة كبار في حماس، القاهرة، مدينة غزة، كانون الأول/ديسمبر 2011، شباط/فبراير 2012.

[281] قبل أزمة الوقود، رفض قادة قطاع غزة احتمال ظهور احتجاجات شعبية ضد حكمهم. على النقيض من ذلك، فإن عضواً رفيعاً في قيادة المنفى كان حريصاً على الحصول على معلومات حول مشاعر الناس حيال هنية وحماس في أعقاب أزمة الوقود. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة كبار في حماس، القاهرة، مدينة غزة، أيلول/سبتمبر 2011 ـ آذار/مارس 2012.

[282] لمراجعة لهذه الأحداث، انظر، Nathan Thrall, "Our Man in Palestine", *The New York Review of Books*, 14 October 2010.

[283] مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال، "حتى قبل حادثة أسطول الحرية، توقفت هذه الحكومة عن الاعتقاد، كما فعل [رئيس الوزراء السابق] أولمرت، أن بوسعها إسقاط حماس بوسائل اقتصادية. حادثة أسطول الحرية [أيار 2010] سرّعت في هذا التحول في السياسات. والنتيجة أن لدينا علاقة عمل بحكم الأمر الواقع مع قوة الأمر الواقع على الأرض. رئيس الوزراء مرتاح للنمو الاقتصادي المحدود في قطاع غزة، خصوصاً كوسيلة لصرف انتباه حماس عن التسبب بالمشاكل. ما زلنا نريد أن يكون هناك تفاوت بين الحياة الاقتصادية في قطاع غزة والضفة الغربية، لكننا لم نعد نشعر أن من الضروري لهذا التباين أن يكون كبيراً". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، آب/أغسطس 2012.

وثيقة مع الولايات المتحدة ولكنها، بشكل أو بآخر، لها علاقات مع إسرائيل. إذا طلبت منا هذه الدول الثلاث أن نفعل شيئاً، أن نتحرك باتجاه ما، فسنجد صعوبة أكبر في المقاومة.[284]

قائد آخر، وربما في محاولة لاستباق مثل هذا التحرك وإحساساً بالرياح المتغيرة، قال إن على حماس أن تعمل مع حلفائها الإسلاميين في المنطقة للخروج بمبادرة سلام جديدة.[285]

علاوة على ذلك، وكما تم بيانه بشكل مفصل في هذا التقرير، فإن حماس حركة في حالة تغيّر، وباتت أكثر انقساماً وأقل يقيناً حول التوجه الذي ستتخذه في المستقبل. وهذا قد يجعلها أكثر انفتاحاً على المقترحات الخارجية، التي يمكن أن تساعد في دفع الحركة في هذا الاتجاه أو ذاك. كل هذا يشير إلى أن الولايات المتحدة و/أو الاتحاد الأوروبي يمكن أن يتواصلا مع مصر، وتركيا وقطر أيضاً، ويطرحا أفكاراً ملموسة حول ما يمكن لحماس أن تفعله ـ وما يمكن لحماس أن تتوقعه بالمقابل.

وفي فعل ذلك، على الغرب أن يأخذ بعين الاعتبار عدم المبالغة في جهوده. تماماً كما ينبغي على حماس أن لا تبالغ في تقدير قوتها، فإن على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي ألا يخطئا بتقدير حجم نفوذهما. قد لا تكون الحركة متيقنة بشأن طريقة تكيفها مع العهد جديد، إلا أن ذلك لا يجعلها يائسة. بالفعل، وكما تمت مناقشته أعلاه، فإنها تشعر أن الرياح تهب لصالحها وهي تركز بشكل متزايد على محيطها الإقليمي على حساب الغرب الذي ترى أنه لا يمكن الركون إليه وغير ذي صلة بواقعها. كثيرون في القيادة ما يزالون يفضلون شكلاً من أشكال الانخراط مع الغرب، إلا إن حماس لن تتخلى فجأة عن مبادئها ولن تصادق على شروط الرباعية حرفياً، وتخاطر بأن تصبح، على حد تعبيرهم، نسخة طبق الأصل من فتح.[286] قائد رفيع في المنفى كان قد جادل بأن على الحركة أن تصبح أكثر اعتدالاً في مواقفها كان جازماً في قوله: "انس أن تطلب منا القبول بشروط الرباعية أو بمبادرة السلام العربية. هذه أشياء من الماضي، والمنطقة تحركت إلى الأمام. نحن بحاجة إلى شيء جديد".[287]

بعبارة أخرى، وبدلاً من التركيز على الالتزام الصارم بشروط إعلانية تفرضها الرباعية، وهي شروط يصعب جداً على حماس تلبيتها وأقل أهمية من الأفعال الممكنة عملياً، فإن على الدول الغربية التركيز على خطوات واقعية ملموسة. كما أن هذه ينبغي أن ترتبط بأولوياتهم ـ الوقف الدائم للعنف واحتمال إطلاق مفاوضات مثمرة بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية.[288] ـ والسعي في نفس الوقت للاستفادة من الوقائع الإقليمية الجديدة. ثمة تقاطعات مثيرة للاهتمام بين مصر تحت حكم الإخوان المسلمين وإسرائيل يمكن لحماس أن يكون لها دور هام فيها.

ضمان الهدوء في قطاع غزة. إسرائيل ومصر على حد سواء يفضلان فترة من الهدوء في قطاع غزة، الأولى لأسبابها الواضحة، والثانية لأن عدم الاستقرار على حدودها سيؤثر في أولوياتها الداخلية؛ ويجبرها على جعل موقفها من إسرائيل أكثر حدة؛ وتعقيد علاقاتها مع الغرب. حماس أيضاً تبدو في هذه اللحظة أنها تفضل تعزيز حكمها بدلاً من اجتذاب الهجمات الإسرائيلية. ثمة ترتيبات كان من المفترض أن تتم منذ وقت طويل، تنطوي على التزامات متبادلة بوقف إطلاق النار وإجراء تحسينات على الوضع الاقتصادي في قطاع غزة، وهو ما يمكن أن تلعب فيه مصر دور الوساطة.

توفير الأمن والاستقرار في سيناء. لقد أصبح الوضع في سيناء مصدر قلق حقيقي للحكومة الإسرائيلية، التي ترى فيها مكاناً لا يحكمه أحد تجد فيه مختلف المجموعات المتشددة ـ والأسلحة المتقدمة ـ مكاناً للانتشار.[289] كما أن لمصر مصلحة في تحقيق الاستقرار في سيناء، حيث تغذي الاضطرابات العمليات الاقتصادية غير المشروعة والتي نشأت جزئياً للالتفاف على الوصول المحدود إلى القطاع.

هجوم 5 آب/أغسطس الذي أدى إلى قتل ستة عشر جندياً مصرياً ـ والذي شن بعده المتشددون هجوماً على الحدود الإسرائيلية في شاحنة وعربة مصفحة مسروقة ـ أبرز الحاجة الملحة للعمل لمحاربة التشدد والإجرام على حدود قطاع غزة. مصر ردت بحملة عسكرية شملت أول ضربات توجهها طائرات الهليكوبتر في سيناء منذ انسحاب إسرائيل من شبه الجزيرة عام 1988، إضافة إلى تدمير عدد من الأنفاق التي تربط سيناء بقطاع غزة، وإغلاق معبر رفح وفرض قيود على سفر الفلسطينيين إلى مصر.[290] رغم أن هوية المهاجمين تبقى غير معروفة، فإن المسؤولين الإسرائيليين والمصريين لاحظوا أن الرأي العام في مصر تحول ضد حماس وقطاع غزة في أعقاب

---

[284] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، حزيران/يونيو 2012.
[285] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.
[286] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع قادة في حماس، نابلس، رام الله، تموز/يوليو 2012.
[287] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012.
[288] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع مسؤولين أوروبيين، القدس، 25 تموز/يوليو 2012.

[289] لقد قال مسؤولون أمريكيون ومصريون أيضاً إن سيناء مصدر قلق كبير. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، تل أبيب، واشنطن، آذار/مارس ـ تموز/يوليو 2012. مسؤول عسكري إسرائيلي قال: "سيناء لا يحكمها أحد. البدو يسيطرون عليها. بعد هجوم آب/أغسطس [2011]، سمحنا لست كتائب [مصرية] بالدخول إلى سيناء. لم تدخل الكتائب الست، قاموا ببعض الأشياء الصغيرة، لكن لم يكن لها أثر. في الشهرين الماضيين، كان هناك بعض التحركات من قبل الجيش المصري لإعادة سيطرته على المنطقة. أخبروني بأنهم اعتقلوا 20 بدوياً مؤخراً. ووجدوا بعض مستودعات الأسلحة. لكن الأشخاص الذين اعتقلوهم والأسلحة التي صادروها نقطة في بحر. حماس تعرف أن لديها حرية أكبر في المناورة مما كان متاحاً لها في ظل [رئيس المخابرات المصرية السابق] سليمان ومبارك. الأنفاق تعمل دون قيود، والأسلحة تتدفق دخولاً إلى قطاع غزة، ويمكن لحماس أن تعمل في سيناء. يعرفون أنه ليس بوسعهم شن هجمات من قطاع غزة، بسبب الردود الانتقامية من إسرائيل، ولذلك يمكنهم أن يحاولوا العمل في سيناء بدلاً من ذلك". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، تل أبيب، 8 آذار/مارس 2012.

[290] "After Sinai attack, U.S. and Egypt step up talks on security", *The New York Times*, 12 August 2012. "Egypt Air to prevent Palestinian travel to Cairo", Sama News, 12 August 2012. القائد الرفيع في حماس موسى أبو مرزوق أدان هذه الخطوات: "يتم تضليل الجمهور المصري حول الوضع في قطاع غزة، والنتيجة هي عقوبة جماعية لسكان غزة". "Gaza pays the price for Rafah attack", *Al-Ahram Weekly*, 9-15 August 2012.

الحادث.[291] مسؤولو حماس يقولون إنهم متفائلون بأن علاقاتهم بمصر لن تتضرر لكنهم يفهمون أن مصر في ظل حكم مرسي ستكون أقل تسامحاً إزاء انعدام الاستقرار على الحدود الجنوبية لقطاع غزة.[292] وهكذا يمكن لحماس أن تستفيد من سيناء مستقرة تمنع ازدياد قوة الإسلاميين الذين يتحدونها، وتعزيز قوة مرسي وتيسير المرور القانوني للسلع والمواد الأخرى، من الوقود، بين مصر والقطاع.[293]

تيسير مفاوضات سلام يقودها عباس. رغم أن احتمال استئناف المفاوضات بين الإسرائيليين والفلسطينيين هو احتمال ضئيل وقد يكون ذا أثر عكسي، فإن الإخوان المسلمين قد يرون في استئنافها ونجاحها مصلحة لهم.[294] ويعرف الإسلاميون أن هذا هدف أمريكي هام. علاوة على ذلك، فإن تحقيق تقدم على الجبهة الإسرائيلية ـ الفلسطينية سيسهم في تحسين المناخ الإقليمي العام، ويزيل عاملاً مثيراً للإزعاج في العلاقات بين الولايات المتحدة ومصر ويسهل الاتصالات بين مصر وإسرائيل. أن يقود عباس المفاوضات يعني أن الإسلاميين لن يلطخوا أنفسهم فيما سيكون دون شك تنازلات صعبة.

في الماضي، ألمحت حماس إلى استعدادها للموافقة على مفاوضات يقودها عباس في سياق اتفاق الوحدة بين فتح وحماس، طالما أن أي اتفاق ينجم عن تلك المفاوضات سيخضع لاستفتاء شعبي من قبل الفلسطينيين في قطاع غزة، وفي الضفة الغربية والشتات. لن يترتب على حماس أن تصادق رسمياً على الاتفاق، بل أن تحترم قرار الشعب الفلسطيني، وبالتالي تظل صادقة مع مبادئها دون أن تعيق التوصل إلى اتفاق بشكل مباشر. يمكن لمصر (وربما تركيا وقطر) أن تشجع حماس على التركيز بوضوح على هذا الموقف ـ الذي وافق عليه معظم قادة حماس (لكن ليس جميعهم)[295] وافقوا عليه في الماضي ـ وفي نفس الوقت كثفوا جهودهم للخروج بشكل من أشكال المصالحة. إذا كان للمجلس التشريعي الفلسطيني الذي تهيمن عليه حماس أن يستأنف عمله في سياق مثل هذا الاتفاق، فإنه يمكن أن يصدر قانوناً يلزم الفصائل الفلسطينية بالالتزام باتفاق سلام تتم الموافقة عليه باستفتاء عام.[296]

عندما يحين الوقت، فإن القيود على التعامل مباشرة مع حماس سترفع جزئياً على الأرجح ـ من قبل الاتحاد الأوروبي، والولايات المتحدة وأيضاً من قبل إسرائيل نفسها، وهي الطرف الذي ينبغي عليه التأقلم مع الوقائع على الأرض ومع صعود الأخوان المسلمين في المنطقة أكثر من أي طرف آخر.[297] بالفعل، وكما يسارع قادة حماس إلى الإشارة، فإن القوى الثلاث ليس لديها مشكلة في الانخراط مع مصر في ظل قيادة الإخوان المسلمين، رغم أنها لم تغير أياً من مواقفها المعلنة ـ والمعادية بقوة ـ اتجاه إسرائيل.[298]

أما مدى قرب وبعد حدوث ذلك زمنياً فيبقى موضع نقاش. مسؤول إسرائيلي سابق أكد أنه بصرف النظر عما تقوله حماس أو تفعله، فإنها ستبقى استثناءاً لأي تقارب بين الأخوان المسلمين والغرب وربما إسرائيل أيضاً. "يمكنهم أن ينشدوا الحاتكفا [النشيد الوطني الإسرائيلي] ولن يغير من الأمر شيئاً".[299] على النقيض من ذلك، فإن مسؤولاً دبلوماسياً أوروبياً تربطه علاقات وثيقة مع رام الله قال، "لنعطِ الأمر سنتين. مع تقارب الإخوان المسلمين والولايات المتحدة

[291] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع دبلوماسي مصري، ومسؤول أمني إسرائيلي رفيع، القاهرة، القدس، آب/أغسطس 2012.

[292] مسؤول في حماس ذهب إلى حد القول إنه يعتقد أن العلاقات بين قطاع غزة ومصر ستتحسن في أعقاب الهجوم. قبل ثلاثة أيام من إحالة مرسي أكبر ضابطين في الجيش المصري على التقاعد، قال المسؤول في حماس، "الهجوم سيكون مفيداً لحماس ولمرسي. سيفيد مرسي بمنحه فرصة للتخلص من بعض كبار الضباط في النظام القديم [في أعقاب الهجوم، قام مرسي بإقالة محافظ شمال سيناء واستبدل رئيس المخابرات المصرية بمحمد رأفت شحاته، أحد الضالعين في صفقة شاليط والذي يقول مسؤولو حماس إنهم يحترمونه]. وسيسمح لمرسي باتخاذ إجراءات في سيناء، يظهر فيها أنه رجل عمل. كما يفيد الهجوم حماس بالمساعدة على تسريع إدراك مصر للحاجة إلى إغلاق الأنفاق وفتح منطقة تجارة حرة في رفح". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، 9 آب/أغسطس 2012.

[293] بالفعل، وبعد أسبوع من هجوم سيناء، قال أحد قادة حماس في قطاع غزة، صلاح البردويل، "حماس مستعدة لإغلاق الأنفاق مقابل فتح معبر رفح بشكل دائم للأشخاص والسلع. حركتنا ليست مستعدة فقط للموافقة على إغلاق الأنفاق بل للمساعدة على إغلاقها". أخبار سما، 12 آب/أغسطس 2012. قبل يومين من تصريح البردويل، عبر دبلوماسي مصري عن تشككه في أن حماس ستقوم بإغلاق الأنفاق بشكل كامل: "إذا قالت حماس بأنها ستغلق كل الأنفاق مقابل فتح معبر رفح أمام السلع، فهل تعتقد أن أي شخص في الحكومة المصرية سيصدقهم لثانية واحدة؟ هل تعتقد فعلاً أننا إذا فتحنا رفح أمام السلع ستختفي الأنفاق؟ سيبقون الأنفاق بالطبع مفتوحة، على الأقل لتهريب الأسلحة والترامادول [مسكن للآلام يستعمل على نطاق واسع ويهرب بشكل غير قانوني] "مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، 10 آب/أغسطس 2012.

[294] كما تمت ملاحظته أعلاه، فإن رسالة الرئيس مرسي إلى الرئيس بيريز، إذا ثبتت صحتها، قد تقول على أن ذلك محتمل أكثر مما كان كثيرين قد اعتقدوا.

[295] عضو رفيع في قيادة المنفى وصف موقف حماس الذي طالما كررته عندما قال، "كل ما يقرره الشعب الفلسطيني سيحظى باحترامنا. إذا وافق الشعب الفلسطيني على خطة سلام معينة، سنقبلها وسنحترم إرادته". مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، أيار/مايو 2012. رغم أن معظم قادة الحركة يقولون إنهم سيلتزمون بنتيجة الاستفتاء، فإن بعض كبار القادة ألمحوا إلى أن الدولة الفلسطينية قد تكون نقطة الانطلاق لاستمرار الكفاح لتحرير كامل فلسطين. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القاهرة، مدينة غزة، شباط/فبراير ـ حزيران/يونيو 2012

[296] وهو أمر ألمح عدد من قادة حماس بأنهم سيفعلونه. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، نابلس، كانون الثاني/يناير، تموز/يوليو 2012.

[297] مسؤول أمني إسرائيلي رفيع قال، "لم تقل إسرائيل أبداً أنها لن تتحدث إلى حماس. على عكس موقف الولايات المتحدة من القاعدة ـ أنها خارج أي حديث "مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، آب/أغسطس 2012.

[298] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات مع أحد قادة حماس، القاهرة، حزيران/يونيو 2012. يجادل قادة حماس بأن سياسة عزل الحركة فيها كثير من النفاق، حيث أن أوروبا تقيم علاقات مع حزب الله، وهي مجموعة، على عكس حماس، شنت هجمات على الأراضي الأوروبية. ويضيفون بأن الولايات المتحدة عقدت محادثات مع طالبان في نفس الوقت الذي تتعرض فيه لهجمات من قبلها. مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، مدينة غزة، نابلس، كانون الثاني/يناير، تموز/يوليو 2012.

[299] مقابلة أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، كانون الأول/ديسمبر 2011.

فإن الأمور ستكون مختلفة جداً. حتى إسرائيل باتت تنظر بمنظور جديد إلى الإخوان المسلمين، وهكذا، فما الفرق؟".[300]

كما تم تفصيله في هذا التقرير، فإن المصالحة الفلسطينية ـ والتي أدى غيابها إلى ضرر جماعي هائل ـ تواجه ما يكفي من العقبات الداخلية. لا ينبغي إضافة عقبات خارجية إليها. في الوقت الراهن، ووجود المنطقة وحماس على مفترق طرق استراتيجي، فإن أقل ما ينبغي على الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي فعله مقابل الالتزامات أنفة الذكر من قبل الحركة الإسلامية ـ وقف إطلاق نار حقيقي في قطاع غزة، للمساهمة في تحقيق الاستقرار في سيناء، ومنح عباس "تفويضاً" للتفاوض مع إسرائيل والموافقة على الالتزام بنتائج أي استفتاء شعبي ـ هو أن تعلن بوضوح بأنها ستتعامل مع حكومة الوحدة الوطنية التي يكون برنامجها وأفعالها منسجمة مع هذه المبادئ.

مدينة غزة/القاهرة/القدس/رام الله/بروكسل، 14 آب /أغسطس 2012

[300] مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات، القدس، كانون الأول/ديسمبر 2011، كانون الثاني/يناير 2012.

ملحق آ

خارطة إسرائيل/الضفة الغربية/غزة

ملحق ب

خارطة قطاع غزة

الملحق ج

حول مجموعة الأزمات الدولية

مجموعة الأزمات الدولية (مجموعة الأزمات) هي منظمة مستقلة غير ربحية وغير حكومية، تضم حوالي 130 موظفاً في خمس قارات يعملون من خلال التحليل الميداني ومستوى عال من الالتزام من أجل منع وحل النزاعات الخطيرة.

تستند مقاربة مجموعة الأزمات إلى البحث الميداني؛ حيث تتواجد فرق من المحللين السياسيين داخل أو بالقرب من الدول التي يوجد فيها خطر لاندلاع أو تصاعد أو تكرار حدوث نزاع عنيف. وبناء على معلومات وتقييمات من الميدان تقوم بإعداد تقارير تحليلية تتضمن توصيات عملية موجهة إلى كبار صناع القرار الدوليين. كما تقوم مجموعة الأزمات بنشر *كرايسيز ووتش* وهي نشرة شهرية من اثنتي عشرة صفحة تقدم آخر المعلومات بأسلوب موجز حول وضع جميع حالات النزاع الأكثر أهمية أو النزاعات المتوقعة في العالم. يتم توزيع تقارير وإحاطات مجموعة الأزمات بشكل واسع من خلال البريد الإلكتروني بما في ذلك على المسؤولين في وزارات الخارجية والمنظمات الدولية، وهي متوافرة في نفس الوقت على الموقع www.crisisgroup.org. تعمل مجموعة الأزمات بشكل وثيق مع الحكومات والأطراف التي تؤثر على الحكومات، بما في ذلك وسائل الإعلام، من أجل إبراز تحليلاتها للأزمات وحشد التأييد لتوصياتها بشأن السياسات.

يعمل مجلس مجموعة الأزمات – الذي يضم شخصيات بارزة في مجالات السياسة والدبلوماسية والأعمال والإعلام – يعمل بشكل مباشر في المساعدة على إيصال هذه التقارير والتوصيات إلى انتباه كبار صناع السياسات في جميع أنحاء العالم. يرأس مجموعة الأزمات السفير والمعاون السابق لوزير الخارجية الأميركية توماس بيكرينغ. أما رئيستها ومديرتها التنفيذية منذ عام 2009 فهي لويز آربور، المفوضة السامية السابقة لحقوق الإنسان في الأمم المتحدة ورئيسة الادعاء العام السابقة في المحكمة الجنائية الدولية الخاصة بيوغسلافيا السابقة والمحكمة الخاصة برواندا.

يقع المقر الدولي لمجموعة الأزمات في بروكسل، كما أن للمنظمة مكاتب وممثلين لها في 34 موقعاً: أبوجا، وبانكوك، وبكين، وبيروت، وبيشكيك، وبوغوتا، وبوجامبورا، والقاهرة، وداكار، ودمشق، ودبي، وغزة، ومدينة غواتيمالا، وإسلام أباد، وإسطنبول، وجاكرتا، والقدس، وجوهانسبيرغ، وكابول، وكتمندو، ولندن، وموسكو، ونيروبي، ونيويورك، وبورتوبرنس، وبريستينا، والرباط، وصنعاء، وسراييفو، وسيؤول، وتبليسي، وطرابلس، وتونس، وواشنطن دي سي. وتغطي مجموعة الأزمات حالياً حوالي 70 منطقة لنزاع قائم أو محتمل في أربع قارات. ويشمل ذلك في إفريقيا: بوركينا فاسو، وبوروندي، والكاميرون، وجمهورية إفريقيا الوسطى، وتشاد، وساحل العاج، وجمهورية الكونغو الديمقراطية، وإريتريا، وإثيوبيا، وغينيا، وغينيا-بيساو، وكينيا، وليبيريا، ومدغشقر، ونيجيريا، وسيراليون، والصومال، وجنوب السودان، والسودان، وأوغندا، وزمبابوي. كما يشمل في آسيا أفغانستان، وبورما/ميانمار، وإندونيسيا، وكشمير، وكازاخستان، وقرغيزيا، وماليزيا، ونيبال، وكوريا الشمالية، والباكستان، والفلبين، وسيريلانكا، ومضيق تايوان، وطاجيكستان، وتايلاند، وتيمور الشرقية، وتركمانستان وأوزبكستان. أما في أوربا فيشمل أرمينيا، وأذربيجان، والبوسنة والهرسك، وقبرص، وجورجيا، وكوسوفو، ومقدونيا وشمال القوقاز، والصرب، وتركيا. بينما يشمل في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا كلاً من الجزائر، والبحرين، ومصر، وإيران، والعراق، وإسرائيل-فلسطين، والأردن، ولبنان، وليبيا، والمغرب، وسورية، وتونس، والصحراء الغربية، واليمن. ويشمل في أمريكا اللاتينية والكاريبي كلاً من كولومبيا، وغواتيمالا، وهاييتي وفنزويلا.

تتلقى مجموعة الأزمات مساعدات مالية من جملة واسعة من الحكومات، والمؤسسات والمصادر الخاصة. وقد قدمت الهيئات والوزارات الحكومية التالية تمويلاً للمجموعة في السنوات الأخيرة: الوكالة الأسترالية للتنمية الدولية، ووزارة الشؤون الخارجية والتجارة الأسترالية، ووكالة التنمية النمساوية، ووزارة الخارجية البلجيكية، ومركز الأبحاث والتنمية الدولية الكندي، ووزارة الشؤون الخارجية والتجارة الدولية الكندية، ووزارة الخارجية الملكية الدنماركية، ووزارة الخارجية الهولندية، والمفوضية الأوروبية، ووزارة الخارجية الفنلندية، ووزارة الخارجية الألمانية الاتحادية، ومؤسسة المساعدات الإيرلندية، وإمارة ليختنشتاين، ووزارة خارجية اللوكسمبورغ، والوكالة النيوزيلندية للتنمية الدولية، ووزارة الخارجية الملكية النرويجية، ووكالة التنمية الدولية السويدية، ووزارة الخارجية السويدية، ووزارة الخارجية الاتحادية السويسرية، ووزارة الخارجية التركية، ووزارة التنمية الدولية البريطانية، ووزارة التنمية الدولية في المملكة المتحدة، والوكالة الأمريكية للتنمية الدولية.

أما المتبرعون من المؤسسات والقطاع الخاص الذين قدموا الدعم المالي في السنوات الأخيرة فيشملون صندوق أديسيوم، ومؤسسة كارنيغي في نيويورك، والمؤسسة الخيرية، وصندوق الحكماء، ومؤسسة هنري لوس، ومؤسسة ويليام وفلورا هيوليت، وهيومانيتي يونايتيد، وصندوق هنت ألتيرناتيفز، وصندوق جون دي وكاثرين تي ماكارثر، ومعهد أوبن سوسايتي، وصندوق بلاو شيرز، وصندوق روكفيلير براذرز، وفيفا ترست.

آب/أغسطس 2012

الملحق د

تقارير وإحاطات مجموعة الأزمات عن الشرق الأوسط وشمال أفريقيا منذ عام 2009

Israel/Palestine

Ending the War in Gaza, Middle East Briefing N°26, 5 January 2009 (also available in Arabic and Hebrew).

Gaza's Unfinished Business, Middle East Report N°85, 23 April 2009 (also available in Hebrew and Arabic).

Israel's Religious Right and the Question of Settlements, Middle East Report N°89, 20 July 2009 (also available in Arabic and Hebrew).

Palestine: Salvaging Fatah, Middle East Report N°91, 12 November 2009 (also available in Arabic).

Tipping Point? Palestinians and the Search for a New Strategy, Middle East Report N°95, 26 April 2010 (also available in Arabic and Hebrew).

Drums of War: Israel and the "Axis of Resistance", Middle East Report N°97, 2 August 2010 (also available in Hebrew and Arabic).

Squaring the Circle: Palestinian Security Reform under Occupation, Middle East Report N°98, 7 September 2010 (also available in Arabic and Hebrew).

Gaza: The Next Israeli-Palestinian War?, Middle East Briefing N°30, 24 March 2011 (also available in Hebrew and Arabic).

Radical Islam in Gaza, Middle East/North Africa Briefing N°104, 29 March 2011 (also available in Arabic and Hebrew).

Palestinian Reconciliation: Plus Ça Change ..., Middle East Report N°110, 20 July 2011 (also available in Arabic and Hebrew).

Curb Your Enthusiasm: Israel and Palestine after the UN, Middle East Report N°112, 12 September 2011 (also available in Arabic and Hebrew).

Back to Basics: Israel's Arab Minority and the Israeli-Palestinian Conflict, Middle East Report N°119, 14 March 2012 (also available in Arabic).

The Emperor Has No Clothes: Palestinians and the End of the Peace Process, Middle East Report N°122, 7 May 2012 (also available in Arabic).

Egypt/Syria/Lebanon

Engaging Syria? Lessons from the French Experience, Middle East Briefing N°27, 15 January 2009 (also available in Arabic and French).

Engaging Syria? U.S. Constraints and Opportunities, Middle East Report N°83, 11 February 2009 (also available in Arabic).

Nurturing Instability: Lebanon's Palestinian Refugee Camps, Middle East Report N°84, 19 February 2009 (also available in Arabic and Hebrew).

Lebanon's Elections: Avoiding a New Cycle of Confrontation, Middle East Report N°87, 4 June 2009 (also available in French).

Reshuffling the Cards? (I): Syria's Evolving Strategy, Middle East Report N°92, 14 December 2009 (also available in Arabic).

Reshuffling the Cards? (II): Syria's New Hand, Middle East Report N°93, 16 December 2009 (also available in Arabic).

Lebanon's Politics: The Sunni Community and Hariri's Future Current, Middle East Report N°96, 26 May 2010 (also available in Arabic).

Nouvelle crise, vieux démons au Liban : les leçons oubliées de Bab Tebbaneh/Jabal Mohsen, Middle East Briefing N°29, 14 October 2010.

Trial by Fire: The Politics of the Special Tribunal for Lebanon, Middle East Report N°100, 2 December 2010.

Popular Protest in North Africa and the Middle East (I): Egypt Victorious?, Middle East/North Africa Report N°101, 24 February 2011 (also available in Arabic).

Uncharted Waters: Thinking Through Syria's Dynamics, Middle East Briefing N°31, 24 November 2011 (also available in Arabic).

Popular Protest in North Africa and the Middle East (VI): The Syrian People's Slow-motion Revolution, Middle East Report N°108, 6 July 2011 (also available in Arabic).

Popular Protest in North Africa and the Middle East (VII): The Syrian Regime's Slow-motion Suicide, Middle East Report N°109, 13 July 2011 (also available in Arabic).

Lebanon's Palestinian Dilemma: The Struggle Over Nahr al-Bared, Middle East Report N°117, 1 March 2012 (also available in Arabic).

Now or Never: A Negotiated Transition for Syria, Middle East Briefing N°32, 5 March 2012 (also available in Arabic and Russian).

Syria's Phase of Radicalisation, Middle East Briefing N°33, 10 April 2012 (also available in Arabic).

Lost in Transition: The World According to Egypt's SCAF, Middle East/North Africa Report N°121, 24 April 2012 (also available in Arabic).

Syria's Mutating Conflict, Middle East Report N°128, 1 August 2012.

North Africa

Popular Protests in North Africa and the Middle East (IV): Tunisia's Way, Middle East/North Africa Report N°106, 28 April 2011 (also available in French).

Popular Protest in North Africa and the Middle East (V): Making Sense of Libya, Middle East/North Africa Report N°107, 6 June 2011 (also available in Arabic).

Holding Libya Together: Security Challenges after Qadhafi, Middle East/North Africa Report N°115, 14 December 2011 (also available in Arabic).

Tunisie : lutter contre l'impunité, retrouver la sécurité, Middle East/North Africa Report N°123, 9 May 2012.

Tunisie : relever les défis économiques et sociaux, Middle East/North Africa Report N°124, 6 June 2012.

Iraq/Iran/Gulf

Iraq's Provincial Elections: The Stakes, Middle East Report N°82, 27 January 2009 (also available in Arabic).

Yemen: Defusing the Saada Time Bomb, Middle East Report N°86, 27 May 2009 (also available in Arabic).

U.S.-Iranian Engagement: The View from Tehran, Middle East Briefing N°28, 2 June 2009 (also available in Farsi and Arabic).

Iraq and the Kurds: Trouble Along the Trigger Line, Middle East Report N°88,

8 July 2009 (also available in Kurdish and Arabic).

Iraq's New Battlefront: The Struggle over Ninewa, Middle East Report N°89, 28 September 2009 (also available in Kurdish and Arabic).

Iraq's Uncertain Future: Elections and Beyond, Middle East Report N°94, 25 February 2010 (also available in Arabic).

Loose Ends: Iraq's Security Forces between U.S. Drawdown and Withdrawal, Middle East Report N°99, 26 October 2010 (also available in Arabic).

Popular Protest in North Africa and the Middle East (II): Yemen between Reform and Revolution, Middle East Report N°102, 10 March 2011(also available in Arabic).

Iraq and the Kurds: Confronting Withdrawal Fears, Middle East Report N°103, 28 March 2011 (also available in Arabic and Kurdish).

Popular Protests in North Africa and the Middle East (III): The Bahrain Revolt, Middle East Report N°105, 4 April 2011(also available in Arabic).

Popular Protest in North Africa and the Middle East (VIII): Bahrain's Rocky Road to Reform, Middle East Report N°111, 28 July 2011 (also available in Arabic).

Failing Oversight: Iraq's Unchecked Government, Middle East Report N°113, 26 September 2011 (also available in Arabic).

Breaking Point? Yemen's Southern Question, Middle East Report N°114, 20 October 2011 (also available in Arabic).

In Heavy Waters: Iran's Nuclear Program, the Risk of War and Lessons from Turkey, Middle East Report N°116, 23 February 2012 (also available in Arabic and Turkish).

Popular Protest in North Africa and the Middle East (IX): Dallying with Reform in a Divided Jordan, Middle East Report N°118, 12 March 2012 (also available in Arabic).

Iraq and the Kurds: The High-Stakes Hydrocarbons Gambit, Middle East Report N°120, 19 April 2012 (also available in Arabic).

The P5+1, Iran and the Perils of Nuclear Brinkmanship, Middle East Briefing N°34, 15 June 2012 (also available in Arabic).

Yemen: Enduring Conflicts, Threatened Transition, Middle East Report N°125, 3 July 2012.

Déjà Vu All Over Again: Iraq's Escalating Political Crisis, Middle East Report N°126, 30 July 2012.

Iraq's Secular Opposition: The Rise and Decline of Al-Iraqiya, Middle East Report N°127, 31 July 2012.

الملحق هـ

مجلس أمناء مجموعة الأزمات الدولية

CHAIR

Thomas R Pickering
Former U.S. Undersecretary of State; Ambassador to the UN, Russia, India, Israel, Jordan, El Salvador and Nigeria

PRESIDENT & CEO

Louise Arbour
Former UN High Commissioner for Human Rights and Chief Prosecutor for the International Criminal Tribunals for the former Yugoslavia and Rwanda

VICE-CHAIRS

Ayo Obe
Legal Practitioner, Lagos, Nigeria

Ghassan Salamé
Dean, Paris School of International Affairs, Sciences Po

EXECUTIVE COMMITTEE

Morton Abramowitz
Former U.S. Assistant Secretary of State and Ambassador to Turkey

Cheryl Carolus
Former South African High Commissioner to the UK and Secretary General of the ANC

Maria Livanos Cattaui
Former Secretary-General of the International Chamber of Commerce

Yoichi Funabashi
Chairman of the Rebuild Japan Initiative; Former Editor-in-Chief, *The Asahi Shimbun*

Frank Giustra
President & CEO, Fiore Financial Corporation

Lord (Mark) Malloch-Brown
Former UN Deputy Secretary-General and Administrator of the United Nations Development Programme (UNDP)

Moisés Naím
Senior Associate, International Economics Program, Carnegie Endowment for International Peace; Former Editor in Chief, *Foreign Policy*

George Soros
Chairman, Open Society Institute

Pär Stenbäck
Former Foreign Minister of Finland

OTHER BOARD MEMBERS

Nahum Barnea
Chief Columnist for *Yedioth Ahronoth*, Israel

Samuel Berger
Chair, Albright Stonebridge Group LLC; Former U.S. National Security Adviser

Emma Bonino
Vice President of the Italian Senate; Former Minister of International Trade and European Affairs of Italy and European Commissioner for Humanitarian Aid

Micheline Calmy-Rey
Former President of the Swiss Confederation and Foreign Affairs Minister

Wesley Clark
Former NATO Supreme Allied Commander

Sheila Coronel
Toni Stabile Professor of Practice in Investigative Journalism; Director, Toni Stabile Center for Investigative Journalism, Columbia University, U.S.

Mark Eyskens
Former Prime Minister of Belgium

Nabil Fahmy
Former Ambassador of Egypt to the U.S. and Japan; Founding Dean, School of Public Affairs, American University in Cairo

Joshua Fink
CEO & Chief Investment Officer, Enso Capital Management LLC

Joschka Fischer
Former Foreign Minister of Germany

Lykke Friis
Former Climate & Energy Minister and Minister of Gender Equality of Denmark; Former Prorector at the University of Copenhagen

Jean-Marie Guéhenno
Arnold Saltzman Professor of War and Peace Studies, Columbia University; Former UN Under-Secretary-General for Peacekeeping Operations

Carla Hills
Former U.S. Secretary of Housing and U.S. Trade Representative

Lena Hjelm-Wallén
Former Deputy Prime Minister and Foreign Minister of Sweden

Mo Ibrahim
Founder and Chair, Mo Ibrahim Foundation; Founder, Celtel International

Igor Ivanov
Former Foreign Minister of the Russian Federation

Asma Jahangir
President of the Supreme Court Bar Association of Pakistan, Former UN Special Rapporteur on the Freedom of Religion or Belief

Wadah Khanfar
Co-Founder, Al Sharq Forum; Former Director General, Al Jazeera Network

Wim Kok
Former Prime Minister of the Netherlands

Ricardo Lagos
Former President of Chile

Joanne Leedom-Ackerman
Former International Secretary of PEN International; Novelist and journalist, U.S.

Lalit Mansingh
Former Foreign Secretary of India, Ambassador to the U.S. and High Commissioner to the UK

Benjamin Mkapa
Former President of Tanzania

Laurence Parisot
President, French Business Confederation (MEDEF)

Karim Raslan
Founder, Managing Director and Chief Executive Officer of KRA Group

Paul Reynolds
President & Chief Executive Officer, Canaccord Financial Inc.

Javier Solana
Former EU High Representative for the Common Foreign and Security Policy, NATO Secretary-General and Foreign Minister of Spain

Liv Monica Stubholt
Senior Vice President for Strategy and Communication, Kvaerner ASA; Former State Secretary for the Norwegian Ministry of Foreign Affairs

Lawrence Summers
Former Director of the US National Economic Council and Secretary of the U.S. Treasury; President Emeritus of Harvard University

Wang Jisi
Dean, School of International Studies, Peking University; Member, Foreign Policy Advisory Committee of the Chinese Foreign Ministry

Wu Jianmin
Executive Vice Chairman, China Institute for Innovation and Development Strategy; Member, Foreign Policy Advisory Committee of the Chinese Foreign Ministry; Former Ambassador of China to the UN (Geneva) and France

Lionel Zinsou
CEO, PAI Partners

PRESIDENT'S COUNCIL

A distinguished group of individual and corporate donors providing essential support and expertise to Crisis Group.

Mala Gaonkar
Frank Holmes
Steve Killelea
George Landegger
McKinsey & Company
Ford Nicholson & Lisa Wolverton
Harry Pokrandt
Shearman & Sterling LLP
Ian Telfer
White & Case LLP
Neil Woodyer

INTERNATIONAL ADVISORY COUNCIL

Individual and corporate supporters who play a key role in Crisis Group's efforts to prevent deadly conflict.

Anglo American PLC
APCO Worldwide Inc.
Ryan Beedie
Stanley Bergman & Edward Bergman
Harry Bookey & Pamela Bass-Bookey
BP
Chevron
Neil & Sandra DeFeo Family Foundation
Equinox Partners
Fares I. Fares
Neemat Frem
FTI Consulting
Seth & Jane Ginns
Alan Griffiths
Rita E. Hauser
Sir Joseph Hotung
Iara Lee & George Gund III Foundation
George Kellner
Amed Khan
Faisel Khan
Zelmira Koch Polk
Elliott Kulick
Liquidnet
Jean Manas & Rebecca Haile
Harriet Mouchly-Weiss
Näringslivets Inter-nationella Råd (NIR) – International Council of Swedish Industry
Griff Norquist
Ana Luisa Ponti & Geoffrey R. Hoguet
Kerry Propper
Michael L. Riordan
Shell
Nina Solarz
Statoil
Belinda Stronach
Talisman Energy
Tilleke & Gibbins
Kevin Torudag
VIVA Trust
Yapı Merkezi Construction and Industry Inc.
Stelios S. Zavvos

SENIOR ADVISERS

Former Board Members who maintain an association with Crisis Group, and whose advice and support are called on (to the extent consistent with any other office they may be holding at the time).

Martti Ahtisaari
Chairman Emeritus
George Mitchell
Chairman Emeritus
Gareth Evans
President Emeritus
Kenneth Adelman
Adnan Abu Odeh
HRH Prince Turki al-Faisal
Hushang Ansary
Óscar Arias
Ersin Arıoğlu
Richard Armitage
Diego Arria
Zainab Bangura
Shlomo Ben-Ami
Christoph Bertram
Alan Blinken
Lakhdar Brahimi
Zbigniew Brzezinski
Kim Campbell
Jorge Castañeda
Naresh Chandra
Eugene Chien
Joaquim Alberto Chissano
Victor Chu
Mong Joon Chung
Pat Cox
Gianfranco Dell'Alba
Jacques Delors
Alain Destexhe
Mou-Shih Ding
Uffe Ellemann-Jensen
Gernot Erler
Marika Fahlén
Stanley Fischer
Malcolm Fraser
I.K. Gujral
Swanee Hunt
Max Jakobson
James V. Kimsey
Aleksander Kwasniewski
Todung Mulya Lubis
Allan J. MacEachen
Graça Machel
Jessica T. Mathews
Nobuo Matsunaga
Barbara McDougall
Matthew McHugh
Miklós Németh
Christine Ockrent
Timothy Ong
Olara Otunnu
Lord (Christopher) Patten
Shimon Peres
Victor Pinchuk
Surin Pitsuwan
Cyril Ramaphosa
Fidel V. Ramos
George Robertson
Michel Rocard
Volker Rühe
Güler Sabancı
Mohamed Sahnoun
Salim A. Salim
Douglas Schoen
Christian Schwarz-Schilling
Michael Sohlman
Thorvald Stoltenberg
Leo Tindemans
Ed van Thijn
Simone Veil
Shirley Williams
Grigory Yavlinski
Uta Zapf
Ernesto Zedillo